

منظومة الانتظام في سيرة خير الأنام

محمد خير ضميرية

إجازة في اللغة العربية

محمد خير ضميرية

منظومة الإنتظام

في

سيرة خير الأنام ﷺ

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

" والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك

وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف

يعطيك ربك فترضى .... " صدق الله العظيم



الإهداء

إليك :

سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية

وقد أرشدتنا إلى حب الله ورسوله

إليكما :

والدي الكريمين

وقد وجدت تحت جناحيكما انبثاق الأمل

وتجدد الطموح

محمد



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي النظم

رب ! .. افتحْ وسددْ ، ووفقْ وأَعنْ ، يا مَنْ أُسعِدَ العارفونَ بلذةِ معرفتكَ ، واستغنى الفقراءُ بطيب تضرعِهِمْ إليكَ ، واستقوى الضعفاءُ بقوّة اتصالهمْ بجلالكَ .. يا مَنْ ! .. لا يحاطُ بوصفِكَ ، ولا تُدركُ ذاتُك . ويا مَنْ ! .. لا تَراكَ العيونُ ، ولا تخالطُكَ الظنونُ ..

أسألكَ ــ ربِّ ــ أَن تقذفَ في قلبي رجاءَك ، وأن تعلّمني ماهيةَ الإخلاصِ لوجهكَ الكريمِ ، وأن تُزيِّنَ خُلُقي بالحِلْمِ ، ونفسي بالعِلْمِ ، وأن تكرِمني يومَ يحجَبُ عنْ النظرِ إلى جمالِ وَجهِكَ منْ يُحْجَبُ ، بلذّة النظر إليـه ..

اللهم أقبلني بحبك وحبي لنبيّك ﷺ ، وصلِ اللهم عليه ما اتصلت عين بنظَر ، أو سمعت أذن بخبر وسبّح عابد وشكر . أمّا بعد ...

أخي القارىء الكريم :

لقد حيرني أمرُ رجل في مكة من غير جامعة ولا مدرسة ، ولا كتاب ولا قرطاس ، ما وقف على معلم ، ولا قرأ على أستاذ ؛ أُمّيّ . يصبح معلماً للعلماء يخضعون له ويَغْدُو حكيما للحكماء . يتمنّوْنَ لو يُمرِّغُ أحدهم وجنتيهِ على عتبات قبره .

ينهضُ قائداً يطأطىء القادة أمام عظمتهِ رؤوسهم يودون لو يقبلهم جنوداً في كتيبته .

يُوحِّدُ في عشرين عاماً قوماً ما كان ليوحدهم أحد . عصبيّون ، قبائليون ، سادة وأبناء سادة ، يسير الواحد منهم بين بُرديه أَنَفاً ، كأنّه الجبل الشامخ ، زعيم ابن زعيم ، يجمع بين جنبيه من القيم المتوارثة القديمة الشيء الكثير ، ثم يأتي حين يسمع كلام هذا الرجل ليقول : « فداك أبي وأمّي » لقد تركتُ كلّ شيءٍ عرفته قبلك ، هجرتُ ما لا تحب بل أبغضتُه وأحببت ما تُحب ، غادرت عادات القبيلة ، ومنهج

الآباء ، على أن تقبلني مؤمناً متّبعاً لك وخادماً مطيعاً لأوامرك ، ويرى ذلك نجاحاً لا يدركه نجاح ...

لم يغْرِ الرجلِ الناس بالمال ، بل إنّهم بذلوا أموالهم في نصرتِهِ ، لم يعطِهِم متاعاً ولا ديناراً ، ولا شاةً ولا بعيراً ، بل إنّهم تركوا ديارهم ومتاعهم وأهليهم وتجاراتهم ، في سبيل التقرب إليه ، ونيل رضاه .

رجلٌ واحد يقف أمام خصمٍ هائل ، يصمد أمام الاغراءات ، وقد حاول الناس في البداية إغراءه . يرفض المال ، والجاه ، يقف وحيداً فريداً . داعياً الى مبادئه التي تقوّض ما توارثه الأبناء عن الآباء ، وتطلب أن يهجروا ما توارثوه إلى غير رجعة .

يقضي على الخرافة بالعلم ، يصنع القوة من الضعف ، ويُخرج بعد ذلك للناس خير أمة على وجه الأرض .

لا يقول لأحد ، إني أملك خزائن الأرض بل قوله : لا أملك لكم ضرّاً ولا نفعاً ، ما كذب قط في سبيل مصالحه ولا في غيرها ، ما عُرِفَ بالخيانة ، حاشاه ثم حاشاه ، ولا طلب الملك والجاه ، ولا الرياسة في كلّ ما دعا إليه ، وقد عُرِضت عليه جبال مكة ذهباً فقال : لا ، أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر ، أغراه القوم وهو في أشد الضيق فقال عند الإغراء : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتّى يظهره الله أو أهلك دونه . » حيّرني إن لم يكن نبيّاً.. فما يكون ؟؟؟... »

* إلى اليوم مازال الناس يتلذذون بذكره رغم الكتلة الزمنية الكثيفة ويأملون منه الشفاعة، وأغلى ماعندهم أن يصلُوا إلى روضته الشريفة، وأن يكونوا من أتباعه حقاً.

جاءه الأدباء والشعراء والحكماء خاضعين منقادين مطيعين محبين، وبين يديه أنشد كعب بن زهير قصيدته المشهورة: بانت سعاد.. فقال:

إن الـــرسول لنُـــورٌ يستضاء به مهند من سيوف الله مسلـول.

وغدا حسان بن ثابت لسان الدفاع عنه وعن دينه، وملأ الأرجاء بأعذب ألحان المدح والثناء، وَرَنَّت في الصحراء أناشيد الخلود التي نظمها مادحاً

الرسول الأعظم ﷺ في حياته وبعد مفارقته دنيا الزوال:

وماافقـد الماضون مثـل محمـدٍ ... ومامثلُه حتى القيامـة يُفْقَّـدُ

وقال أيضاً:

جنبي يقيك الترب، لهفي، ليتني ... غيّبتُ قبلك، في بقيع الغرقد

يابكـر آمنـة المبـارك ذكـرهُ ... ولـدتك محصنة كَسعد الأسعد

صلى الإلـه ومن يحف بعـرشه ... والطيبـون على المبـارك أحمد

وفيه قال أبو العتاهية:

وأفضل هديٍ هديُ سَمْتِ محمدٍ ... نبـيٌّ تنقـاه الإلـه لدينـه

عليه السلام كان في النصحِ رحمةً ... وفي برّه للعـالمين، ولينـه

إمام هدى، ينجابُ عن وجهه الدجى ... كأن الثريّـا علـقت بجبينـه

بحبل رسول الله أوثقتُ عصمتي ... وخيرتـه في خلقـه وأمينـه

وحتى بعد عشرات السنين، ومن قبل ومن بعد، وإلى ماشاء الله سيبقى ذكره، ويتغنى باسمه... ألم يقل البوصيري:

محمد سيّد الكـونين والثقليـ ... ـن خيرُ الفريقين من عربٍ ومن عجم

فانسُبْ إلى ذاته ماشئت من شرفٍ ... وانسب إلى قدره ماشئت من عِظَم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعرب عنه ناطق بفـم

ألم ينشد أحمد شوقي:

ولـد الهدى فالكائنـات ضيـاء ... وفـم الزمـان تبسُّمٌ وثنـاء

بكَ ياابن عبدالله قامت سمحةٌ ... بالحق من ملـل الهدى غراء

أَنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكـل في حق الحيـاة سواء

وعمر أبي ريشة ألم يقل:

وأحمدٌ يتلقاهـا وبسمتُـهُ ... تردُّ كلَّ فمٍ للمجد مُبتسّمـاً

قيثارة الوحي لم تجرح لها وتـراً ... أيدي الليالي ولم تحبس لها نغما

وتغنى الشاعر حليم دموس باسم محمدٍ فقال:

تغنّي عروس الشعر باسم محمدٍ ... وهـزّي بني الدنيـا بسيرة أحمدِ

تغني بآي الذكر والمجد والعلا ... تغنّي بعهـد الخالديـن وردّدي

وغيرهم .. وغيرهم ... من الشعراء والأدباء والعلماء. حتى جاء في عصرنا هذا رجل كالدكتور مايكل هارت. ليضعه في الدرجة الأولى بين عظماء العالم. من عهد آدم حتى الساعة[1]...

هذا النبي العظيم. أحببته ودرست سيرته بعمق في المعهد الشرعي للدعوة والارشاد بدمشق من خلال محاضرات السيرة النبوية التي كان يلقيها سماحة المربي العلامة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية.
وبدراسة سيرته ﷺ وجدته مثلاً أعلى في كل شيء... ومن نحن حتى نثمّن.. ونقوّم. وقد قال رب السماء والأرض في حقه «وإنك لعلى خلق عظيم».
لقد دفعني سحر بيان النبي وعظمة مبادئه وروعة تطبيقه لأدلي بدلوي بين الدلاء مغترفاً من معينه الذي لا ينضب لأخرج منظومة في السيرة يتيسر تناولها وتداولها بين الناس.[2] هدية ووسيلة عسى أن أنال الشفاعة من سيد البشر ﷺ. «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لسماحة المربي المفتي العام للجمهورية. إذ لم يكن هذا العمل إلا ثمرة إرشادات وتوجيهات سماحته.
وللدكتور نور الدين العتر المدرس في كليتي الآداب والشريعة في جامعة دمشق. لتشجيعه وتفضله بمراجعة النظم، حيث كانت ملاحظاته القيمة لي نبراساً ودليلاً.

وأملي أن أكون قد قدمت خدمة للتراث وإحيائه وللوطن وأبنائه، فإن وفقت فلله الفضل والمنة. وحسبي دراسة سيرة النبي ﷺ ودعوة من قارىء كريم بظهر الغيب. وإن قصرت فإنما أنا بشر. ومن ذا الذي لا يقصر ومن ذا الذي حاز الكمال.

والله وراء القصد

دمشق في غرة رجب من عام ١٤٠٤ هـ
فاتحة نيسان من عام ١٩٨٤ م
محمد خير ضميرية.

---

(١) للتفاصيل انظر كتاب (المائة الأوائل) ط دار قتيبة

(٢) هناك الكثير من القصائد والملاحم التي تدور حول السيرة النبوية كهمزية البوصيري والهمزية (عمر أبو ريشة) وكذلك قصائد المدائح النبوية الأخرى كنهج البردة لأحمد شوقي وهمزيته أيضاً الا ان هذه القصائد أشبه بقصائد المدح منها بالنصوص المشتملة لحوادث السيرة كاملة.

مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبًا[1]

النضر "قريش"

مالك — يخلد

فهر

محارب — غالب — الحارث — أسد

تميم — لؤي

عامر — كعب — سامة — الحارث

هصيص — مرة — عدي

يقظة — كلاب — تيم

قصي — زهرة

عبد الدار — عبد العزى — عبد مناف — عبد قصي — تخمر — برة

عبد شمس — هاشم — المطلب — نوفل

أسد — رقية — أبا صيفي — حية — عبد المطلب — فضلة — الشفاء — خالدة — ضعيفة

العباس — حمزة — عبد مناف — ضرار — عبد العزى — عبد الله — الزبير — الحارث — جحل — المقوم

محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) سيرة ابن هشام ص ص٣ ــ ٦ جـ١



المنظومة

١ — فرش

أبتدىء القـــولَ بذكـــرِ الله جَلَّ عن الأشكـالِ والأشْبــاهِ
ما حدَّهُ حدٌّ ولا مكـــــانُ وَلَـمْ يُحـط بوصفِــهِ إنسانُ
ليسَ له جسْمٌ ولا تَجسُّدُ ولا بدايــــةٌ ولا تعـــــدُّدُ
ذي العفوِ وَالعِلمِ وذي الحياةِ والحِلْمِ والكمـالِ في الصفـاتِ
ترنَّمتْ بذكـرِهِ .... الطيورُ وأثلــجت بحمــــده الصُدورُ

★ ★ ★

ثم أصلّــي عدد الرّمـــالِ على النبيِّ المصطفـــى والآلِ
أرسلــــه الله إلى العبـــادِ بالخيـــرِ والهدى وبالـــرشادِ
أدَّى الــذي حَمَّلَــه مولاهُ وهـالِكٌ كلُ الـــورى لولاه

★ ★ ★

وبعدُ ... إني إذ قرأتُ السيرةْ وجدتها — بما حَوَتْ — غزيرةْ
وَرُمْتُ أنْ أُخُصَّهـا بالنظـــمِ ميسِّراً للنـاس درب الفهـم[٢]
إذ كان لي فيما مضى أُمْنيَّةْ تعُودُني في الصبحِ والعَشِيّـــةْ
أن أنظـمَ السيرة في أرجـــوزةْ فضلٌ ، وأنّـى ليَ أنْ أُحُـوزَهْ
عَلّيْ إذا العبادُ يومَ الـــنَّشرِ بيـنَ الخروجِ لِلّقـا والـــحَشْرِ
أفـــوزُ مِنْ مولايَ بالقبـــولِ وأحتمـــي بجانبِ الـــرسولِ
وصَحَّتِ الهمــــةُ والعـــزيمةْ لِأَنْ أرى أُمنيَتـــي القَـــديمةْ
وقـد بدأتُ اليـــومَ بالكتابَـــةْ وفتــحَ الله الكريـــمُ بَابَـــهُ
وحسبيَ الرحمنُ فيمـا أفعلُ عطاهُ مِنْ كلّ العطايا أجْـزَلُ

---

(٢) انظر لمعرفة الأوائل في كتابة السيرة . كتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ط ثامنه ص٢١



القسم الأول

محمد قبل النبوة



مولده ــ ونسبه

إعلمْ بِأنّ اللهَ لمّا اختارَا ... نَبيَّهُ ، قد قَلَّبَ الأَمْصَارَا
حَتى اجتَبى مِنْ أهْلِهَا الخُلَاصَةْ ... في الطهرِ والعِفّةِ والرِّيَاسَةْ
خصَّ قريشاً مِنْ جميعِ العُرْبِ ... ومنهُمُ مُحمداً بالقُرْبِ
نبيُّنا البَدْرُ الذي قَدْ شَرَّفا ... رَبّي بِهِ دُنيا الوَرَى وأَتْحفَا
محمدٌ هو ابنُ عَبدِ الله ... إمَامُ كلِّ عفّةٍ وَجَاهِ
وإنّها لَنِسْبَةٌ كَمَا تَرى ... خلاصةُ الأَنْسَابِ مِنْ بينِ الوَرى
قد كانَ صفوةَ العِبَادِ خَيْرا ... ومَنْبَتاً ومَنْهَجاً وَسَيْرا
فجُدُّهُ الكريمُ عبدُ المطّلبْ ... سَيِّدُ مكةٍ برأيِهِ الأَرِبْ
قريشُ كانَتْ لا تَرَى مِنْ رَأْيِ ... من دونه في القربِ أو في النأي
مُعظّمٌ في قومِهِ مُبجَّلُ ... مكرَّمٌ مُعَزَّزٌ ــ مُحَجَّلُ
أحبَّ عبدَ اللهِ مِن بنيهِ ... حبّاً كبيراً لمْ يَكُنْ يُخفِيهِ(١)
ومُذْ أَتَى فتاهُ سِنَّ الرُشدِ ... وأُكملتْ فيه سِمَاتُ الجَدِّ
أَحَاطَهُ وزَادَهُ رِعَايَةْ ... وخصَّهُ بالعطفِ والعنايةْ
وكانَ مما زَادَهُ في الحبِّ ... أَنْ زَوّجَ الفتَى ببنتِ وَهْبِ(٢)
آمنةَ الزُّهريّةِ الآباءِ ... شَريفَةِ الأَنسابِ والأَنْبَاءِ
والدُهَا المشْهُورُ في قريشِ ... بالرأيِ والأناةِ لا بالطيشِ
فحملتْ منه بسيِّدِ البَشَرْ ... وسيِّدِ الخَلْقِ لِبَدْوٍ وَحَضَرْ
واللهُ جَلَّ شأنُهُ أرادا ... بِعَبْدِهِ وحبّهِ انفِرَادَا
مَاتَ الوليُّ بعدَ شَهْرَيْنِ فقط ... مِنْ حَمْلِ أَحْمَدٍ وَمَا رَآه قَط(٣)
فحزنَتْ آمِنَةٌ حِينَ رَأَتْ ... أَنَّ أَمَانيها التي كانتْ نَأَتْ
فَهَوَّنَ الشيخُ لَهَا المُصَابَا ... وكان فيه ما بها اضطرابا

---

(١) أي عبد المطلب.

(٢) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

(٣) شهرين في رواية ابن أبي خيثمة

قال ابن هشام :«ثم لم يلبث عبد اللهبن عبد المطلب . أبو رسول اللهﷺ أن هلك ، وأم رسول اللهﷺ حامل به ..» السيرة النبوية جـ ١ ص١٦٥

وقال : يابنتاهُ ! ربُّ الكونِ للصابرينَ كانَ خير عَونِ

★ ★ ★

فوجَدَتْ مِنْ نَفْسِها أنيسَا وَحِينَ تَخْلُو وَحْدَهَا جَلِيْسا
أعَادَ مِنْ آمَالِها مَاضَاعَا وفَوقَ هَذا أبْصَرَتْ شُعَاعَا
مِنْ بَيْتها أضَاءَ كُلَّ الشَّامِ وَلَمْ يَدَعْ شَيْئاً مِنَ الظَّلامِ
فعجبتْ مما رأتْ كثيرا وامتلأتْ مِنْ نفسِها سُرورا
وحينَ آن حِمْلَها أنْ يُوضعا تضاعفَ النورُ بَهاً وَسَطَعا
ونَكَستْ هاماتِها الأصْنامُ وأشْرقَتْ في سَعْدِهَا الأيّامُ
ووضعت آمنةُ الزهريةْ وَليدَهَا في سَاعةٍ فَجريَّةْ
والوجه مَرفُوعٌ إلى السماءِ كمنْ يُناجي الله بالدُّعاءِ
قد جاء طه ليلةَ الإثنينِ مُكمّلاً وأكحلَ العَيْنَينِ
وكانَ هَذا العَامُ عامَ الفيلِ والطيرُ إذ يرميهِ من سجّيلِ
لِسَبْعَةٍ مضتْ مِنَ الميلادِ[1] من بعد خمسمائةٍ شِدَادِ
فأرْسَلَتْ آمِنةٌ مُبَشِّراً لِعَمِّها شيخ النَّدى وَمخْبِرا
فجاءَ مَسْرُوراً بِمَا أتَاهُ وحامِداً وشاكراً مَوْلاهُ
وقال قد سَمَّيْتُه محمداً في العَالَمِينَ عَلَّهُ أنْ يُحمدا
ووفَّقَ الله لِما قَدْ قدّرَا بِعلْمِهِ فيما قَضَى وَيَسَّرا

★ ★ ★

الرضاع :

ثويبةٌ أولى اللواتي أرضعتْ محمداً مِنَ النِّسا وأشْبَعتْ[2]-
وكانَ مِنْ عَادةِ أهْلِ مكةْ لِحرْصِهِمْ على النُهى والحِنكَةْ
أن يُرْسِلُوا الأبْناءَ للبَوادِيْ لِيَرْضَعُوا مِنْ أهْلِها الأجيادْ

---

(١) من ميلاد المسيح عليه السلام

(٢) ثويبة : هي أمة لأبي لهب عم النبي ﷺ

فيَرْجِعُـوا بقـــوَّةِ الأَجْسامِ وَصِحَّـةِ العُقُـولِ والأفهـامِ

★ ★ ★

وَجَاءَ مِنْ سَعْدِ بنِ بَكْرٍ نِسْوَةْ يردنَ إِرْضَاعـاً ونَيْـلَ حُظْـوَةْ[1]
فَنَـزَلَ الخَيْـرُ عَلى حَليمَـةْ بنتِ أَبي ذُؤَيْبٍ الكَريمَـةْ[2]
إِذْ كَانَ مِنْ نصيبِها هَذا الفَتى وكَرَّتِ الخَيْراتُ كرّاً مُذْ أَتَـى
قَدْ شَعَرتْ بنَشْوةِ السَّعَـادَةْ وربُّنـا يُتـمُّ ما أَرَادَهْ
أَتَانُهـا أَصْبَـحَ كالجَـوَادِ مِنْ بَعْـدِ ما قَصَّرَ بانفِـرادِ
أَتْرابُهـا رأيـنَ في حَلِيْمَـةْ مَا لَمْ يَكُنْ في الرِّحْلَةِ القَدِيمَةْ
بالأَمْسِ كانتْ لا تُطِيقُ السَّيْرا واليَـوْمَ صَارَتْ بالرَّضِيعِ طَيْـرا
وَفَضْلُـهُ عَمَّ جَميـعَ القَـوْمِ وَلا يُقـاسُ مَا مَضَى بِاليَـوْمِ
وَعَاشَ أَهْلُ البَيْتِ في هَنَـاءِ بابْـنِ قُرَيْشٍ صَاحِبِ الآلاءِ

★ ★ ★

حادثة شق الصدر

وَعِنْدَمـا مَضَى مِنَ الأَعْوامِ أَرْبعـةٌ مِنْ مَوْلِـدِ الغُـلامِ
وبَيْنَمـا الصَّبِـيُّ في الأَوْلادِ خَلفَ البُيُوتِ في ظِلَالِ الوَادِي
أَتَـاهُ شخْصانِ مِنَ السَّمَـاءِ سَمْتُهُمَـا يُشِيـرُ للصَّفَـاءِ[3]
وَكَـانَ عَنْ أَتْرابِهِ قَدِ انْفَـرَدْ في جَانِبٍ مِنَ المكانِ وابْتَعَـدْ
فأضجعـاه إذ هما من صدره شقا ـــ بأمر الله حتـى نحره
وأَخْرَجَا مِنْـهُ تعلُّقَ الـجَسَدْ بغيرِ مَوْلَاهُ ، وحَظَّ من حَسَدْ[4]
ثمَّ أَعادَا الصَّدْرَ كالَّذي سَبَقْ كذا رَوَى نبيُّنـا وَقَـدْ صَدَقْ

---

(١) حُظوة : أي مالٌ ومكانة نتيجة إرضاع أبناء السادة في مكة

(٢) حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وزوجها أبو كبشة ــ مكث النبي ﷺ وهو طفل في بني سعدة مدة قرابة ٤ سنوات

(٣) ورُوي أنه أتاه ثلاثة .

(٤) أي حظ الشيطان

ففــــزِعَ الأولاد مما شاهـــدوا وأُخبرتْ حَليمَــــةٌ والوَالِـــدُ
خافتْ حليمـةٌ على الرَّضِيــــعِ ذي النسب المحمـودِ والرفيـعِ
فأرجعتــه بعدهـــا لِآمِنَـــةْ برغبـةٍ فيـهِ وَنــفْسٍ كَامِنَـــةْ
قالَتْ لها آمِنَـــةٌ وَفَــــرِحَتْ أهـلاً بِمـن أتى إلينـــا وأتتْ
وَضَمَّتِ الوَلِيــدَ بالحَنــــانِ تَوَدُّ لَوْ يُقيـــمُ في الجَنَـــانِ

وفاة أمه ﷺ آمنة بنت وهب :

وَعِنْدَمَـــا زارَتْ بَنِـــي النَّجـــارِ وقَـــدَرُ اللهِ العَظِيـــمِ جاري[1]
بِصُحْبَةِ الصَّبِيّ ذِي الـخِصَالِ ذاتِ النشا الكريم . والفعـالِ[2]
ببـعْضِ دَرْبِ العَـوْدَةِ الحَزِينَـةْ كانت بالابوا ــ للرَّدِي رَهينـةْ[3]

في كفالة جده عبد المطلب ثم وفاة جده :

الجِـــدُّ رقَّ لِوَفَــــاةِ الأمِ فَضَمَّـهُ مُخَفِّفـاً مِنْ للهـمِّ
أَحَبَّــهُ جَدُّهُ حُبّـاً جَمَّـــاً فكــانَ وَالِــداً لَهُ وأُمَّــــاً
لأنـــه رأى عليــه سيمــــا تقـولُ : يَغْدُو اِبْنُهُ عَظِيمَـــا
وَلَمَّـــا صار عمــره ثمَانِيَـــةْ تُوُفِّيَتْ نَفْسٌ عَلَيْـــهِ حانِيـــةْ
توفـيَ الجَدُّ الـذي قدْ كَانَـــا على الحيــاةِ ابنَـــهُ أَعانــــا
قد شاء ربي أن يكون وحده يكـلا ويرعـى حِبَّـــهُ وعبـــده
والله .. جلَّ اللهُ .. ما يريـدُ يفعـل ما لا يعلـم العَبيـــدُ

عند عمه أبي طالب وكفالته :

وضَمَّـــهُ العَـــمُّ إلى عِيَالِـــهِ فَبَــارَكَ اللهُ لَهُ في مَالِـــهِ

---

(١) جاري : سائر وماض .
(٢) النشا : الحديث والخبر .
(٣) توفيت أمة آمنة وهي قافلة من زيارة أخوال عبد الله بن عبد المطلب والأبواء قرية قريبة من المدينة وقيل كان عمره ﷺ ست سنين آنذاك .

أَحَبَّـهُ أَكْثَـرَ مِنْ أَبْنَائِـهِ ... وسُرَّ مما كان من أنْبَائِـهِ
لَمْ يَلْقَ مِنْ أَمْثَالِـهِ عَفَافَـا ... ولا كَأوصافِ الفتى أوْصَافـا
مَجَّتْ ثَنَايَا نَفسِهِ الأَصْنَامَـا ... كُرْهاً لَهَا وَمَجَّتِ الأَزْلَامَـا
وَكَانَ أَوْصَاهُ بِهِ بَعضُ العَرَبْ ... لأنَّـهُ هُوَ النَّبِـيُّ المُرْتَـقَبْ[1]
كَذَا وبَعْضُ مَنْ قرا الكتابا ... أوصاهُ لا تَألونـهُ طِلَابَـا[2]
فازْدَادَ حِرْصُهُ عَلى مَكْفُولِـهِ ... وَالقَلبُ لا يُغلَبُ في مُيُولِـهِ
عَلَيْهِ كَانَ مُشْفِقـاً غَيُـورَا ... وقَـدْ رَآهُ كَامِـلاً طَهُـورَا

★ ★ ★

الرحلة إلى الشام :

أَقَـامَ في رِحَالِـهِ أَعْوَامَـا ... يَزِيـدُهُ في كُلِّهـا إِكْرامَـا
وَذَاتَ يَوْمٍ رغب الكفِيـلُ ... كَمـا رَأى مِنْ قَومِـهِ القَبِيـلُ[3]
أن يَقْصدَ الشَّامَ لِلتّجـارَةْ ... ولَـمْ يَكُـنْ في قَصْدِه الزيـارةْ
فاصْطَحَبَ العَمُّ الفَتى في الرِّحْلَةْ ... فلَـمْ يجد من البَنِيـنَ مِثْلَـهْ
عَزْمـاً وَحَزْمـاً وَصفَـاءً وَنَقَـا ... وَعِفَّـةً وَهِمَّـةً وَخُلُقَـا
وزَادَهُ تعلقـاً وَحُبَّـا ... به الـذي في كُتْبِـهِ أَكَبَّـا
راهبُ بُصْرَى قَدْ رَأى في الكُتْبِ ... سِيمَا نَبِـيِّ اللهِ خَيْـرِ العُـرْبِ[4]
أوصاهُ أَنْ يُحيـطَ بالعِنايـةْ ... مُحَمّـداً وَالعَـونِ والرِّعَايَـةْ
ولَـمْ تَدُمْ رِحْلَتُـهُ طَوِيْـلَا ... بَلْ عَادَ لَمْ يَلْبَثْ سِوَى قَلِيلَا

---

(١) أي المنتظر
(٢) أي من أطلع على الكتب السماوية السابقة كالتوارة والإنجيل .
(٣) أي الأهل والعشيرة .
(٤) بصرى قرية على حدود الشام .. والراهب هو بحيرا ، اعترضهم أثناء الرحلة سائلاً عما وجده في الكتب المقدسة . ورأى الصفات التي قرأها تنطبق على محمد ﷺ فأوصاه به .
وكان مما قاله بحيرا لأبي طالب «ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال بحيرا : ما هو ابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حياً .. قال أبو طالب : فإنه ابن اخي . قال : ما فعل أبوه ؟!. قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود . فو الله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنَّهُ شراً . فإنه كائن لإبن أخيك هذا شأن عظيم ..» ابن هشام ص ١٨٨ جـ١ .

نَمَا الصَّبيُ في ظِلَالِ عَمِّهِ وشَبَّ في وَصْفٍ على أتمِّهِ

زواجه من خديجة بنت خويلد :

أخلاقُهُ كانت هيَ الأمانة والصدق والوَفَاءَ وَالحَصَانَةْ
حتّى دَعَاهُ قَوْمُهُ الأَمِينَا محمداً ، والصادِقَ الحَصِينَا
فَسَمِعَتْ بِسَمْتِهِ خديجةْ وَأَسَدٌ نِسْبَتُهَا الأكِيدَةْ[1]
سَيِّدةٌ ذاتُ ثَراءٍ تَاجِرَةْ شَرِيفَةٌ ، كَرِيمَةٌ ، مُثَابِرَةْ[2]
فاستَأجَرتْ محَمَداً لِيَخْرُجَا بِمَالِهَا ، مُتاجِراً وَمُنْتِجَا[3]
لِلّشَّامِ كَانَتْ رِحْلَةُ المُتَاجِرِ وقد حَوَى خُلَاصَةَ المَفَاخِرِ
وَكَانَ في صُحْبَتِهِ غُلامُ رِحْلَتُهُ مَعَ الهُدَى وِسَامُ
وَإِسْمُهُ مَيْسَرَةٌ وَفَازَا بِصُحْبَةٍ ظَلَّتْ له امتيازا[4]
قد أَعْجَبَتْهُ إذْ رأَى ــ الخِلالُ والنورُ ، والبَهَاءُ ، والجَمَالُ
وزَادَ في إعْجابِهِ الغَمَامَةْ تُظَلِّلُ الأمين كَالحَمامَةْ[5]
آبَ الأمينُ الخيرُ بِالأَرْبَاحِ وَآبَتِ الرحلةُ بالنّجاحِ
مَيْسَرَةٌ قَصَّ عَلَيْهَا الخَبْرا وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ قَدْ ذَكَرَا
فزادهَا حباً له وَوُدّا وأُعجبَتْ بِمَا حَكَاهُ جِدَّا
وتمَّمَ اللهُ لَهُ الّذِي قَضَى بِعِلْمِهِ بِمَا أَتَى وَمَا مَضَى
إذْ خَطَبَ العَمُّ لَهُ الشَّرِيفَة خَدِيجَةَ الطَّاهِرَةَ العَفِيفَةْ
إذ عُمْرُهُ تَجَاوَزَ العِشْرِينَا بِخَمْسَةٍ ، وَتِي لها اربعينا[6]
وَنَعِمَتْ بِبيْتِ سَيِّدِ البَشَرْ هَذَا الذيْ لِأَجْلِهِ انْشَقَّ القَمَرْ

---

(١) هي خديجة بنت خويلد الأسدية سيدة شريفة ثرية تاجرة . ينتهي نسبها بلؤي بن غالب .
(٢) أي مداومة على التجارة
(٣) منتجاً : أي مشتغلاً
(٤) أي علامة حفظها له التاريخ .
(٥) أي في انتقالها .
(٦) كان عمره خمسة وعشرين عاماً . وعمرها أربعين عاماً

كَانَ لَهَا فَتىً دَعَتْهُ هَالَهْ ... غَدَا رَبِيبَ المُصْطَفَى وَآلَهْ[1]

خَدِيجَةٌ كَانَتْ لَهُ مُوَاسِيَا ... دَوْماً وَكَانَ الزَّوْجُ عَنْها رَاضِيَا

قصة إعادة بناء الكعبة

وجاءَ أَنَّ الكَعْبَةَ المعظَّمَةْ ... عندَ جميعِ العَرَبِ المُكَرَّمَةْ

قد صدَّعَتْ جُدْرانها السيولُ ... بشدةٍ والزمنِ الطويلُ

فَرغِبتْ قريشُ أَنْ تُعِيدَهَا ... كَما مَضَتْ وأَنْ ترى جَدِيدَهَا[2]

سَادَاتُها اختَارُوا لَها الشّرِيفَا ... مِنْ مَالِهِمْ والطَّاهِرَ النَّظِيفَا[3]

وبَدَأوا للكَعْبَةِ البِنَاءَ ... جَمِيعُهُم مُسَاهِماً قد جَاءَ

لكُلِّ قَوْمٍ مِنْ قُرِيشٍ رُكناً ... يَبْنُونَهُ فَضْلاً لَهُم وحِصْنَا

محمدٌ مَعَ الرِّجَالِ يَحْمِلُ ... حِجَارَةَ الكَعْبَةِ ثم يَنقُلُ

وعِنْدَما لَمْ يَبقَ إلا الأَسْوَدُ ... وكانَ لَا يَبْنِيهِ إلا السيدُ[4]

تنازعوا في حملِه وزادوا ... من الخِصَامِ للقِتَالِ كَادُوا

فقالَ أكبرُ الرِّجالِ سِنَّاً ... إنْ شئتُمُ فضلاً لكُمْ وأَمْنَا[5]

فحكِّموا منكمُ مَنْ تَرْضَوْنَهُ ... وأَوَّلَ الرجَالِ إذ تَرَوْنَهُ

قالوا : قبلْنَا أَوّلَ الرِّجالِ ... وإِذْ أتى مُحَمدٌ في الحَالِ[6]

فابْتَهَجُوا لَمّا رَأَوا وَصَاحُوا ... هذا الأمينُ وجهُهُ الوَضاحُ

لقد رَضِينَاهُ لما نَعْهَدُهُ ... مِنْ صِدْقِهِ وبَيْنَنَا نَحْمَدُهُ

ثمَّ حَكَوا لِأحمدَ الحِكَايَةْ ... مِنَ البِدَايَاتِ إلى النِهايَةِ

فَبَسَطَ الرِّدَاءَ قائلاً : ألا ... تبغونَ فَضْلَ حَمْلِهِ ؟ قالوا : بَلَى

(١) أي غدا في بيته ﷺ

(٢) هابوا هدمها في البداية حتى شرح الله صدور بعضهم . فبدؤوا وكان الوليد بن المغيرة أول من بدأ الهدم . وهو يقول : اللهم لم ترع اللهم إنا لانريد إلا الخير ..»

(٣) البعيد عن الحرام من ربا وغيره

(٤) لأنه يروى أن الحجر قد نزل من السماء

(٥) الذي قال ذلك هو أبو أمية المخزومي وكان أسن رجال قريش (أمنا) بعداً عن حرب واقتتال

(٦) كان عمره آنذاك خمسة وثلاثين عاماً كما ورد في سيرة ابن هشام ص ١٩٨ جـ١

فقال : بعد أن على الرداء   وَضَعَهُ ذو الحِلْمِ والسَّخَاءِ
لِيأْخُذِ السَّادَةُ بِالأَطْرافِ   فأَبْعَدَ القَوْمَ عَنِ التَّجافي[1]
ثُمَّ بكفِّهِ الشريفِ البرِّ   وَضَعَهُ الأمينُ في المقرِّ
وانتهتِ المُشْكِلَةُ الكَبيرَةْ   وكَمْ مثيلاتٍ لَهَا صَغيرَةْ
جَرَّتْ إلى الوَيْلاتِ والحُروبِ   وخلّفت شتى من الكُرُوبِ

★ ★ ★

لا تَعْجَبَنَّ مِنْ تَنَافُسٍ على   أَمْثَالِ هَذَا عِنْدَهُم إنْ حَصَلَا
فالبَيْتُ كانَ القبلَةَ المحجُوجَةْ   فيهِ المعالي كُلُّها مَمْزُوجَةْ
ألَمْ يقُلْ رَبُّ السَّماءِ عَنْهُ   أَنْ يعمُرُوا البيتَ بِإذْنٍ منهُ[2]
وأنهُ أوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَا   لِلنّاسِ ، وَالحجُّ إليْهِ شرِعَا[3]
ما زالتِ العُرْبُ بكلِّ عَصْرٍ تراهُ   بيتاً لِلْعُلا والفخرِ
لِذَاكَ كانَ كلُّ من تَنَافَسَا   فيهِ لثوْبِ العزِّ دَوْماً لَابِسَا

★ ★ ★

حِصنٌ لِرَبِّ الكونِ لا يَزَالُ   مَنْ يَحْتَمِي في كَنَفِهِ ينالُ
أمناً وَيَحْظَى بالذي أرادا   ويبلُغُ السَّلامَ والرشادَا

بعض من معيشته قبل البعثة ﷺ :

دَعْنِي أُحَدِّثْكَ عَنِ النبيِّ   ذِيْ الخُلُقِ المطَهَّرِ الزكيِّ
واللهِ مَا مَلَّ اللّسانُ ذِكْرَهُ   وَوَصْفَهُ وَمَدْحَهُ وَنَصْرَهُ
بل كلما وصفتُهُ تحلّا   قلبي وَفِكْرِيْ وعليه صلّى
محمدٌ طَوَّقْتَ مَا فِي الكَوْنِ   فضلاً وإرْشاداً بكلِّ لَوْنِ

---

(١) التجافي : التنافر والتقاطع

(٢) اشارة لقوله تعالى في سورة آل عمران : «إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركاً وهُدىً للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً» . الآية ٩٦

(٣) شرِعًا : أي فرضاً .

لَوْلاكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا سَعَادَةْ ... وَلَمْ نَذُقْ مِنْ لَذَّةِ العِبَادَةْ
وَلَا عَرَفْنَا هَذِهِ الحَيَاةَ ... يَابِسَةً ، أم تُنْبِتُ النَّبَاتَا[1]
رَعَيْتَ مِنْ قَبلِ المَجِيءِ الغَنَمَا ... وَصِرتَ مِنْ بَعْدُ تَقودُ الأُمَمَا[2]

وَهَذِهِ في الأَنْبِيَاءِ سُنَّةْ ... فَضْلاً مِنَّ اللهِ لَهُمْ وَمِنَّةْ[3]
رَعَوا كَما رَعَيْتَ أَنْتَ الشَّاةَ ... إِذْ أَصْبَحُوا مِنْ بَعْدِهَا هُدَاةَ

★ ★ ★

شَارَكْتَ أَهْلِيكَ بِحلْفِ الفَضْلِ ... لأَنَّهُ مَجْلَبَةٌ لِلْوَصْلِ
وكُنتَ شَارَكْتَ بِحَرْبٍ دَارتْ ... لنصرِهِمْ وعونِهِمْ ، وصارَتْ

★ ★ ★

فِي اليُتْمِ عِشْتَ لم تكن ذَا مَالِ ... وَلَا وَرِثْتَ سَيِّءَ الخِصَالِ
إذ بَيْنَما الشَّبَابُ عِندَ القومِ ... يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ دونَ لَوْمِ
مِنْ شُربِ خمْرٍ ، وقمارٍ ، وخنا ... وفوقَ هَذَا يَعْبُدُونَ الوَثَنَا
غدوتَ ما بُغْضَ شَيءٌ مِثْلُ ذا ... إِلَيْكَ مِنْ فَوَاحِشٍ ومِنْ بَذَا
وبُغِّضَ الشعرُ إليك أيضاً ... فَلَمْ يقُلْ محمدٌ قريضَا
أَلَمْ تقُصَّ قِصَّةً جَرَتْ لَكَا ... محدثاً صحباً جلوساً عندكا
مِنْ قَبْلِ أن يأتيكَ بالرِّسالةْ ... جِبْرِيْلُ مِنْ مَوْلَاهُ ذِي الجَلَالَةْ :
رغبتُ يَوْماً في حُضُورِ عُرْسِ ... تُسَامِرُ الشَّبابَ فيهِ نفسِي
فَضرَبَ اللهُ عَلَيَّ النَّوْمَا ... فَما رَأيتُ في الضَّلالِ القَوْمَا
ولَمْ أَعُدْ مِنْ بَعْدِهَا لِمِثْلِها ... ولا رغبتُ مِثلَها مِنْ قَبلِهَا
رَبُّ السَّمَاءِ جَلَّ قَدْ رعَاكَا ... مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَأذىً حَماكَا

★ ★ ★

---

(١) أي هل الموت نهاية لها ، فهي منقطعة زائلة . أم أن الموت يوصل الى حياو اخرى أفضل .

(٢) كان النبي ﷺ يرعى الغنم في مكة .

(٣) وقد رعى موسى الغنم أيضاً (وما من نبي الا رعاها) كما أخبر رسول الله ﷺ

مِنْ عَملِ اليَدَيْنِ كُنْتَ تَكْسَبُ ... تَعُودُ مِنْ تِجَارَةٍ وتَذهَبُ
أكرمَكَ اللهُ بزوجِ الخَيْرِ ـــ ... خَديجَةٍ ذَاتِ الثَّرَى وَالمَيْرِ
مِنْ فَضْلِهِ الرَّحْمن قَد أَغْنَاكَا ... سُبْحَانَهُ خَلَّاكَ مَا خَلَّاكَا

★ ★ ★

وَسَلَّمَتْ بِنَفْسِهَا الأَحْجَارُ ... عَلَيْكَ والجَمَادُ وَالأَشْجَارُ[1]
فكُلَّمَا مَرَرْتَ فِي طَرِيقِ ... سَمِعْتَهَا تَحِنُّ للشفيقِ
أَرَادَ رَبُّ الكَوْنِ أَنْ يَدُلّا ... عَلَيْكَ مَنْ بِالعَقْلِ قَدْ تَحَلَّى
من بعد أن تكلَمَ الحجارة ... نطقاً بِفَضْلِ مَنْ لَهُ الصَّدَارَةْ

★ ★ ★

وبَشَّرَتْ بأمرك التَّوْرَاةُ ... وبُيِّنَتْ في مَتْنِهَا الصِّفَاتُ[2]
وفَاخَرَ اليَهُودُ أَهْلَ يَثْرِبِ ... أن يَغْلِبُوهُمْ بالنبيِّ اليَعْرُبِي[3]
لكِنَّهُ مِنْ شِيمَةِ اليَهُودِ ... بهتانهم بالكُفْرِ والجُحُودِ
كذا وفيك بَشَّرَ الإنجيلُ ... وَقَدْ عَنَاكَ ، إِذْ دَعَا الخليلُ

★ ★ ★

(١) جاء في نور اليقين (ص) ١٩ (فكان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لايرى بيناء ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع : الصلاة والسلام عليك يارسول الله .

(٢ و ٣) ذكرت في التوارة صفات النبي محمدﷺ وكذلك كان اليهود إن خسروا معركة في يثرب استفتحوا على العرب بالنبي الذي دنا وقت ظهوره .

القسم الثاني
البعثة النبوية ومرحلة الجهاد

بدء الوحي

وَكَـــانَ مِنْ أمَــارةِ النُّبُـــوَّةْ حيثُ تَزِيـــدُ في الإيمانِ قُوَّةْ
أَنْ لَا يَرى في رَقْدَةٍ مَنَامَا إلا وَجَــاءَ مِثْلَـــهُ تَمامَـــا
وأنـــه تُسْمِعُـــهُ الهواتـــفُ وصفــاً له وتنطقُ الصحائـف

★ ★ ★

وحَـــبَّبَ اللهُ لَهُ انْفِــرَادَا إلى حِرَاءَ يَهْجُــرُ العِبَـــادَا[1]
يقيمُ فيــهِ وَحْــدَهُ مُفَكِّــراً إذ كانَ رَبِّي أمــرَهُ مُدَبِّـــرا
وبــينما أقــامَ ذات ليلـــةْ فيــهِ وَلِلْكَـوْنِ سُكُونٌ حَوْلَــهْ
إذْ جاءَهُ مِنْ السَّمَا جبرِيــلُ وَمَــنْ يَقُـــولُ غير ذا يحولُ[2]
فَغطّــهُ ثَلاثـــةً وَقَـــالَا : إقرَأْ فقـــالَ : كان ذا محالا
لِأَننـــي في مَعْشَرٍ لا أَقْــرأ وَلَا هُمُ عَنِّي بِهـــذا أَنبَـــأوا[3]
فقـــالَ جبريـــل له مُعَلِّمَـــا ومـــا أتـــىٰ بِهِ لَهُ مُسَلِّمَـــا
«إقرأ وباسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقْ» وصوَّرَ الإنْسانَ مِنْ أصْلِ العَلَقْ[4]

★ ★ ★

ثُمَّ ارْتَقَى وقَالَ : يا مُحمَّدُ !.. أَنْتَ الرَّسُولُ المُصْطَفَى الموحِّدُ
وإننـــي جبريـــلٌ ، الأَمِيـــنُ على القُـــرانِ وَأَنَـــا المَكيـــنُ
فخافَ مِنْ ثِقل الخِطَابِ وَارْتَعَدْ وإنَّـهُ لَسَامِعٌ مَهْمَـــا ابتَعَـــدْ
صوتَ الأمين قائِلاً شَهِـــدتُ بِآيَـــةٍ إلَـــيْكَ قَدْ بُعِـــثْتُ
وإنَّمـــا أنتَ نَبِـــيُّ الأُمَّة وَمَنْ سَيَجْلُوا عَنْ حِماهَا الغُمَّةْ

---

(١) حراء : هو جبل قريب من مكة .
(٢) أي يميل عن الحق .
(٣) أي ما قال أحد منهم عني ذلك . ولا عرفوا عني أني أقرأ أو أكتب وإنما كان قول الرسول ﷺ : «ما أنا بقارىء» .
(٤) إشارة لقوله تعالى في سورة العلق «اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق» ١ ـ ٢

فعَادَ أحْمَدُ إلى مَنْزِلِهِ مُرْتَعِداً ، والوَحْيُ في أَوَّلِهِ
يقولُ : دَثِّرُوا ، فقَدْ رَأَيْتُ مَا مِنهُ خِفْتُ وَلَقَدْ مَضَيْتُ[1]

★ ★ ★

مذ سمعتْ خديجةٌ منه الخبرْ قالَتْ لَهُ لأَنْتَ أَفْضَلُ البشرْ[2]
واللهِ أَنْتَ لَتُعينُ الكَلَّا وتحْمِلُ الضَّعيفَ حيث حلَّا
وتَصِلُ الأَرْحَامَ لَا تقطعُها وَلَا تُجافِيها وَلَا تَمنعُها
أَبْشِرْ فَقَدْ رأَيْتَ كُلَّ الخَيْرِ وَمَا عَلَيكَ بَعْدَها مِنْ ضَيرِ
إذ ذاكَ كان عمرُه قَدِ اكْتَمَلْ فصارَ أَرْبَعينَ في غَيرِ زَلَلْ
أبشر فيا ابن العمّ إنّي سَائِلَةْ وَرَقَةَ بن نوفَلٍ وَقائِلَةْ[3]
مَا إنْ ورقةٌ لِهَذا يَسْمَعُ حَتَّى يَقُولَ : إنَّ نُوراً يَسْطَعُ[4]
إنَّ الذي أَتَاكَ جَاءَ مُوسَى مِنْ قبلِ هَذَا وهَدىَ النُفُوسَا
يا لَيْتَني يا ابْنَ أَخِي فتىً جَذعْ إذْ يُخرجُوكَ . ليتني ممنْ دَفَعْ

★ ★ ★

قالَ لَهُ : مُهَذِّبُ العِبَادِ أَمُخْرِجِي هُمُ مِنَ البِلَادِ ؟!

★ ★ ★

أَجَابَ : مَا جَاءَ بِهَذا أَحَدُ إلَّا وَعَادَاهُ الألى قد حَسَدُوا
لَأُنصُرَنَّ الحقَّ إنْ بَقيتُ وادْفعَنَّ عَنْكَ إنْ دُعِيتُ[5]

★ ★ ★

---

(١) المقصود بالخطاب زوجه خديجة .

(٢) لما كانت تراه من أخلاقه ﷺ .

(٣) قاصّة عليه الخبر .

(٤) قال : «لئن كان هذا حقاً ياخديجة . إن محمداً لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كان لهذه الأمة نبي ينتظر .. هذا زمانه» سيرة ابن هشام ص ١٩٧ جـ١

(٥) قال صاحب نور اليقين «ثم لم يلبث ورقة أن توفي»

قدْ فتَرَ الوَحْيُ إلى أَنْ ضاقَا   مُحَمّدٌ ذَرْعاً وَمَا أَطَاقَا[1]
وَحكمةُ الله قَضَتْ أَنْ يَنْقَطِعْ   عَنْهُ الأَمِينُ بُرْهَةً لِيَنْدَفِعْ
بِدافِعِ الشَّوقِ إلى رُؤَاهُ   والشَّوْقُ يَكْفِي المَرْءَ عَنْ سِواهُ

★ ★ ★

ظَنَّ النبيُّ أن رَبَّهُ قَلَا   لِضَعْفِهِ في نَفْسِهِ وَقَدْ سَلَا
فضَاقَتِ الدُّنْيا وَهَمَّ كُلَّمَا   رقَىٰ ذُرىً لَوْ أَنّهُ مِنْها ارْتَمَى
يخافُ أَنْ يقطعَهُ جِبْرِيلُ   وَيَحْجُبَ الفَضْلَ بِهِ الفَضِيلُ

★ ★ ★

لَكنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتاً هَاتِفاً   أَنْتَ الرَّسُولُ الحَقُّ كُنْ لي عَارِفَاً
فيطمئنُّ المُصْطَفَى وَيَرْجِعُ   عَنْ أَمْرِهِ الّذي لَهُ قد يُزْمِعُ

★ ★ ★

عودة الوحي :

وبينما يوماً مَشَىٰ أَتاهُ   صوتٌ من الوحي الذي دعاهُ
رَآهُ جَالِساً عَلَى الفَضَاءِ   مُعَلّقاً في الأرضِ وَالسَّمَاءِ
فَخَافَ مِثلَ خَوْفِهِ في الأُولى   إذ غَطَّهُ فَلَمْ يُطِقْ وُصُولا
وقال : دَثّرُونِ دَثّرُوني   وَزَمِّلُون ـــ أَهْلِ ـــ زَمِّلُوني
فأُنْزِلَتْ : «يا أَيُّها المُدَّثّرُ   قُمْ» أَنْذِرِ القَوْمَ الأُلى لم يُنْذَرُوا

★ ★ ★

الدعْوَةُ سِرّاً

وعند ذاك بَدَأَ النِّضَالُ   والأَخْذُ ، والعَطَاءُ ، والسِّجَالُ[2]

---

(١) كانت فترة انقطاع الوحي سنتين ونصفاً . كما ذكر ابن هشام ص٢٥

(٢) أي مع قومه الذين أصروا على الشرك وقلدوا الأجداد إلى أن هدى الله من شاء منهم

وبدأ النبي يدعو الناسا ... مُعلماً كي يَهْجُروا الأَرْجَاسَا

دَعَاهُمُ لِيَعْبُدُوا الرَّحْمانَا ... لَا غَيْرَهُ وَيَتْرُكوا الأَوْثانا

لِيَحطمُوا الأَصْنَامَ والحِجَارَةْ ... لأن في دعائها الخسارة

أَنْ يَتْرُكُوا التقليدَ وَالخُرافَةْ ... ويَرْجِعُوا لِلرُّشْدِ والحَصَافَةْ

مُتَمِّماً مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ ... ودَاعِياً لِنُصْرَةِ الخَلَّاقِ

بدايَةُ الدَّعْوَةِ كانَتْ سِرّاً ... وَلَقِيَ الأَتْبَاعُ فيها المُرّا

نتائج الدعوة السرية :

أما ذوو العقلِ فحالاً بادروا ... إليه ثُمَّ عاونوا وآزَرُوا[(١)]

وحكمةُ الدعوة بالسرّية ... كما أترى في السيرة المَرْوِيَّةْ

أَن لا يُبَلَّغَ الشَّدِيدُ لِلْعَرَبْ ... حالاً وإلا بان شرٌّ واقْتَرَبْ[(٢)]

★ ★ ★

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمُوا في الحَالِ ... خدِيجَةٌ سَيِّدَةُ الحِجَالِ[(٣)]

وابنُ أبي قحافةٍ قد جاء ... مُسلِماً مُذْ سَمِعَ الأَنْبَاءَ[(٤)]

تقدم الفتى وما تأخرا ... وَصَدّقَ النبيَّ فيما أَخْبَرا

ثُمَّ عَليٌّ وَكَذاكَ زَيْدُ ... وَأُمُّ أَيْمَنٍ كذا سَعِيدُ[(٥)]

ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ دَعَا عُثْمانَا ... فَمُلِئَ الفتى به إيمانا[(٦)]

---

(١) آزروا أي أعانوا ووقفوا الى جانب الحق مدافعين مسلمين مؤمنين

(٢) لم يرد الله أن يفجىء العرب قاطبة بأمر الأسلام الذي يقضي تغيير المجتمع وقلب مفاهيمه بشكل جذري لذلك كانت الدعوة سراً في بدايتها .

(٣) هي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ وسيدة الحجال : يعني النساء لأن المرأة ربة الحجال وكانت أول من آمن

(٤) هو ابو بكر الصديق أبوه أبو قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي ورد أنه كان صديقاً لرسول الله ﷺ قبل أن يبعث وما ان سمع منه نبأ بعثته حتى قال : بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت ، ونطق بالشهادة ولم تكن له كبوة كغيره .

(٥) علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ ورد في نور اليقين « وكان عنده مقيماً يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره» ص٢٩ ـ وزيد هو ابن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ اشتراه النبي واعتقه ثم تبناه إلى أن أبطل الله التبني

(٦) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي ، جامع القرآن أحد الخلفاء الأربعة الذين هم : أبو بكز وعمر وعثمان وعلي

(٧) أم أيمن حاضنته اسمها بركة ، وسعيد هو بن زيد كان من السابقين الى الإسلام .

لَقَدَ أرادَ عَمُّـــهُ أن يَفْتِنـــه   فما اسْتَطَاعَ جَاهِداً أَنْ يُوهِنَهْ[1]

ومِنْهـُمُ الزُّبَيْـرُ[2] وابـنُ عَوْف[3]   وسعـدُ[4] أسلمـــوا بدون خوف

وطَلْحَـةٌ كذَا صُهيبٌ أَسْلَمَـا   وشَطْـرَ سَيِّـدِ الهُـــدَاةِ يَمّمَـــا

وجَـاءَ عَمّــارٌ[7] وعَبْـــدُ اللهِ[8]   وَيَـــــاسِرٌ[9] إلى رَسُولِ اللهْ

وأَسْلَـمَتْ لِرَبِّهـــا سُمَيَّـــةْ   وأَصْبَـحَتْ بنفْسِهـــا رَضِيَّـــةْ

وَرَجُـــلٌ أَتـــاهُ مِنْ غِفـــارِ   إذ قد رَآهُ قِبْلَـــةَ الأَنْظَـــارِ[10]

وغَيرُهُـمْ وغَيْرُهُـمْ مِمَّـنْ دَخَـلْ   في الدِّينِ ثُم للنَّجاةِ قَدْ وَصَلْ[11]

قد جمَعَ الديـــنُ مَعَ الغنـــيِّ   والمعــــدم المحروم والولـــيِّ

فالفضلُ للتقـــوى بعين الحقِّ   لا فضلَ بالشكلِ ولا بالعِرْقِ

★ ★ ★

كم ذَاقَ هَؤُلاءِ مِنْ قُرَيْشِ   حيـنَ أَبَتْ واسْتَمْسكت بالطيشِ[12]

مُرًّا مِنَ العَذابِ لكِنْ صَابَـرُوا   وَآزَرُوا مُحَمَّـــداً وَنَـــاصَرُوا

فهـــؤلاءِ شَمْعَـــةُ الهِدَايَـــةْ   وتـرسُ هذا الدِّيـــنِ لِلرِّمَايَـــةْ

---

(١) عمه الحكم لما علم باسلامه أوثقه وقال : ترغب عن دين آبائك وأجدادك الى دين مستحدث ، والله لاأهلك حتى تدع مأأنت عليه ، فلم يجبه عثمان الى طلبه ، فلما رأى صلابته في موقف تركه .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسدبن عبد العزى بن قصي القرشي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب ، كان عمه بعد أن أسلم يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع عن دينه الى دين آبائه فقواه الله بالثبات»

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي كان اسمه في ا لجاهلية عبد عمرو فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن» نور اليقين ص٣١

(٤) سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الهاشمي .

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ينتهي نسبه الى مرة التيمي القرشي . أبلى في الاسلام بلاءً حسناً وصابر وجاهد مع رسول الله ﷺ ، وهو طلحة الخير ، وطلحة الجود ومن المبشرين بالجنة .

(٦) صهيب الرومي ، وهو من الموالي . بذل ماله يوم هاجر في سبيل الله وقال عنه الرسول ﷺ « ربح البيع أبا يحي .. » .

(٧) عمار بن ياسر العنسي .

(٨) عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل المعروف شهد مع رسول الله المشاهد كلها وهو أحد الفقهاء العلماء من الصحابة .

(٩) هو والد عمار ـ ياسر العنسي ـ وسمية زوجه (أم عمار) .

(١٠) هو ابو ذر الغفاري كان من الفصحاء من أهل البادية يرعى الغنم تتبع أمر الرسول ﷺ حتى عرف أنه الحق وأنه يأتيه الناموس الأكبر فأقبل مسلماً

(١١) كان من أوائل من أسلم أيضاً سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه فاطمة أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم و غيرهم

(١٢) لطيش : الجهل

هُمُ تَلَقّوا بالفِدَى النبيا وأنفقوا في ذا دماً زكيا

اختارُوا الأَذى والجُوعَ والمَشقَّةْ لمّا رَأَوْا نُورَ الهُدَى وصِدْقَهْ

لم يُعْطِهِمْ مُحمدٌ أَمْوالاً حتَّى أَتَوْا لِدينهِ أَرْسَالَا

بَلْ كُلُّ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ صَبَأَ عذابُهُ مِنْ مَالِكِيهِ مَا هَدَأ[1]

لكنَّهُمْ تَبَيَّنُوا الطَّرِيقا فوجَدُوهُ بالفِدَا خَلِيقا

وَلَمْ يُبَالُوا أَبَداً بِالمَوْتِ نَجَوْتِ يا نفْسُ !.. إذا نجوتِ[2]

★ ★ ★

ها هم أولاء ملأوا الشِّعابَا[3] يدعون رباً عَنْهُمُ ما غابا

فكلُّ مَنْ تَاقَتْ إلى العبادة نَفْسٌ لَهُ فَيَنْبغي انفرادَهْ

مُسْتخفياً يخاف مِنْ أَذَاهُمُ وبطشِهِمْ ومعلناً ، لولاهُمُ

ها هم أولاء نَحْوَ أَرْبَعِينا صَارُوا بِعَوْنِ الله راشدينا

وذاك يقضي منهم اجتماعا ولِلْهُدَى مِنْ أَحْمدٍ سَمَاعَا

حَفُوا بِدَارِ الأَرْقَمِ بن الأَرْقَمِ[4] لِيَلْتَقُوا بالسَّيِّدِ المُعَلِّمِ

فكانَتِ الدَّارُ لَهُمْ كالنَّدْوةْ في المُلْتَقى عِنْدَ المَسَا والغدْوَةْ

يُعلِّمُ النَّبيُّ فِيها مَنْ أَتَى لكنَّ هَذا سَائرٌ حَتَّى مَتَى ؟

إذ عددُ الأَتْباعِ في ازْدِيَادِ والنَّاسُ يَسْعُونَ إلى الرَّشادِ

★ ★ ★

الجهر بالدعوة[5] :

قد بقي النبيُّ يدعو بالخفا ثلاثةً حتى رأى أن يهتفا[6]

(١) مافتر ولا انقطع .

(٢) أي إذا استمسكت بالحق وهو الدين القويم لأن فيه النجاة .

(٣) كانوا أذا أرادوا صلاة تفرقوا الشعاب يصلون ركعتين في الصباح وركعتين في المساء حتى فرضت الصلوات الخمس

(٤) وهو من السابقين الى الاسلام أيضاً .

(٥) أي اعلان الدين على الملأ من قريش . وفي انديتهم ومجالسهم ، ومجامعهم العامة

(٦) بقي ثلاثة أعوام يدعو الناس سراً . حتى أذن له الله بالجهر . فقال جل وعز في سورة الحجر «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »

وَأَذِنَ اللهُ لَهُ بِذاكَـــــا ... فقالَ «فاصْدَعْ» بالذي أَتـاكا[١]
ولا تَخَـفْ أَذِيَّـةَ الكُفّـارِ ... ما دُمتَ في عَيني وفي جِواري
فأظهرِ الإِسْلامَ في المَجامِـعِ ... واجهَر بِهِ دَوْماً على المَسَامِـعِ

قامَ النَّبِيُّ عِنْدَهـا إلى الصَفـا ... حتى عَلى مَكَّةَ أَضحَى مُشْرِفَا[٢]
وصاحَ : يَا قومُ أَلَا أُتيتُـمُ ... فَلَا تَقولُوا بَعْـدُ مَا دُعِيتُـمُ[٣]
أبناء عمي !.. يا بني عديٍّ ... إليَّ ، هل كنتُ من الرَّديِّ ؟!

فاجتمـعَ القـومُ ومـا تَخَلَّفُـوا ... لِيَعْلَمُـوا ماذا دَهَـى ويَعْرِفُـوا
فقـالَ : ما كُنْتُ عليكُمْ كَاذِبَا ... وهـلْ رأَيْتُم بَيْنكُـمْ لي عَائبـا
قالُـوا : لَنحـنُ مِنْكَ مَاجَرَّبْنـا ... مِنْ كِذْبَـةٍ قَطُ وَلَا كَذَّبْنـا[٤]
فقـال : إِنِّـي لَكُـمُ بشيـرُ ... وَإِنَّنـي مِنْ خَالِقـي نذيـرُ
أن تَعْبـدُوه وَحْـدهُ وتـذروا ... أَصْنامَكُمْ عنها ألا فَاعْتَـذِروا
فصاحَ عَمُـهُ تَبّـاً وتَبَّـا ... لأَجْلِ هَذَا جِئْتَنَـا وهبـا[٥]
فَأَنـزَلَ اللهُ الكَريـمُ الآيَةْ ... مُؤَيّـداً مُحَمـدَ الهِدَايَـةْ
«تَبَّتْ يَدَاهُ» ليسَ يُغْنِي مَالُهُ ... عَنْـهُ مِنَ النَّـارِ وَلَا عِيالُـهُ
وزَوْجُـهُ في جِيدِهَـا مِنَ المسَدْ ... حَبْلٌ لِمَا في قَلْبِها مِنَ الحَسدْ[٦]
كَانَتْ تُشيعُ الكِذْبَ في النِّساءِ ... عَنِ النَّبِـيِّ الصَّادِقِ الـوَضَّاءِ[٧]

★ ★ ★

---

(١) أي من أمر الوحي . وبلغ الناس القرآن ، وادعهم الى الاسلام الدين الحق .

(٢) صعد الرسول ﷺ الصفا وهو جبل مشرف على مكة . وجعل يصيح : يابني فهر ، يابني عدي ، معدداً بطون مكة وقريش حتى اجتمع اليه عدد ليس بالقليل .

(٣) قال ﷺ : أرأيم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنم مصدقي ؟» اجابوا ماجربنا عليك كذباً قط . فقال : فأني نذير لكم بين عذاب شديد » .

(٤) أي ولا كذبنا حديثك يوماً .

(٥) أي عمه أبو لهب . وقد قال «تبا لك ألهذا جمعتنا»

(٦) اشارة لقوله عز من قائل في سورة المسد «تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد » .

(٧) [illegible] الطاهر النقي في محياه وخلقِه وخُلُقه .

وبَعْـدَ هَذَا أَنْـزَلَ الرَّحْمَـنُ   ليبلُـغِ الـعَشِيرَةَ القُـرانُ

وَأَنْـذِرِ الأَدْنيـنَ بالآياتِ   موضحـاتٍ ثُمَّ بَيِّنـاتِ[1]

★ ★ ★

فجمـع النبـيُّ في وَليمةْ   أَدْنَيْـهِ في دِيـارِهِ الكَريمَـةْ

وَقَالَ بَعْدَها لَهُمْ : هل يكذبُ   رائـدُ قومٍ قومَـهُ ويخلُبُ

والله لَوْ أَنِّي كَذَبْتُ النّـاسَا   جَميعَهُمْ مَا خنتكم إحساسا[2]

وَلَوْ غَرَرْتُ كُلَّ من في الأَرْض   لَمَا غَرَرْتُ أُمَّتِي وعِـرْضِي

إِنِّـي وَوَالله رَسُولٌ مُرسَلُ   مِنْ رَبِّ هَذَا الكَوْنِ إِنِّي أَحْمِلُ

هِدَايَةَ النّـاسِ إلى السَّبيـلِ   ذِي الأَمْنِ في غَايَاتِهِ النَّبيـلِ

وَالله يَا قَوْمُ لَتُبْعَثُـنَّ   مِنْ مَوْتِكُـمْ ، لِلَّـهِ تُرْجَعُـنَّ

لَتُجْـزَونَّ الـحُسْنَ بالإحسان   وسيئـاتِ الفعـلِ بالـنيران

لا لَيْسَ بَعْدَ العَيْشِ مِنْ دِيَارِ   سِوَى النَّعِيمِ أَوْ عَذَابِ النّارِ

فآمنـوا بالله وأطيعـوا   رسولـه الآتي ولا تضيعـوا

★ ★ ★

تَكَلَّـمَ النَّاسُ بقَـوْلٍ لَيِّـنِ   إلا أبـا لَهْبٍ شقيـق الأرعنِ[3]

إذ قالَ قَوْلَ الـخَصْمِ والعَـدُوِّ   يُؤْذِيـهِ بالـرَّواحِ والغُـدُوِّ :

شُدُّوا عَلى يَدَيْـهِ وَامْنَعُـوهُ   وعَـنْ أذاةِ العُـرْبِ فاجْمعـوهُ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعُوا جَمِيعَـا   فَلا يَرَى مِنْ بَيْنِنَـا شَفيعـا[4]

إن تتركـوهُ عِنْدَهـا ذَلَلْتُـم   وإنْ مَنَعْتُـمْ ابْنكُـمْ قُتِلْتُـم

فقـال عمـه الكـريم : إِنِّـي   لمانـعٌ عَنْـهُ بِغَيْـرِ مَنٍّ[5]

---

(١) اشارة الى قوله تعالى في سورة الشعراء «وأنذر عشيرتك الأقربين» .

(٢) إحساساً بقبح الكذب .

(٣) عمه أبو لهب ــ شقيق الأرعن : أي صاحب الجهل والطيش

(٤) أي لايرى عند ذلك محمد من يحميه منا

(٥) هو عمه أبو طالب ــ بغير مَنّ : أي من غير منة لي عليه

مَا طَالَ عُمْرِي حَافِظٌ محمَّدَا وتـارِكٌ لَهُ الّـــذِي منـــه بدا[1]
فانْصَرَفَ الجَميعُ بَعْـدَ حِيـنِ وَأَحمَـــدٌ مُسْتَبْشِرٌ لِلدّيـــن

★ ★ ★

واسْتَهْزَأَتْ قُرَيْشُ في المَجالِسِ وقابَـلَتْ بالجَهْـلِ والتَّقَـــاعُسِ[2]
قالَتْ : أَجَاءَ الوَحْيُ لابْنِ الفَقْرِ قد كَانَ هَذَا دَاعِيـاً للنُكْـــرِ
لابْنِ أَبِي كَبْشَةَ وَحْيٌ مُرْسَلُ لَعَمْرُنَـا مَا كَانَ هَذا يُعقَـــلُ[3]

★ ★ ★

وغَـابَ عنهُـــمُ أَنَّ الرِّسَالَـــةْ أَمْـرٌ إلى رَبِّ الهُـدَى مَآلَـــهْ
وَلَمْ تَكُـنْ جَبْـراً وَلَا اكْتِسابَـا وَلَا أَتَتْ رَغمـاً وَلَا اغْتِصابَـا[4]
وَإِنَّمـــا النَّبُـــوَّةُ اختيـــارُ مِنَ الإِلَـهُ مَا بِهَـــا اتِّجـــارُ

★ ★ ★

مُحَمَّـدٌ يَعيبُ فِعْلَ القَـــوْمِ وَيَنْثَنِـــي عَلَيْهِـــمُ بِاللَّـــوْمِ
يَقُولُ : قَدْ غَادَرْتُـم الصَّحِيحَـا مِنْ دِينكُمْ وَجِئْتُمُ القبيحَـــا
وَعَـابَ أَصْنَامَهُـــم المَعْهُـــودَةْ وقال : هَذِي مَا لَها مَعْبُودَةْ ؟!
أَتخلُــقُ الإِنْسانَ أَمْ تُطْعِمُـــهُ أَمْ تَدْرِ مَا يَأْتِيهِ أَمْ تُعْلِمُهُ ؟!
بَلْ إِنَّهـا حِجـارَةٌ لَا تَدْفَـــعُ ضَرًّاً وَلَا خَيْـراً أَتانـــا تمنـــعُ

★ ★ ★

إِنِّـي لَكُـمْ يا قَوْمَنَـا لَنَـاصِحُ وَفَائِـــزٌ مَنْ جَاءَني ورَابِـــحُ
قومُوا اسْجُدُوا لربِّكُـم وَوَحِّـدُوا وَسَبِّحُـــوا بِحَمْـــدِهِ ومَجِّـــدُوا
تأتيكُـمُ الدُّنيـا بِرَغْـمِ الأَنْفِ وَإِنْ أَبَيْتُـمْ ، فابْشِرُوا بالحَتْـفِ

★ ★ ★

---

(١) أي طالما عشت ساحميه وأمنعه
(٢) الابطاء في الإجابة
(٣) أبو كبشة هو زوج حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ
(٤) أي ما أتت ببذل الجهد ، وانما هي اختيار من الله لمن شاء من عباده .

وَهُمْ تَثُوْرُ فِيْهِـمُ الحَمِيَـةْ ... فَيَغْضَبُـونَ غَضْبَـةَ المَنِيَّـةْ

وَذَاتَ يَوْمٍ بَعْدما احْتارُوا به ... وفكّروا في نَهْجِـهِ وَدَرْبِـهِ

ابتَعَثُوا مِنْ بَيْنِهِـمْ جَمَاعَـةْ ... لِعَمِّـهِ تُطـالِبُ امْتِنَاعَـهْ[1]

قَالُوا لَهُ : يَا شَيخُ خَلِّـهِ لَنَا ... مُحمَّداً ، أو كُفَّهُ عَن شَتْمِنَا

فَكَـانَ عَمُّـهُ بِهِ تَكَفَّـلَا ... وَقَـالَ قَولاً لَيِّنـا وَأَجْمَـلَا

فَانْصَرَفَ القَوْمُ بِثَوْبِ الخَيْبَةْ ... والدِّيـنُ يَزْدَادُ قِوىً وَهَيْبَـةْ

والمُصْطَفَـى ماضٍ لما يُرِيْـدُ ... ما صَدَّهُ عَاتٍ وَلَا عَنِيـدُ

★ ★ ★

فعَـاوَدُوا إِرْسَالَ بَعْضِ القَـوْمِ ... وَأَسْرَفُـوا في عَذْلِـهِ واللَّـوْمِ

قَالُـوا لَأَنتَ سَيِّـدٌ إِمَـامُ ... وَعِنْـدَكَ العِقَـالُ وَالزِّمَـامُ

وابنَ أَخيكَ قَدْ طَلَبْنَا مِنْكَا ... أَنْ تنهَهُ عَنْ دِينِنَا وعَنْكَـا[2]

وشتـمِ آبـاءٍ لنـا كِرامِ ... عَنْهُمْ وَرِثْنَا الدِّينَ باحْتِـرامِ

اسمعْ فإنْ لَمْ تَنْهَهُ نُحـارِبُ ... تَدُورُ فيما بَيْنَنـا العَقَـارِبُ

فَعَظُـمَ ، الأمـرُ على الكفيـلِ ... وَلَـمْ يَطِبْ ، فقـالَ للـرّسُولِ

يا ابن أخي : اسْمَعْنِي لَقَدْ أَتَانِي ... قَوْمِـي فَقَالُـوا ما بِهِ تَرَانِي

فابقِ علـيَّ وَعَلَيْكَ لَا تَدَعْ ... حِمْلاً ثقيـلاً لا أُطِيقُ فَأَقَعْ[3]

★ ★ ★

فقـال : يا عَمَّاهُ لَوْ أَتَـوْني ... بِالشَّمْسِ لِلْيُمنَى ولَـوْ دَعَوْني

فَجَلَبُوا البَـدْرَ إِلى الشِّمـالِ ... وسلموني قُرصَهُ في الحَـالِ[4]

---

(١) انظر : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، الطبعة الثامنة عشرة ص (٣٧) . وتاريخ الاسلام . د حسن ابراهيم حسن جـ١ ص «٧٥» وما بعد و صور من حياة الرسولﷺ ص ١٤٩

(٢) أي وكن شتم دينك أيضاً لأن أبا طالب كان لايزال على دين الآباء والاجداد رغم دفاعه عن ابن أخيه محمدﷺ

(٣) أي لاأطيق حمله

(٤) وذلك أنه قال : «والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه .»

لما تركْتُ الأَمرَ حتّى يَظْهـرَا   أو دُونَهُ أُموتُ فانْظرْ مَا تَرَى
ثُمَّ بَكَى النبيُّ ظَنّـاً مِنْــهُ   أَنَّ أَبَـا طَالِبَ ماضٍ عَنْــهُ

★ ★ ★

فقَالَ عمُّهُ : أَلا قُلْ مَا تُحِبْ   فَلَسْتُ عَنْكَ اليَوْمَ بِالّذِيْ رَغِبْ

الأذى والاضطهاد :

لكـنَّ جَهْـلَ المُشْرِكيـنَ استعظمـا   فأَكْثَـروا لَهُ الأَذَى أَنّـى احْتَمَـى
وَأَكْثَـــرُ القَـــوْمِ لَهُ أَذِيّـــةْ   عَمْروٌ ، أبـو جَهْـلٍ أَخُـو البَلِيَّـةْ[1]
يَرْوُونَ أَنَّـــــــهُ بذاتِ يَوْمِ   أَتَى وَنَـادَى فِي اجْتماعِ القَـوْمِ
يا مَعْشَراً تَرَوْنَ مَاذَا يَفْعَـــلُ   مُحمـدٌ وَكُلُّكُـمْ لا يَقْبَـــلُ
يَعِــيْبُ دِينـــاً وَيَسُبُّ جَدّاً   لنَـا ويَجْتَـازُ عَلَيْنَـا الحَــدَّا[2]
يُسَفِّهُ الاحْلامَ ، يَشْتُمُ الصَنَـمْ   ويَعِدُ الأَمْواتَ مِنْ بَعْدِ العَـدَمْ
أَنْ يَخْرُجُـوا للهِ بَعْـدَ المَـوْتِ   هَلْ تَسْمَعُونَ قالَتِـي وَصَوْتِي
لكُمْ عليَّ العَهْدُ أَنّي جَالِسُ   غَدَاً وَضَارِبٌ لَهُ وحَـــابِسُ
بِحَجَـرٍ لَا أَسْتَطِيـعُ حَمْلَــهُ   حَتَّــى تَرَوْنَ مَوْتَــهُ وَقَتْلَــهُ
وبَعْـــدُ إن شِئْتُم فَسَلِّمُـــوني   أَوْ دَافِعُـوا عَنِّــي وَدَافِعُـــوني
وبَعْدَهَـا بنـو مَنَــافٍ يَفْعَلُــوا   بِيْ مَا بَدَا لَيضْرِبُوا لَيقْتُلُـــوا
وَبَيْنَمــــا هُمْ جَالِسُونَ جَاءَ   مُحَمَّـدُ الهَـادِي الّـذِيْ أَضَاءَ
أَتَى إلى البَيْتِ الحَرامِ وَسَجَـدْ   وَرَبُّـهُ الخالِـقَ لِلّنَــاسِ عَبَــدْ

★ ★ ★

---

(١) وهو عمرو بن هشام المخزومي ، كان أشد الناس إيذاء لرسول الله ﷺ

(٢) إشارة للحادثة الشهيرة المذكورة في كتب السيرة وهي كما في نور اليقين : «قال يوماً يامعشر قريش إن محمداً قد أبى ماترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم إني أعاهد الله لأجلسنّ له غداً بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني . فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ..» ولما همَّ بذلك تمثل له جبريل فحلاً عظيماً يهم بأخذه كلما اقترب من رسول الله ﷺ فخاف ورجع والقى الحجر بعيداً .

فاحْتَمَلَ الجاهِلُ ذَاكَ الحَجَرا ... وَهَــمَّ ثُمَّ خَافَ بَلْ تَأَخَّــرَا
إِرْتَـدَّ خَائِفـاً بوجــهٍ مُمْتَقِــعْ ... وَهَيْكَلٍ مُضْطَرِبٍ خاوٍ جَزِعْ
فقال أترابٌ لَهُ : أَبُو الحَكَـمْ ... مَاذا جَرَى مِنْ أَمْرِهِ حَتَّى انْهَزَمْ
أَجَابَ : إِنِّـي كلَّمـا دَنَـوْتُ ... مِنْ بُغْيَتِــي رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ
كَأَن فَحْلاً هَائِجاً مِنَ الإِبِـلْ ... يُرِيـدُني يَهُــمُ عِنْدَمَــا أَصِلْ[1]
أَنْ يَأْكُلَ الجِسْمَ الذي أَحْمِلُهُ ... في جَوْفِهِ يَكَـادُ أَنْ يَجْعَلَــهُ

★ ★ ★

وَحِينَ حُدِّثَ النبيُّ المُصْطَفَى ... بما جَرى ، قَالَ ، وَجِبْرِيلُ عَفَا
عَنْ جَهْلِهِ[1]. لَوْ أَنَّهُ كانَ اقْتَرَبْ ... لَما اسْتَطَاعَ مِنْهُ مِنْ بَعْدُ الهَرَبْ

★ ★ ★

وَكَـانَ مِنْهُــمُ الأَذِيُّ عُقْبَــةْ ... وَمَـنْ أَضَلَّ اللهُ بَعْـدُ حِزْبَــهْ[2]
فَقَدْ رَمَى يَوْماً نَبِيَّ الرَّحْمَـةْ ... بالفَـرْثِ مَا رَعَـى إِلاًّ وَذِمَّـةْ[3]
وما استَطَاعَ المُسلِمُونَ ضَعْفـا ... أَنْ يَرْفَعُـوهُ ، خِشْيَـةً وَخَوْفــا
بِنْتُ النَّبِيِّ رفَعَتْ عَنْـهُ الأَذى ... وَوَضَعَتْ عَنْـهُ بَعِيـداً القَــذَى
ثمَّ دعا النبـي بَعْـدَ السَّجْـدَة ... مَوْلاَهُ ، إِذْ لَا قَبْلَـهُ وَبَعْــدَهْ[4]
يا رَبَّنــا عَلَـيْكَ بالّذِيْــنَ ... آذُونِ رَبِّ !.. واعْتَـدُوا عَلَيْنـا
وَعَدَّ قَوْماً ، قِيـلَ بَعـدُ عَنْهُـمُ ... في بَدْرَ خُلِّصَ العِبـادُ مِنْهُـمُ
واستَهـزَأَ العَــمّ بِهِ كَثِيــرَا ... وَكَـانَ للأُلى اعتَـدُوا ظَهِيــرًا[5]
قد كَانَ في يَدَيْهِ يَحْمِلُ القَذَرْ ... يَضَعُــهُ بِبَــابِ طَهَ المُعْتَبَــرْ

---

(١) أي ذاك الفحل هو جبريل وقد عفا عن طيش أبي جهل .
(٢) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قتل في بدر شر قتلة وكان من أشد الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ وصداً عن دينه .
(٣) عهداً ولا قرابة .
(٤) روي أن رسول الله ﷺ قال بعد ذلك : اللهم عليك بالملأ من قريش وسمّى أقواماً قال ابن مسعود :فرأيتهم قتلوا يوم بدر .
(٥) العم هو أبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله . آذاه أكثر من الأباعد .

فَيَخْـرُجُ النبيُّ حَتَّـى يَطرحَـهْ ... في جانبٍ ولم يكنْ لِيَفْضَحَـهْ

ثُمَّ يقـولُ : يا بَنِـي مَنَــافِ ... أي جوارٍ ذا وأي جافِ

أَمـا جَميلَـةٌ فكَـانَتْ تَشْتِـــمُ ... نَبيَّنـــا وَبافْتِـــراءٍ تُعْظِـــمُ[1]

وَسيَّمــا بَعْـــدَ نُزُولِ السُّورَة ... تَذُمُها[2] إذ قد غدت مشهـورة

وعُقْبَـةٌ جَارُ الرسُولِ الثــاني ... ظالـــمُ نفسِهِ الأسير العــاني[3]

دَعَا النبيَّ في كِبَـارِ المَعْشَرِ ... إلى طَعَامٍ فَأَتــىٰ لِلمَــحْضَرِ

وقـالَ : لَا وَاللهِ لسْتُ آكِـلاً ... طَعَامَكُـمُ وَلَسْتُ فيكُـمْ نازِلا

حتى تَقُولَ : إنّـي الرَسُولُ . ... وَقَـدَ أَتانِـي بالهُـدِىٰ جِبْرِيْــلُ

فَقالَها عُقْبَـةُ حتـى يأكُـلا . ... محمّــدٌ طَعَامَـــهُ فَيــفضُلا .

فَبَلَغَ الأمْرُ أُبـيَّ الجُمَحـيْ ــ ... وَقـالَ ياعُقْبَـةُ هَلّا تَستَحِـــي[4]

ماذَا فَعَلْتَ ، ما ذَا قُلْتَ أَمْسِ ... في حضرةِ القومِ الأباةِ الحُمْسِ .

وَجْهِي حَرامٌ مِنْكَ إنْ لَقِيْتَا . ... مَنْ قـد ، دَعْوتَـهُ وَقـدْ رُميتَـا

مِنْ أجلِـهِ بِمَـا رُمِـيْت اليَـوْمَ ... . حتى غدوتَ تستَحِقُّ اللّوْمَا .

ولم تقــم فِعْـــلاً بِمَــا يَدُلُّ ... . على بقَاءٍ سُرَّ فِيـهِ الكُـلُّ .[5]

وفعَـــلَ الخَبِـيثُ مَا أَشَارَا ... بِهِ الّـذيْ قَدْ أَفْسَدَ الجِـوارَا

فَلَطَـمَ النَبِـيَّ لَمَّــا شاهَــدَهْ ... وعنـهُ ولَّـى مُدْبِـراً وَعَانَــدَهْ

فَأَنْــزَلَ اللهُ العَظِيْــمُ القَـوْلَا ... لَهُ تُهَــزُّ خِيفَـــةً وَهَـــوْلَا

« يَوْمَ يَعُضُّ الظَالِمُوْنَ » باليَدِ ... يا لَيْتَنَـا مَعَ النَبِـيِّ المُهْتَـدِيْ[6]

يَالَيْتَنَــا كُنَّـــا أَطَعْنَــــا اللهَ ... وَلَمْ نُطِعْ مَنْ عَنْ هُدَاهُ تاهَا

★ ★ ★

(١) أم جميلة هي زوج أبي لهب بنت حرب بن أمية . كانت كثيراً ما تسب رسول الله ﷺ

(٢) أي بعد نزول سورة المسد .

(٣) هو عقبة بن أبي معيط ــ ظالم نفسه : أي لنفسه بصده وعناده . العاني الأسير لعادات وتقاليد الأسلاف ولو كانت على غير هدى ، المتجاوز للحد في الإيذاء . وهذا من جملة ما قام به من إيذاء أيضاً .

(٤) هو ابن خلف الجمحي القرشي.كان صديقاً لعقبة .

(٥) أي فرح به كل القوم . والبقاء المقصود على الكفر ودين الأجداد .

(٦) اشارة لقوله تعالى في سورة الفرقان:«ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً،لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً » .

ومنهُمُ العاصُ بنُ وائلٍ وَمِنْ . أَعْلاَهُمُ الوليْدُ أعْمَاهُ الزَمَنْ [1]
مِنْ سَادَةِ القَوْمِ الوَلِيْدُ كَانَا . وَهُوَ الّذِي إذْ يَسْمَعُ القُرْانَا [2]
قال : لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ آنِفاً . قَوْلاً أَرانِي لَا أَزالُ خَائِفَا
مِنْهُ ، وَوَاللهِ عَرَفْتُ الشّعْرَا والسّجْعَ في خِطَابِنَا والنَثْرا [3]
فَلَمْ أَرَ القُرانَ في الصنْفَيْنِ وَلَا سَمِعْتُ الشّبَهَ في اللَّونَيْنِ
وَمَا أَرَاهُ جاءَنا مِنَ البَشَرْ وَلَا مِنَ الجِنِّ وَلَا مِنَ القَمَرْ .
إنَّ لَهُ يَا قَوْمُ كَالْحَلَاوَةْ . وَإنّ لَفْظَهُ لَهُ طَلَاوةْ .
وَإنَّ أعْلَاهُ لمُثْمِرٌ بَدَا وأسفَلُ القُرآن مُغْدِقٌ غَدَا .
وَإنَّهُ يَعْلُو جَميعَ القَوْلِ وَلَيْسَ يُعْلَى فَوْقَهُ بالطَّوْلِ

★ ★ ★

قالَت قُرِيشٌ : الوَلِيْدُ قد صبأ وَابْنُ أَخِيه بَعْد هَذَا ما هَدَأ [4]
إذْ قَالَ : أكفِيْكُمْ أنَا الوَلِيدَا فَجَاءَهُ مُتَّهِماً شَدِيداً
وَكَلَّمَ العَمّ إلى أن نَهَضا لِمَجْلِسٍ قَضَى بِهِ الّذي قَضَى
وقَال : أنْتُمْ تَزعُمُون أنّهُ قَدْ جُنَّ لكِن هَلْ رأيْتُم جِنَّهُ
ثم تَقُولُون : كَلامُ الكَاهِنِ وَمَا رَأَيْتُ فِيهِ قَوْلَ الواهِنِ
وَقُلْتُم كَذّابٌ . هَلْ جَرّبْتُمُوا كِذْباً عَلَيْه ، ثُمَّ هَلِ أُخْبِرْتُمُوا [5]
وهُمْ يَقُولُونَ : ألا اللهم لا ــ لا شيء مِنْ هَذَا القَبِيلِ حَصَلَا
لكِنَّهُمْ تَسَاءلوا : مَا القَوْلُ ؟ فَعِنْدكَ الرَّأيُ وفيك الحَولُ . [6]
ففكر الوليد ثم قدرا ثم أدار الفكر ثم أدبرا

---

(١) العاص بن وائل السهمي وهو والد عمرو .
(٢) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان ذا سعة ومال .
(٣) أشارة لقول الوليد بن المغيرة : (والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس والجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو و لا يعلى عليه)
(٤) ابن أخيه هو أبو جهل .
(٥) أي هل أخبركم أحد أنه كذاب . وقد عاش محمد بين ظهرانيكم . ؟
(٦) المقصود أنت ذو القوة والرأي .

فقال: إنه لسحرٌ يؤثر ... يصيّر المرء إلى مايَشْعُرُ
فضجَّ نادِ الجالسين زهوا ... وفرحاً بقوله ولهوا
فأنزل الله به التهديدا ... وبالجحيم أوعد الوليدا
فقال: « ذرني والذي خلقتُ » ... من عدمٍ ثم أنا جعلْتُ[1]
حياته والرزق والبنينا ... فلم يكن بنعمتي قمينا
مِنْ كُلِّ مَنْ آذاه ربي انتقما ... ونصر النبيَّ طه وحَمَى
فمنهُمُ من مَاتَ شرَّ ميتةْ ... تخافُ من سيماهُ إن لقيتهْ[2]
ومنهُمُ من ابتلاهُ اللّهُ ... بالدَّاءِ كَالعَاصِ وَمَنْ سِوَاهُ[3]

إيذاء الصحابة وثباتهم:

وَصَابَرَ الصَحابَةُ الكِرَامُ ... إِذْ عُذِّبُوا فالمَشْرِكُونَ سَامُوا
مَنْ يَهْتَدِي بِأَسْوإِ العَذَابِ ... بِالشَّتْمِ والأذى وَبالضِّرَابْ
فَذَا بِلالٌ صَاحِبُ الجَنَانِ ... وَذُو النُّهى المَلِيُء بِالإِيمانِ[4]
تفتحَت عَيْنَاهُ بِالهِدَايَةْ ... فَهاجَرَ الضَّلاَلَ وَالغِوَايَةْ
ولم يبال بالعذاب المُرّ ... مادَامَ ناجٍ دينُهُ من شرِ
سَيِّدُهُ أميةٌ يَجْعَلُ فِي[5] ... عُنُقِهِ حَبْلاً كَذَا وَيَصْطَفِي[6]
ثُمَّ إلى الصبيان يدفعُ الفتي ... لِيَلْعَبُونَ فيهِ وهو ماأتى
شَيْئاً سِوَى أَنْ بالنبيِّ آمَناً ... وكانَ حُبُّ اللّهِ فِيهِ كَامِنَا
لِذَاكَ ظَلَّ قولُهُ: رَبٌّ أَحَدْ ... لَيْسَ لَهُ مِنْ وَالِدٍ وَلاَ وَلَدْ
لَوْ جَرَّهُ السَيِّدُ في الرَّمْضَاءِ ... وَلَوْ رَمَاهُ الحُرُّ بالحَصْبَاءِ

---

(١) إشارة لقوله تعالى في سورة المدثر «ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً . إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لاتبقي ولاتذر ...» الآيات

(٢) كأبي جهل والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط

(٣) العاص بن وائل السهمي وأبو لهب والوليد بن المغيرة .

(٤) بلال بن رباح كان مولى لأمية بن خلف . اعتقه أبو بكر بعد أن اشتراه من أسار الرق فغدا من الصحابة المجاهدين ، وأصبح مؤذناً لرسول الله ﷺ فيما بعد .

(٥) هو أمية بن خلف أحد زعماء قريش .

(٦) أي ويختار له حبلاً ينتقيه لتعذيبه .

وَوَضَعَ الصخرةَ فوقَ الصَدْرِ   لَنْ يَرْجِعَ الغُلامُ نَحْوَ الكُفْرِ[1]

بَلْ إِنَّـهُ يَثْبُتُ كَالجِبَـالِ   على الهُدَى ولَيْسَ في الضَّلَالِ

وَبَعْدَهَـا أَعْتَقَـهُ الصِّدِيـقُ   ذو العطفِ بالمستَضْعَفِ الشفيقُ[2]

فلازَمَ الرسُولَ طُولَ العُمْـرِ   في سِرِّهِ أَحَبَّـهُ والجهـرِ ...[3]

وَعَمِيَتْ زِنِّيـرَةٌ إذْ عُذِّبَتْ   في دِينِها ، وكَالجِبالِ ثُبِّتَتْ[4]

كَذَاكَ عَمَّـارٌ وَوَالِـدَاهُ   آذَاهُـمُ مَنْ ربـه قلاهُ[5]

حتّى رَسُولُ اللّهِ فيهِمْ قَالَا :   صبراً بنـي ياسر واحتمالا

فالجَنَّـةُ الوَارِفَـةُ الظِّـلَالِ   مَوْعِدُكُمْ أَنتُمْ عَلَى احْتِمالِ

ماتَ أَبُو عَمّارَ في العذاب   وزَوْجُـهُ سُمَّيـةُ الجَنَـابِ[6]

وَلَم يُطقْ عَمّارُ ثوبَ الفتنةْ   فقال مَاأنجاهُ مِنْ ذِي المحنة

لَكِـنَّ قلبَـهُ مِنَ الثَّبَـاتِ   على الهُـدَى باقٍ كَراسِيَـاتِ

خَبّابُ أَيْضاً كَانَ مِمَّنْ عُذِّبا   في الدِّينِ وَعَلَىٰ الجِمَارِ قُلِّبا[7]

حتى أتى يوماً إلى المختارِ   وهو من الكعبةِ في جوار

فقال يا نبيّنا فَسلْ لَنَا   رَبَّ العِبَادِ أَنْ يُزِيلَ مَا بِنا

فجلس النبي جلسة الغضبْ   وقال : كان قبلكم من النصبْ[8]

ما إنَّ ناساً جيء بالمنشارِ   شقوا به وهمْ على اصطبارِ

ما صدَّهُمْ هذا عن الإيمان   بل زادهم شوقاً إلى الرحمٰن

---

(١) كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء: أحدٌ .. أحد ..

(٢) هو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخليفة الأول وصاحب رسول الله (ﷺ) في هجرته الى المدينة .

(٣) أي طول عمر رسول الله ﷺ لأن بلال عاش حتى خلافة الفاروق عمر بن ا لخطاب (رضي الله عنه) .

(٤) هي صحابية سابقة الى الاسلام ، ما ردها البلاء عن دينها .« قال أبو جهل : ألا تعجبوا لهؤلاء وأتباعهم لو كان أتى محمد خيراً ما سبقوا اليه ، أفتسبقنا زنيرة الى رشد» فأنزل الله تعالى قوله : في سورة الأحقاف : «وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيراً ما سبقونا اليه. واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» وكانت زنيرة قد ذهب بصرها تحت العذاب . فقالت قريش ما أذهب بصرها : إلا اللات والعزى . فقالت : كذبوا ، وبيت الله . ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ... فرد الله بصرها» سيرة ابن هشام ص ٣١٣ جـ١

(٥) عمار بن ياسر وقد سبق التعريف به .

(٦) طعنها أبو جهل فاستشهدت وما انثنت عن إيمانها ، وكذلك ياسر مات تحت العذاب .

(٧) خباب بن الأرت سبى في الجاهلية فاشترته أم أنمار ، قيل إنه كان حداداً ، وكان رسول الله ﷺ يألفه قبل البعثة فلما شرَّفَهُ الله بها أسلم خباب .

(٨) النَّصَبْ : في الأصل التعب ، والمقصود هنا العذاب والأذى .

لِيُظهِرنَّ اللـهُ دِيْنَـــهُ إلى ... أَنْ لايَخافَ الركبُ في الدربِ على

شيءٍ ويمضي المرءُ مِنْ صنعاءَ ... لحضرَمَوْتَ لا يَرى أعـــداءَ

★ ★ ★

وأُوذِيَ الصِّديقُ في الإسْلام ... وهجـــره للجهــــلِ والآثام (١)

وهَمَّ بعدَ ذاكَ أَنْ يُهاجِرا ... وهَمَّ في أَنْ لا يَزالَ سَائِرا

حتى تكونَ النفسُ في أَمانِ ... تطيـع مولاهـا بلا امتهانِ

لولا إجَــارَةٌ لابْـــنِ الدُّغنَّـــةْ ... لَبَاتَ في الأَرْضِ يُرِيدُ أَمْنَهْ (٢)

★ ★ ★

كلُّ العَذَابِ والأَذىٰ للصَّحْبِ ... كَانَ يَزيـدُ حُبَّهُـمْ لِلـرَّبِّ

وَحَاوَلَتْ قريشُ دُونَ جَدْوىٰ ... فتنتهُـــمْ وَرَدَّهُـــمْ لِلْبَلْـوىٰ

وَشَاهَدَتْ بِأَنَّهـا لَا تُفْلِـحُ ... في كُلِّ مَا تَسْلُكُهُ لَا تَنْجحُ

فاجتمَعَتْ لِلـرَّأْيِ وَالتَّشَاوُرِ ... فقـالَ عُتْبَـةٌ لِكُــلِّ حَاضِرِ (٣)

أَلَا أَقُـومُ قَاصِداً محمـــداً ... لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مَا مِنّي بَدَا

قالُوا : أَبَا الوَلِيد قُمْ إِلَيْهِ ... كَلِّمْهُ واعْرِضِ الفَدا عَلَيْـهِ

لَعَلَّـهُ يَقْبَـلُ هٰذا مِنْكـــا ... وَيَحجُبُ الأَذىٰ عنّا وَعَنْكا

فَذَهَبَ الزَّعِيمُ حتى المسجد ... حين به قام الرسول المهتدي

فقالَ : يا ابْنَ الأخِ أَنْت مِنّا ... كما عَلِمْتَ نسبـةً وَمَبْنـىٰ

وقَدْ أَتَيْتَ القَـوْمَ بالعَـظيمِ ... سَفَهْتَ فِيهِ سَادَةَ القَـديم

فَرَّقْتَ جَمْعاً وَرَمَيْتَ حِلْما ... بالطَّيْشِ ثم قد فعلت ظُلْمَا (٤)

★ ★ ★

---

(١) عزم الهجرة الى الحبشة ، فلما وصل برك الغماء لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد مطاع في قبيلته (القارة) سأله إلى أين يا أبا بكر ؟ فأجابه : أخرجني قومي فأريد أن أخرج في الأرض أعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يأبا بكر لايخرج ، وأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع في جواره .

(٢) أي مكاناً يأمن فيه ولا يؤذى .

(٣) لكل حاضر : أي لكل من حضر المجلس .

(٤) بمفهوم الآباء والأبناء ، وإلا فالنبي مافعل ظلماً ﷺ بل فعله منتهى العدل والسماحة .

قَالَ الرَّسُولُ : يا أَبَا الوَلِيدِ قُلْ ما تَرى أَسْمَعْ بالمَزِيدِ

فقالَ : إنْ كُنتَ تُرِيدُ المَالَا والمُلْكَ والعَطَاءَ والعِيَالَا[1]

نُعْطِيكَ حَتّى تُصْبِحَ الغَنِيّا فِينا وَتَغْدو سَيّداً رَضِيّا

وَإنْ يَكُنْ هٰذا الذِي جِئْتَ بِهِ عَنْ مرضٍ أو جِنَّةٍ نُدَاوِهِ

فقالَ صلّى اللّهُ ثم سَلَّمَا عَلَيْهِ وَالصَّحَابِ مَا غَيْثٌ هَمَى

أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيْدِ ؟ قالَ : نَعَمْ. لَمْ يَبْقَ مِنْ جديد

تم تَلا : آياً مِنَ الكِتَابِ ذي النور والهدىٰ وذي الرحاب

مِنْ فُصِّلَتْ تَلا النَّبيُّ حَتى نَاشَدَهُ عُتْبَةُ أَنْ يَبُتّا[3]

وعَادَ مَخْذُولاً إلىٰ الرِّجالِ إذ سألوا ماذا جرىٰ؟ في الحال

فقالَ : واللّهِ لَقَدْ سمعت شَيْئاً، وَلَا رَأَيْتُ ، لَا عَرَفْتُ

والله مَا كَانَ الّذي سَمِعْتُهُ سِحْراً ولا شِعْراً وَقَدْ خبرتُهُ

ولَمْ يَكُنْ محمدٌ بِالكَاهِنِ وَلمْ يَكُنْ بِكاذِبٍ أَوْ وَاهِنِ

★ ★ ★

أيا قريشُ !.. لِيَّ فاجعلوها دَعْواهُ ، خلُّوه ، لها ، خَلُّوها

وَالله لَيَكُونَنَّ له مَكانَةْ وَقولُهُ هٰذا سيُعْلي شَانَهْ

فَإِنْ تُصِبْهُ العُرْبُ قَدْ كُفِيتُمْ بِغَيْرِكُمْ وإنْ علا لَقِيتُم

عِزّاً بِعِزِّهِ، وَجَاهاً وسَعَةْ وَلَنْ تَروا من بَعْدِ نَصْرِهِ ضَعَةْ

قالوا : لقد بِسِحْرِهِ قُلِبْتَا عَنّا، وَوَاللهِ لَقَدْ غُلِبْتَا

---

(١) اشارة لقوله «ياابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجن لاتستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى .»

(٣) من سورة فصلت وأن يبتا : أي ينقطع من الكلام وكان قرأ من قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم حم . تنزيل الكتاب من الرحمن الرحيم .. حتى قوله تعالى « قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة من السماء فإنا بما أرسلتم به كافرون» .

(٣) بعد أن سمع عتبة منه القرآن . أمسك ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ، فلما رجع إلى قومه سألوه فقال : «والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر قريش اطيعوني فاجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبينا هو فيه فاعتزلوه، والله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب فعزه عزكم . فقالوا : والله لقد سحرك محمد ..»

أَجَابَهُمْ : هذا هو الرأْيُ الحَسَنْ   رأيتُـــهُ ، وَإنِنِـــي لمؤتَمَـــنْ[1]

إسلام حمزة :

وعَـــاوَدَتْ قريشُ لِلْأَذِيَّـــةْ   بالمُسْلِميـنَ اشْتَـدَّتِ الْبَلِيَّـةْ

وكانَ إِيـذَاءُ النبـيِّ سَبَبَـــا   في نُصْرَةِ الدِّينِ ، فَرَبِّي وَهَبَا

لِلّدينِ حمزَةَ الشجاعَ السَّيِّدا   إذ شرح اللهُ الفؤاد وهدى[2]

فذاتَ يَوْمٍ بِالنّبـيِّ حُدِّثـا   وعن أبي جهلٍ ، وماذا أَحْدَثا[3]

إِذْ أنّه آذَىٰ النّبيَّ المُصْطَفىٰ   وَمَا اسْتَحىٰ مِنْ قُرْبِهِ وَلا آحْتَفىٰ

فَجاءَ مُسْرِعاً إلى الجَهُولِ   يَقُولُ صِرْتُ تابعَ الـرَّسُولِ

يَا جاهِلاً كَيْفَ تَسُبُّ أَحْمدا   وَإنّني في دينه حيث غَدَا

وانْشَرَحَ الصَّدْرُ بِنُورِ الدّينِ   وَحُبِّ هٰذا المُصطَفَى الأَمين

غَدَا القَريبُ نَاصِراً مؤيـدا   مؤازراً مدافعاً عن الهُـدىٰ

الهجرة إلى الحبشة : /الأولى /

لَمّا استْمرَّ الجَهْلُ وَالإِيْذاءُ   وَالاضْطِهَادُ . المُسْلِمونَ شَاؤُوا[4]

أَنْ يَهْجُروا إلى مَكانٍ آمِنِ   حُرٍّ ، إلى ظِلِّ زَعِيمٍ ضَامِنِ[5]

فَهاجَروا الأُولى إلى النّجاشي   لِعَدْلِــهِ فَرُّوا مِنَ الأَوْبَــاشِ[6]

(١) أي أقول قول مَنْ أُمِنَ على شيء .

(٢) هو حمزة بن عبد المطلب ، أسلم في السنة الثانية من البعثة . لازم النبي ﷺ وهاجر معه وقد آخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة استشهد في أحد وسماه النبيﷺ سيد الشهداء .

(٣) بينما عاد من قنصه اقتربت منه مولاة لعبد الله بن جدعان . وقالت : واذلاً يابني عبد مناف . يا أبا عمارة ، لو رأيت مالقي ابن أخيك من أبي الحكم بن هشام (أبو جهل) وجده هنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمدﷺ فغضب حمزة ثم انطلق الى أبي جهل وقال : (أتشتمه !! فأنا على دينه ، أقول ما يقول فرُدَّ علي ذلك إن استطعت .. وشرح الله صدره للإسلام فأسلم)

(٤) أي تجهزوا ورغبوا في الهجرة فراراً بدينهم ، وقد أشار عليهم رسول الله ﷺبذلك قائلاً : «لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم ..» فخرج عند ذلك المسلمون ابن هشام جـ١ ص٣١٥

(٥) أي مكان يأمنون فيه . وملك يمكنهم من عبادة ربهم ويضمن لهم الاعتداء عليهم وكان عدد المهاجرين عشرة رجال وخمس نساء

(٦) المقصود من النجاشي (الحبشة) . ومن الأوباش (كفار مكة من سادة قريش)

مِنْ بَيْنِهِمْ عُثْمانٌ التَّقِيُّ ... وَزَوْجُهُ[1]، وعَامِرُ النّقيُّ[2]

وَزَوْجُهُ لَيْلى[3] وَأُمُّ سَلَمَةْ[4] ... وَزَوْجُها الذي العَشيرُ ظَلَمَهْ

ثم أخوه[5] ثم زَوْجُه[6] الّتي ... لله أسْلَمتْ وَمَا اسْتَقَلَّتِ

أبو حُذَيْفَةٍ، كَذاكَ هَاجَرا ... في دِينِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُتَاجِرَا[7]

وزَوْجُهُ سَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلِ ... قَدْ فارَقَتْ دِيْنَ الأذَى والجَهْلِ[8]

وهَاجَرَتْ مُسْلِمَةً تَقِيَّةْ ... باللّهِ وَالدِّينِ غَدَتْ غَنِيَّةْ

وَكَانَ مِنْهُمْ ابنُ عَوْفٍ أيْضاً[9] ... كذا ابن مظعون يفيض فيضاً[10]

وابنُ عُمَيرٍ[11] وَفَتَى البَيْضَاءِ[12] ... ثُمَّ فتى العَوَّامِ ذو الضياءِ[13]

وَجُلُّهُمْ قَدْ انْتَهى انْتِسَابا ... إلى قُرَيْشَ، ورأى عذابا[14]

قَدْ وَصَلُوا جَميعُهُمْ لِلْمَقْصِدِ ... وَآمِنينَ مِنْ عَذابِ المُعْتَدِي

وَلَمْ يقيمُوا هِجْرَةً طَوِيْلَةْ ... بَلْ رَجَعُوا عَنْ فَتْرةٍ قَلِيلَةْ[15]

إسلامَ عُمَرْ :

خِلالَ ذاكَ أسْلَمَ الهُمَامُ ... ذُو الجَأْشِ وَالفُتُوَّةِ الإمَامُ

---

(١) أي زوج عثمان بن عفان . وهي رقية بنت رسول الله ﷺ

(٢) هو عامر بن ربيعة أحد الصحابة السابقين الى الدين .

(٣) هي زوج عامر بن ربيعة

(٤) أم سلمة الصحابية السابقة وزوجها أبو سلمة . وقد غدت أماً للمؤمنين بعد وفاة أبي سلمة (أي تزوج بها الرسول ﷺ)

(٥) أي أخو أبي سلمة لأمه وهو أبو سبره بن أبي رهم .

(٦) أي زوج أخي أبي سلمة (أبو سبرة) واسمها أم كلثوم .

(٧) هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

(٨) زوج أبي حذيفة وهي سهلة بنت سهيل .

(٩) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي المعروف كان من أغنياء الصحابة فيما بعد .

(١٠) أي عثمان بن مظعون وكان أميرهم كما روى ابن هشام .

(١١) هو مصعب بن عمير أحد كبار الصحابة والسابقين .

(١٢) «فتى البيضاء» أي سهيل بن البيضاء من السابقين الى الاسلام .

(١٣) هو الزبير بن العوام الصحابي المشهور الغني عن التعريف .

(١٤) ورد في نور اليقين قوله (وجلّهم من قريش) انظر الصفحة (٥٦)

(١٥) رجعوا لا لشيء إلا لكونهم من أشراف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لايطيب لهم عيش في الغربة وهم قلة . ولا صحة كما أجمع رواة السيرة النبوية للقصة المتعلقة بالغرانيق وأن النبي مال إلى كفار قريش (حاشاه ﷺ انظر تفاصيل القصة في كتب السيرة) .

آمَنَ بِاللهِ فَتَى الخَطَّابِ كَلَّ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَوْصَابِ[1]
قَدْ كَانَ أَحْمَدٌ دَعَا مَوْلَاهُ أَنْ يَنْصُرَ الدِّينَ بِمَنْ يَرْضَاهُ[2]
مِنْ أَحَدِ الاثنين عمرو الهاشمي أو عُمَرَ المطاعِ ذِي المَعَالِمِ[3]
وَبَيْنَمَا النَّبِيُّ وَالصَّحَابَةْ فِي دَارِ ابْنِ الأَرْقَمِ المَثابَةْ
إذْ جَاءَ يَطْلُبُ الدُّخولَ فيمَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ أَنْ يُقِيمَا
وقال : إني شاهدٌ لِلّذاتِ وَلِلنَّبِيِّ كَافِرٌ بِاللَّاتِ
فَهَلَّلَ الحُضُورُ ثُمَّ كَبَّرُوا إذ فِضْلُ إسلامِ الفَتَى لا يُنْكَرُ
قَدْ جَاهَرَ المُؤْمِنُ بِالصَّلاةِ لَمَّا رَآهَا مَسْلَكَ النَّجاةِ
مَا زَالَ أَتْبَاعُ الهُدَىٰ فِي عِزَّةٍ مُذْ عُمَراً مَوْلَاهُ قَدْ أَعَزَّهْ[4]
وربُّهُ للدّينِ قَدْ هَداهُ وَنَصرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ قَلَاهُ

الحصار في شعب أبي طالب :

وَبَعْدَهَا ضَاقَتْ قُرَيشٌ حيلَةْ وَلَمْ تَجِدْ رَأْيَاً وَلَا وَسِيْلَةْ
ما تركت شيئاً من الترهيب وَلَمْ تَدَعْ نَوْعاً مِنَ التَّرغِيبِ
إلاَّ وَكَانَتْ تَسْلُكُ الطَّرِيقَا إِلَيْهِ حَتَّى لَوْ أَحَطَّ ضِيقَا
ثُمَّ أَتَتْ عَبْدَ مَنَافٍ آلَهُ صلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَعِيالَهُ[5]
فعرضَتْ عليهِمُ الفِداءَ بالمَالِ، فَأَبَوْا لَهُمْ إِرْضَاءَ
ثُمَّ أَتَوْا للعَمِّ قَائلينا له نعطيك ابننا فأعطينا[6]
ابنَ أَخيكَ بَدَلاً فَعَجِبَا مِنْ قَوْلِهِمْ هٰذا وَعَنْهُمْ رَغِبا

---

(١) هو عمر بن الخطاب العدوي القرشي .

(٢) أي يرضاه الله ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدعو الله قائلاً : «اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب ـــ وفي رواية بأحب العمرين إليك ..

(٣) ذي المعالم : أي ذي العلامات الحسنة .

(٤) في رواية البخاري . قال عبد الله بن مسعود : «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر» .

(٥) عرضوا على بني عبد مناف ورسول الله منهم دية مضاعفة ويسلمونه لهم فأبى بنو عبد مناف ذلك .

(٦) وذلك أنهم أتوا أبا طالب قائلين نعطيك أحد أبنائنا وتسلمنا ابن أخيك .

قالَ :أتُعطُونِ ابنَكُمْ أَغْـذُوهُ أمـا محمـدٌ فتقتلـوه
واللهِ ما ذاكَ بقـولِ الحُـرِّ وَلَا الشُّجاعِ السيِّدِ الأبَـرِّ
لَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا سَبيلَ حَتّى تُبْتَ دعـوةُ النَّبـيِّ بتَّـا
كَادُوا لَهُ وأَمْرَهُـمْ قَدْ أجْمَعُوا عَلى مَنافٍ كُلِّهِـمْ وَأَسْرَعُـوا
وَسطَّرُوا صَحِيفَةً قد عُلِّقَتْ في الكَعْبَةِ التي لَدَيْهِمِ عُظِّمَتْ
وَكانَ فيها أَنْ يُحَاصِرُوهُـمْ وَيُخْرِجُوا لَهُمْ مَنْ نَاصَرُوهُمْ[1]
وَأَنْ يُضيِّقُوا فَلا بَيْـعٌ جَرَى وَلَا ابْتيـاعَ مِنْهُـمُ وَلَا شِرَا
حَتَّى مُحمَّدا لَهُمْ يُسَلِّمُـوا وَيَرْجِعُوا عَنْ نَصْرِهِ وَيَنْدَمُـوا
وانحازَ آلُ هاشمٍ جميعُهُـمْ لِلْشِّعْبِ إلَّا «لَهَباً» وَضيعَهُمْ[2]
وَجهِدَ القَوْمُ إلَى أَنْ أكَلُوا مِنْ وَرَقِ النّخْلِ ونَفْساً بَذَلُوا
أَعْداؤهُمْ قَدْ مَنَعُوا التُّجَّارَا مِنْ أن يبيعوا كل من أجارا[3]
وَكُلَّ مَنْ مَالَ إلَىٰ النَّبِـيِّ مُؤازِراً، للصَّادِقِ الزكـيِّ

الهجرة الثانية إلى الحبشة :

مُحمَّـدٌ قَدْ أَمَـرَ الأَتْباعَـا إلَىٰ النَّجاشي هِجْرةً تِباعَـا
يعينُ بَعْضٌ بَعْضَهُـمْ هُنـاكا فَيَأْمُنُـونَ عِنْـدَهُ الهَلَاكَـا[4]

★ ★ ★

فَهاجَـرُوا جميعُهُـم وَكَانُـوا سَبْعيـنَ زَادُوا عَشْرَةً وَبَانُـوا[5]

---

(١) أي حصار اقتصادي ، تجاري ، وحتى اجتماعي ، وذلك طمعاً في أن يتخلى بنو هاشم وبنو عبد المطلب وهما ولدا عبد مناف عن محمد ﷺ ونصرته .

(٢) خرج معهم حتى من لم يكن مسلماً ولا مؤمناً بدين محمد . وذلك لرابطة القرابة غير أن أبا لهب وهو من بني عبد المطلب بقي مع قريش وكذلك انخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف .

(٣) جَهِد القوم في الشعب حتى أكلوا ورق الشجر .

(٤) يعين بعضهم بعضاً فلا يشعرون بالغربة . والهلاك المقصود به أذى قريش واضطهادهم .

(٥) كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

عشرُ نساءٍ معهـــم وزِدْنَ حَتَّى إلى العِشْرينَ عَدَّاً كَذَنَ[1]

★ ★ ★

مِنَ الرِّجالِ جَعْفرٌ وَزَوْجُـهُ أَسْماءُ قَدْ طَابَ لَها خُرُوجُها[2]
ومنهمُ المِقْدادُ نَسْلُ الأَسْوَدِ[3] ثُمَّ ابن مَسْعُودٍ جَمِيْلُ المَقْصِدِ[4]
أيضاً عُبَيْـدُ اللهِ بِنُ جَحْشٍ[5] وَزَوْجُـهُ بِنْتُ النُّهـىٰ وَالجَـأْشِ[6]
ثُمَّ أَبـو مُوسىٰ وَنَسْلُ عَمِّـهِ وَفَازَ مَنْ نصر الهدى من همّا[7]

★ ★ ★

وَأَرْسَلَتْ قُرَيْشُ وَفْـداً طَالِبـاً لِلْخارِجينَ بِالنَّجاشِي رَاغِبا[8]
ما أَفْلَـحَ الّذيـنَ أَرْسَلَتْهُـمْ إِلَيْـهِ في هٰذا وَكَلَّفَتْهُـمْ
عَادُوا يَجـرُّونَ الأَسَى وَالخَيْبَةْ والمُسْلِمُـونَ يَرتَقُـونَ هَيْبَـةْ

نقض الصحيفة وفك الحصار :

دَامَ الـحِصَارُ شِدَّةً ثَلاثَةْ ثُمَّ أَغـاثَ اللهُ مَنْ أَغاثَـهْ[9]
وَقَـامَ خَمْسَةٌ مِنَ الأَشْرافِ عَلَيْهِـمُ حَمِيَّـةُ الأَحْلاَفِ
وَطَالَبُوا نَقْضَ الكِتَابِ الظُّلْـمِ وَمَـنْ يَبُوءُ بالأَذَىٰ والإِثْـمِ
وهـؤلاءِ هم على التـوالي هشامُ بن عمـروٍ المثـالي[10]

---

(١) هن ثماني عشرة امرأة .
(٢) جعفر بن أبي طالب وزوجةُ أسماء بنت عميس .
(٣) هو المقداد بن الأسود
(٤) هو عبد الله بن مسعود .
(٥) عبيد الله بن جحش ويروى أنه تنصر فيما بعد وبقي في الحبشة .
(٦) هي أم حبيبة بنت أبي سفيان ــ أم المؤمنين فيما بعد .
(٧) أبو موسى الأشعري وبنو عمه من اليمن .
(٨) ارسلت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ومعهم بعض الهدايا الى النجاشي يكلمانه في رد هؤلاء .
(٩) أي أغاث نبيه محمداً ﷺ
(١٠) هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظم بلاء في ذلك

ثُمَّ زهيرٌ[1] وَكَذاكَ المُطْعِمُ[2] وزُمعةٌ[3] وابنُ هِشامٍ[4] مِنْهُمْ
فاجْتَمَعُوا بأَحْسَنِ الثِيَابِ في كَعْبَةِ الرَّحْمٰنِ في الرِّحَاب
نَادُوا أَأَهلَ مكةٍ حَرَامُ أَنْ تَأْكُلُوا وَهَاشِمٌ أَقَامُوا
مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ في ثَنَايَا الشِّعْبِ مَا كَانَ هٰذا مِنْ سِمَاتِ العُرْبِ

★ ★ ★

وَاللهِ لا نَقْعُدُ حَتَّىٰ تُخْلَقَا صَحِيفَةُ الظُّلْمِ وَثَمَّ تُمْزَقَا[5]
قالَ أَبُو جَهْلٍ لَهُ : كَذَبْتَا فقالَ زُمْعَةٌ : بَلْ أَنْتَ خُنْتَا
فَهَتَفَ المُطْعِمُ قَدْ صَدَقْتُما حَقٌّ وَصِدْقٌ كُلُّ مَا نَطَقْتُما
ثُمَّ أَتَىٰ الصَّحِيفَةَ العَتِيقَةْ فَشَقَّهَا مُؤَازِراً صَدِيقَهْ
وَفَرَّجَ اللهُ العظيمُ الكَرْبَا نَصْراً لِمَنْ أَرْسَلَهُ وحُبَّا

وفد نجران[6] :

بَعْدَ الخُرُوجِ جَاءَ مِنْ نَجْرَانَ وَفْدٌ وَمَا إِنْ سَمِعُوا القُرْآنَا
حتّى النبيَّ بَايَعُوا إِسْلَامَا وَعَاهَدُوا أَنْ يَهْجُروا الآثَامَا

★ ★ ★

وَعَدَدُ الوَفْدِ ـ رَوَوْا ـ عِشْرِيْنَا كَانُوا للاِسْتِطْلَاعِ قَادِمِينَا
وَكُلُّهُمْ آمَنَ بِالرَّحْمَنِ وَبِالرَّسُولِ المُصْطَفَى العَدْنَانِ

★ ★ ★

---

(١) زهير بن أمية المخزومي ابن عاتكة عمة الرسول الأعظم .
(٢) هو المطعم بن عدي النوفلي..
(٣) هو زمعة بن الأسود الأسدي .
(٤) هو أبو البختري بن هشام الأسدي «العاص بن هشام بن الحارث بن أسد» .
(٥) الذي قال ذلك هو زهير بن أمية ، فبعد أن لبس حُلةً من الثياب طاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال : «يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لايبيعون ولايبتاعون ، والله ! لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ..»

(٦) كان ذلك بعد الخروج من الشعب ، وكان الوفد من النصارى سمعوا بالنبي من مهاجري الحبشة وكانوا عشرين رجلاً تقريباً .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَهُمْ مَا كَانَا   رَكْبٌ كَأَنْتُـمْ نَفْسَهُ أَهَانَـا
أَرْسَلكُمْ تَسْتَطْلِعُـون الخَبَـرَا   قومٌ لَكُمْ وَتنظُـرُونَ النَّظَـرَا[1]
ثُمَّ صَبَأْتُـمْ وَدَخَلْتُـم فِيمَـا   دَعَـا إِلَيْـهِ . جِئْتُمْ عَظِيمَـا[2]
قَالُـوا : سلامٌ أَيُّهـا الجُهَّـالُ   لَنَا الذِي اخْتَرْنَاهُ لا الجِـدَالُ[3]
وأنتم أيضاً لَكُمْ مَا اخْتَرْتُمـوا   فأَنْـزَلَ الله : لقـد صَدَقْتُمـوا[4]
إِذْ قَالَ جَلَّ الله ، عَزَّ قَوْلُـهُ   سُبْحَانَهُ ، لَا حَوْلَ إِلاَّ حَوْلُهُ :
«قالوا لنا أعمالنا ... لا نبتغي»   جَهْلاً ، وَلَا هَذَا لَدَيْنا يَنْبَغِي

★ ★ ★

قَدْ كَانَ أَهْلُ مَكةٍ في العَجْزِ   إِذْ فَقَدُوا الحُجَّةَ عِنْدَ الرَّجْزِ
يَرْمُـونَ أَشْرَفَ العِبَـادِ مَرَّةْ   بِالسِّحْرِ أَوْ بِالشِّعْرِ صَرُّوا صَرَّةْ[6]
ومَـرَّةً يَرمُـونَ بالكَهَانَـةْ   ذَا النَّسَبِ العَالِي وَذَا المكَانَـةْ
وَذَاكَ شَأْنُ العَاجِزِيـنَ دَائِمـاً   مَا دَامَ حِقْدٌ في النُّفُوسِ قَائِماً

عَامُ الحُزنِ

(١) وفاة خديجة[7]

مِنْ حِكْمَةِ الله اخْتِبَارُ الرُّسْل   وَالمُؤْمِنيْـنَ ، رِفْعَـةً لِلْـفَضْلِ[8]

---

(١) وذلك أن أبا جهل قال لهم «ما رأينا ركباً أحمق منكم ارسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم » .
(٢) أي شيئاً عظيماً في فعلكم هذا .
(٣) لأنهم أجابوه «سلام عليكم لانجادكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه» .
(٤) أي صدق الله قولهم . فأنزل في سورة القصص : (الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إناكنا من قبله مسلمين .. الى قوله تعالى : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين) صدق الله العظيم .
(٥) اشارة للآيات الواضحات .
(٦) أي صيحة دون فائدة .
(٧) كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .
(٨) أي رفعة لدرجاتهم عند الله

فَتَــارَةً يَكُــونُ الاختِبَــارُ ... بالمال ، أو تغيب عنه الـدارُ[1]
وَتَــارَةً بِالأَهْلِ والأَحِبَّــةْ ... وفاز من فيه أطَـاعَ رَبَّـهْ

★ ★ ★

بَعْدَ الـحِصَارِ بقليـلٍ جاءَ ... نَبِيِّنَـا ، البَلَا تَلَا البَـلَاءُ[2]
إِذْ زَوْجُـهُ خَدِيجَــةٌ تُوفِّـيتْ ... زَكِيةَ القَـلْبِ، بِنَفْسٍ أُرْضِيَتْ[3]
فَلَـمْ يَزَلْ يَذْكُرهَـا تَرَحُّمـاً ... أَوْ قُلْ ، وَفَاءً مِنْهُ أَوْ تكرُّمَـا
لا غَرْوَ في هَذَا وَلَا يُسْتَغْرَبُ ... أَنْ يَذْكُرَ الزَوْجُ النبيُّ الأَطْيَبُ
نَفْساً بِهِ قَدْ صَدَّقَتْ وَآمَنَتْ ... مُذْ سَمِعَتْ مِنْهُ وَعَنْهُ مَا وَنَتْ[4]
وَآزَرَتْهُ خَفَّـفَتْ مِنْ حُزْنِـهِ ... وسَاهَـمَتْ في نَصْرِهِ وَأَمْنِـهِ
وَجَـاءَ أَوْلَادُ النَّبِـيِّ مِنْهَـا ... يا رَبِّ ، فَارْضَ في السَّماءِ عَنْهَا
مِنهَا أَتَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ زَيْنَبُ[5] ... وفَاطِمُ التي عَلِيٌّ يَخْـطِبُ[6]
رُقَيَّـةٌ[7] ، والقَـاسِمُ الـذي بِهِ ... كُنِّـيَ في مَعْشَرِهِ وَحِزْبِـهِ
وأمُّ كلثـوم وقـد تَزَوَّجَـا ... عُثْمانُ مِنها ، ذُو الضِّيا وذُو الحجى
لِذَاكَ كَانَ حُزْنُـهُ كَبِيرا ... عَلَى الَّتِي كَانَتْ لَهُ نَصِيرَا

(٢) وفاة عمه أبي طالب[8] :

وبَعْد شَهْرٍ زَاد حُزْنُهُ ، فَقَدْ ... تُوفِّي العَـمُّ النَّصِيرُ وَابْتَعَـدْ
هذا الـذي منعـهُ من الأَذى ... كان وقد أبعد عن طه القذى[9]

---

(١) أي في الاختبار والمقصود أن البلاء تارة يكون بالمتاع وتارة بالنفس والأهل .
(٢) الامتحان والاختبار
(٣) أي رضية النفس بإيمانها بالله ورسوله
(٤) أي ما تأخرت ولا تخلفت
(٥) أي منها زينب وهي أكبر اولاده ﷺ تزوجها أبو العاص بن الربيع في الجاهلية وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي كرم الله وجهه بعد وفاة فاطمة (رضي الله عنهما) كما ورد في بعض الروايات .
(٦) أي فاطمة زوج علي بن أبي طالب التي منها الحسن والحسين (رضي الله عن الجميع) .
(٧) رقية تزوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولما توفيت زوجه الرسول ﷺ بأم كلثوم ابنته الثانية (رضي الله عنها) .
(٨) كان ذلك فيما رووا . بعد شهر تقريباً من وفاة خديجة .
(٩) المقصود أنه حماه من قريش ومكنه من الجهر بالدعوة .

لم يمكن الأعداء من محمدهْ ... ولم يدعه وحده بمفردهْ
أعماله عَظيمةٌ لا شكا ... عن نصرة القريب لا ما انفكا[1]
لكنه لم يشهد الشهادةْ ... وقد أتى الله بلا عبادةْ

★ ★ ★

قد حزن النبيُّ حتى سُميّا ... ذَا العَامُ عَامَ الحُزْنِ ثُم أُرْضيا

★ ★ ★

لما أبو طالبَ ماتَ ، منهُ ... قريشُ نالتْ ، وتناءت عنه
ترميه بالتراب وهو سائرُ ... وتضع الأوساخ وهو ناظرُ
وَمَرَّةً تعلَّقُوهُ جَذْبَا ... له وصداً وأذى لا حبا
وقولهم : ياأنت هلّ يريدُ ... نسخ القديمِ دينُك الجديدُ
وقد أتى الصديقُ قائلاً لَهُمْ ... أتقتلون طَاهراً لله هَمْ

في الطائف :

قريشُ لَمّاَ مِثْلَ هَذَا سَارَتْ ... وَفي طَرِيقِ الجَائِرينَ جَارَتْ
تَوجَّهَ النَّبِيُ نَحْوَ الطَّائِفِ ... يَسِيرُ مِنْ مَوْلَاهُ في لَطَائفِ[2]
لَعَلَّهُ عند ثقيفٍ يَأْمَنُ ... وبَيْنَهَمُ نَشْرَ الكِتَابِ يَضْمَنُ
فَيَنْصُرُونَهُ عَلَى العُدَاةِ ... مِنْ قَوْمِهِ القُسَاةِ والجُفَاةِ

★ ★ ★

صَحِبَهُ زَيْدٌ إلى ثَقِيفِ ... وأَهْلِهَا في النَّسَبِ الشَّرِيفِ[3]

---

(١) لم ينطق أبو طالب بالشهادة حتى آخر لحظة من حياته ، رغم حرص رسول الله ﷺ على إسلامه وفيه أنزل الله تعالى في سورة القصص «إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» .

(٢) الطائف : بلد في الجنوب الشرقي من مكة . والمقصود أنه سار في رعاية الله تعالى وعنايته .

(٣) هو زيد بن حارثة .

فقابَلَ الرَّسُولُ عَبْـدَ لَيْـــلِ ... وَغَيْــرَهُ مِنْ سَادَةِ القَبيَـــــلِ [١]

وَعَـرَض الدِيْـنَ عَلَيْهِـمْ فَأَبُــوْا ... وَبالقَبِيــــح حَدَّثـــوُهُ وَنَبـــــوا [٢]

لَمْ يَبْـدُ خيــرٌ قطُّ مِنْ أولاءِ ... إذَ أَعْـرضُوا حَالاً عَنِ النّـدَاءِ

وَحِيـــنَ ذَاكَ طلَبَ النبــــيُّ ... ألّا يُشَاعَ أَمْــرُهُ الزّكـــــيُّ [٣]

أَنْ يُكْتَمَ الأمْـرُ بِهِ لا تَعْلَـمُ ... قُرَيْشُ كيما للهدى لا تظلِـمُ

فَمـا أَجابُـوهُ وَلكِــنْ أَرْسَلُــوا ... صِبْيَانَهـمُ وعَلّمُـــوا وأَعْلَمُـــوا .

قالوا : اقذِفُوا مَن جَاء بالحِجَارَةَ ... وَعَرْقِلُــــــــوا لَهُ إذَنْ مَسَارَهْ

فَفَعَلُـوا حَتّــىٰ الدِمَـــاءُ سَالَا ... مِنْـهُ ،وَجهْلُ الجَاهِلِيـنَ طــالا

وزَيـــدُ يَدْرَأُ الأذىٰ بِنَـــفْسِهِ ... عَمَّنْ يَعِـزُّ أن ترىٰ كَغَـرْسِهِ [٤]

حِلْمـاً وَرِفْقَـاً دائمـاً وَعَطْفَـــاً ... وَقُـــوَةً في دِيْنِـــهِ وَلُطْفــــــا

وَجَـلَسَ النَّبِـيُّ عِنْــد كَرْمَـــةْ ... وَقَلْبُـهُ قَدْ اسْتَفَـاضَ رَحْمَـــــةْ [٥]

بِقُـرْبِ بُسْتَـانِ بَنِـــيْ رَبيعَـــةْ ... أَعْـدَاءَهُ الألىٰ قَلُوا صَنِيعَـــــةْ

ثُمَّ دَعَا : اللَّهُمَّ أَشكُو ضَعْفِي ... إليكَــرَبِّــيا خَفِيِّ اللُّطْفِ [٦]

أَشْكُو إِلَيْكَ مُرْسِلِي ـــ الهَوَانَا ... في النّاسِ ـــ يا مَن تملُك الحَنانَا

رَبِّ إلَىٰ مَنْ في الوَرَىٰ تَكِلُنِي ... هَلِـكْتُ إنْ لَمْ مِنْهُـمُ تقلنـي

إن لَـم يَكُنْ عليَّ منكَ غَضَبٌ ... فَلَـنْ أُبـالي هَجَـرُوا أَمْ رَغِبُـوا

وإذ رَآهُ ولْــــــدَا رَبِيْعَـــــــه ... وَشاهَـدَا زَيْـدَاً كَذَا صنيعــــــه [٧]

رَقَّـــا لَهُ فَأَرسَلاِ عُنقُـــوداَ ... مَعَ الفَتَـى عَطْفَـاً بِهِ وَجُـوْدَا [٨]

---

(١) رؤساء ثقيف وهم ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي .

(٢) ردوا عليه رداً قبيحاً ولم يجد منهم نصرة .

(٣) طلب منهم أن لا يصل الأمر الى قريش .

(٤) أي أصله وخلقه ونسبه .

(٥) شجرة الكرم كانت بجوار بستان لـ (عتبة وشيبة) ابني ربيعة وكانا من أعدائه .

(٦) وذلك أن رسول الله ﷺ دعا ربه فقال : «اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى عدو يتجهمني أم الى قريب ملكته أمري .. إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غيرأن رحمتك أوسع لي.... أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضىٰ ولاحول ولا قوة الا بك» . ابن هشام جـ ٢ ص ٢٢ .

(٧) أي فعله .

(٨) ارسلا العنقود مع غلام لهما يدعى عداس وقد اسلم .

أَخَــذَهُ نَبيُّنَـــا وَقَـــالَا : مِنْ قبْلِ أَنْ يَأكلهُ مَقَـالَا :
« باسْمِ الإلٰهِ الراحِم الرَّحِيْمِ » رَبِّ الـوَرَىٰ والمَـالِكِ العَظِيْمِ
فَقَـــالَ عَدَّاسٌ لَقَـــدْ رَأَيْتُ شَيْئَـاً غَرِيْبَـاً مِنْكَ إذ أَتَـيْتُ
أَهْـلُ البِـلَادِ ذاك لم يَقُولُـــوا كَيفَ إلىٰ ذَا أَمْكَنَ الـوُصُوْلُ

فَسَأَلَ الـرَّسُوْلُ مِمَّـــنْ أَنْتَ ! وَمَاهُوَ الدِّيْـنُ ؟ وأَيْـنَ كُنْتَ ؟
من نينـوى . أجَابَـــهُ عدّاسُ كم شَدّهُ لأحمَـدَ الإحسَاسُ .
فَقَـالَ صلَّىٰ الله رَبُّ النَّاسِ عَلَيْـهِ ، مَاعَـدُّوا مِنَ الأَنْفَـاسِ
مِنْ قَرْيَةِ الصَّالِحِ يُونُسَ الفَتَىٰ ؟ فقال : من أدراك فيه ؟ ومتَى ؟!

فَقَـرَأَ النَبِـيُّ في القُـــرْآنِ ذي النُّورِ وَالحَقِّ وَذِي البَيَانِ
قصتَـــهُ ، فَأَسْلَـمَ الغُـــلَامُ أعْجَبَـــهُ مِنْ فَمِـهِ الكَـلَامُ

★ ★ ★

وقـــد أَتى جِبْرِيـــلُ الأميـــنُ وقـــال إنّـــي قَادِرٌ مكيـــنُ
أَمَـــرَني الله بِأَنْ أُطيعَـــا مَاشِئْتُ فيمـن فعلـوا الوضيعا[1]

فقـال داعيـاً لَهُـمْ : رَبَّـــاهُ أَهْلِي الألى عَن الهدى قد تَاهوا
لا يَعْلَمُـــونَ مَا أنـــا عَلَيْـــهِ وَمَـــا أَتَــيْتُ دَاعِيَـــاً إِلَيْـــهِ
هَذِي صِفَاتُ المجتبىٰ المُخْتَـارِ مَا كَانَ ذَا حِقْدٍ وَلَا انْتِصَارِ
مِنْ ظالِمِيـهِ إِذْ عَلَيْـهِ جَارُوا وأَسْرَفُـــوا في غِيِّهِـــمْ وَسَارُوا

قَابَلَهُـــمْ بالعَفْـــوِ والـــوِدَادِ حَتَّىٰ قَضَىٰ مِنْهُمْ عَلَىٰ الفَسَادِ

★ ★ ★

---

(١) وقد قيل ملك الجبال .

وَأَرْسَلَ اللهُ لَهُ مُواسِيَـــــا جِنَّاً أَتُـوهُ إذ رَأَوْهُ دَاعِيــــا[1]
فَأَنْصتُوا للذِّكرِ ثمَّ انْصرفُـوا مِنْ بَعْدِ مَا هُدَاهُمُ قَدْ عَرَفُوا
انطلقـوا للجِـنِّ منذرينـا وانْقَلَبُــوا باللهِ عَارِفِينَـا
وَأَبْلَغُوهـم خَبَـرَ الـرَّسُولِ مُحمَّدِ الهَادِي إلىٰ السَّبِيلِ

★ ★ ★

العودة الى مكّة في جوار المطعم بن عَدِي [2]

وَبَعْدَ أَنْ عَادَ وَمَا استجَابَا لَهُ سِوىَ عَدَّاسُ ، ثُمَّ آبَـا
مَا أمْكَنَتْـهُ مَكَّـةٌ دُخُـوْلَا وَلَا إلى دِيَـارِهِ وُصُوْلَا
لأَنَّ أَهْـلَ مَكَّـةٍ قد عَلِمـوا أَمْرَ ثَقِيْـفِ ، ثُمَّ مَنْعَاً عَزَمُوا
فَأَرْسَلَ الرَّسُوْلُ نَحْوَ المُطْعِمِ يَطْلُبُـه إجَـارَةً وَيَحْتَمِـي
حتَّى الى مَكَّـة يَسْتِطِيعَـاَ دُخُولَهَـا ودِيْنَـه يُشِيعَـاِ
فَقَبِلَ المُطْعِـمُ أَنْ يُجِيـرَهُ منهُـمُ ويُرْضِي فِعْلُهُ ضَمِيـرَهُ
وأَمَـرَ الأَبنـاء أَنْ يَحْمُـوهُ من جور من جار ويحفظُـوهُ
حَتَّى أَتَىٰ النَبِيُّ لِلْمَطَـافِ بِرِفْقَةِ المُجِيـرِ والإِيـلافِ
قُرَيش كانَت تَسْأَل الـنصيرا أَتابِعـاً نَراكَ أَمْ مُجِيْـرَا
وَهُوَ يَقُـولُ : إِنِّـي مُجِيْـرُ حَتَّـىٰ إلى دِيَـارِهِ يَصِيْـرُ
وَوَصَلَ النَّبِـيُّ بَعْـدُ آمِنَـا لِبَيْتِـهِ وَالْشِّرْكُ باتَ وَاهِنَـا

★ ★ ★

---

(١) جاءه الجن لما كان بنخلة. قال الله تعالىٰ في سورة الأحقاف : وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعُونَ القرآن فلمّا حضروه، قالوا : أنصِتُوا فَلمَّا قُضِيَ ، ولَّوا الى قومِهِم منذرين ، قالوا : يا قومنا إنَّا سَمعنا كَتاباً أنزِل مِن بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى صراطٍ مستقيم . يا قومَنا أجيبوا داعِيَ الله وَآمِنوا بِهِ يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكُم من عذابٍ أليم ، ومنْ لا يُجب داعيَ الله فليس بمعجزٍ في الأرضِ وليسَ لَهُ من دونِهِ أولِيَاءَ أولئك في ضلالٍ مبين . »

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف

وَفْدُ دَوْسٍ[1]

فِي مَكَّـةٍ أَتَـاهُ وَفْـدُ دَوْسِ ... عَلَيْهِـمُ الطُّفَيْـلُ كَالرَّئِـيسِ

كَانَ الطُّفَيْلُ شَاعِـراً لَبِيْبـاً ... ذَا فِطْنَـةٍ وَحِنْكَـةٍ ، أَرِيْبَـا

استَمَعَ القُـرآنَ ثُمَّ أَسْلَمَـا ... ونَحـو قومِـهِ كذاكَ يَمَّمـا

★ ★ ★

دَعَـا لَهُـمْ نَبِيُّنَـا بِالخَيْـرِ ... وَقَـالَ : يارَبِ اهْدِهِـمْ لِلْنُّـورِ[2]

فآمَنُـوا إِلّا قَلِيـلاً مِنْهُـمُ ... قَدْ رَضِيَ اللَّـهُ الكريمُ عَنْهُـمُ

وأقبَلُـوا من بَعْـدُ لِلْمَدِيْنَـهْ ... حَيْثُ غَدَتْ بأَحْمَـدٍ حَصِينَـهْ

الإسراء والمعراج[3] :

قَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنِ الحَزِينِ ... هَادِي الـوَرَىٰ بِرَأْفَـةٍ وَلِيْـنِ

مِنْ بَعْـدِ مَالاَقَـاهُ مِنْ تَعَنُّتِ ... مِنْ قَوْمِـهِ أذىً وَمِـنْ تفـلُّتِ

فَكَـانَ أَنْ أَسْرىٰ بِهِ الرَّحْمَـنُ ... ذُو المُلْكِ في قُدْرَتِـهِ الدَّيَّـانُ

عَلى البُراقِ مِنْ فِنَـاءِ المسجِـدِ ... ليلاً إلى الأَقْصَى الشَّرِيفِ المَعْبَدِ

أَتـاهُ جِبْرِيـلُ وقـالَ : هَيَّـا ... يَا أَحْمَدَ الخَيْرِ اسْتَمِعِ إِلَيَّـا

لَمّا ارْتَقَى ظَهْرَ البُـراقِ ، طَارَا ... ثُمَّ إِلىٰ الأَقْصىٰ الشرِيفِ صَارَا

إذ وَجَدَ الرُّسْلَ الكِـرَامَ صَفَّـا ... وَكُلُّهُـمْ بِالمُجْتَبـىٰ قد حَفَّـا

وقدّمُـوهُ لِلصَّلاةِ فيهِـمُ ... فَأَمَّهُـمْ مُقَدَّمـاً عَلَيْهِـمُ —

---

(١) جاءه وهو بمكة هذا الوفد وعلى رأسه الطفيل بن عمرو الدوسي . ودوس هي عشيرة أبي هريرة الصحابي الجليل وكان الطفيل شاعراً لبيباً أسلم عند سماعه القرآن ثم ذهب الى قومه داعياً ومبشراً بالنور الجديد .

(٢) قال رسول الله ﷺ : (اللهم اهدِ دوساً) .

(٣) كان ذلك قبل الهجرة الى المدينة . والاسراء والمعراج شيء تفضّل به الله على نبيه ﷺ ، وخصه به دون الأنبياء .

وَكانَ مِمَّنْ خلفَهُ الخليلُ ذُو العَزْمِ في تَبْليغِهِ الجَليلُ
وَكانَ موسىٰ فِيهِمُ وَعيسَىٰ قَامَ النبيُّ بَينهُمْ رَئيسَا
ثُمَّ ارْتَقىٰ الرَّسُولُ في السَّماء في رِحلة جَلَّتْ مِنَ الصَّفَاءِ
رَأىٰ مِنَ الآياتِ مَا لَايُوصَفُ عَلَى تَفَاصِيلَ لها لايُوقَفُ
مِمّا رَأى أرواحَ مَنْ قدِ انتقلْ لِعَالَمِ البَرْزَخِ مِنْ ثَمَّ وَصَلْ
وآدَماً أبا الوَرَىٰ جَمِيعَا حَيْثُ يُسَرُّ إنْ رَأَىٰ الرَّفيعَا(١)
من نَسْلِهِ وإنْ رَأَىٰ الخبيثَا يُسَاءُ. لَا يَطيقُ أَنْ يُغيثَا
أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَىٰ الكَثيرِ مِنْ مُلْكِهِ العَظيمِ وَالكَبيرِ
مِمَّا لِغَيْرِ أَحْمَدٍ لَايُمْكِنُ مَنْ يدّعيه بعده سَيُلْعَنُ(٢)
وَجَاءَنَا مِنْ بَعْدُ بالصَّلاةِ مِعرَاجِنَا لِلْخَيْرِ وَالنَجَّاةِ

★ ★ ★

يَا أَيُّها المُرْتَابُ في ذِيْ القِصَّةْ كأَنما في الحلق منكَ غُصَّةْ
تَظُنُّ أن رَبَّنَا سَيَعْجِزُ لَايَسْتَطيعُ مِثْلَ هٰذا يُنْجِزُ
وهُوَ الّذي قَدْ سَيَّرَ النَّامُوسا في الكَوْنِ. بِالعَصَا أَعزَّ مُوسَىٰ
ومَنْ سِواهُ يَخْلُقُ الإنسانَا مِنْ نطفةٍ، ويُنْشِئُ الأَبْدانَا
ومَنْ سِواهُ يولجُ الظلامَا بِالنُّورِ كَيْ تَرى وَكي تَنَامَا

★ ★ ★

لا يَسْتَطِيعُ العَقْلُ أَنْ يُحيطَا ولا تَطِيقُ الكُلَّ أَنْ تُنِيطَا(٣)
أَكُلُّ مَا لَا تُبْصِرُ العُيُونُ رَجْمٌ مِنَ الغَيْبِ؟ فَهَلْ يَكونُ؟!
لَا وَالّذيْ قَدْ كَوَّنَ الأَبْصَارَا وكَوَّنَ الظَّلامَ والنَّهَارَا

---

(١) أي يفرح إذا رأى من أولاده ذوي الأعمال الرفيعة ويحزن إذا رأى المسيئين منهم .

(٢) لأنه لا ينبغي لأحد أن يدّعي مثل هذه الفضيلة .

(٣) وذلك لأن العقل عاجز محدود ، وملك الله وذاته لا يستطيع العقل أن يحيط بهما .

سُبْحَانَــه سَلِّــمْ لَهُ يَدَيْكَــا أَقْبِلْ عَلَيْهِ تلقَــهُ إِلَيْكَــا.[1]

★ ★ ★

مِنْ عَدَمٍ سَوَّىٰ الإِلٰهُ الكَوْنَا وَكَوَّنَ الحَيَــا.. أَلا تَرَوْنَــا[2]
أَلَا تَرَى اليَــوْمَ من الأثيــرِ وأَنْتَ جَالِسٌ عَلى السَّريــرِ[3]
مَشَاهِــداً بَعيــدَةَ المَنَــالِ عُدَتْ قَدِيماً مَسْرَحَ الخَيَالِ؟!

★ ★ ★

حَقٌّ هُمَـا الإِسْرَاءُ وَالمِعْــرَاجُ هُمَـا لِخَيْرِ العَالَمِيــنَ تَاجُ.
إِذْ عَادَ في الصَّباحِ ثُمَّ أَخْبَرا قُرَيْشَ بِالأَمْرِ الَّذي لَهُ جَرَى[4]
أَمّا أَبُو بَكرٍ فحالاً صَدَّقَا فُؤَادُهُ وَوَجْهُــهُ قَدْ أَشْرَقَــا
وَصَفَّقَ الجُهَّالُ ثُمَّ صَفَّــرُوا صَدّاً، وثُمَّ أَوْعَدُوا، وأَنْذَرُوا
أَحَدُهُــمُ قَالَ لَهُ كأنّــي : أرىٰ عَلَيْكَ طائِفاً مِنْ جِنٍّ[5]
أَأَنْتَ لِلْسَّمَــاءِ قَدْ صَعَدْتَــا في لَيْلَــةٍ وَاحِــدَةٍ وَعُدْتَــا
أَأَنْتَ زُرْتَ القُدْسَ بالعَشِيَّــةْ فَصِفْ لنا الأَقْصى. أخا الرَّضِيَّةْ[6]

★ ★ ★

فَنَعَتَ النَّبِيُّ شَكْلَ المَسْجِدِ مُفصَّلاً، لٰكِنْ وَمَنْ سَيَهْتَدي؟!
قَدْ صَدَّقُوا الوَصْفَ ولكِنْ قَالُوا عِيرٌ لَنا في الشَّام. قل أمالوا؟..
مَتَى رَأَيْتَ مَقْدِمَ الجِمَــالِ تَسيرُ هٰذا اليَوْمَ في الرِّمَــالِ

---

(١) أي تلقاه مقبلاً عليك، وإليك بالخير والرحمة والمعونة.
(٢) الحيا : المطر.
(٣) أي بواسطة الرائي (التلفزيون).
(٤) جاءه أبو جهل فحدثه الرسول ﷺ بما جرى في تلك الليلة فنادى أبو جهل يا بني كعب بن لؤي فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم رسول الله ﷺ الخبر فصاروا بين مصفق ومصفر ومنكر
(٥) أي فيك مسٌ من الجن ــ كما يزعم القائل.
(٦) أي يا صاحب النفس الرضية .. وقد وصف الرسول ﷺ المسجد باباً باباً وموضعاً موضعاً. وذلك أن الله تعالى جلاه له وقد صدقوا وصفه.

فَقَالَ إنَّهـا إلَيْكُـــمْ قَادِمَـــةْ حِينَ تكونُ الشمْسُ حالاً قائمةْ
والجَمَـلُ الأَوْرَقُ في الطَّلِيعَـــةْ وَصُدِّقَتْ أَوْصَافُــهُ البَدِيعَـــةْ

★ ★ ★

لٰكِـنَّ مَنْ أَعْمَتْهُـمُ المَصَالِـحُ لَمْ تُجْدِهِـم أَدِلَّـةٌ صَحَائِـــحُ

العرض على القبائل :

وَابْتَـدَأَ العَـــرْضُ عَلــىٰ القَبَائِـــلِ وَسِيْلَـــةً كانَتْ مِنَ الوَسائِـــلِ
فَبعضُهُـــمْ يَرُدُّ رَدًّا لُطْفَـــا وآخَـــرُونَ شِدَّةً وَعُنْفَـــا
شَديــدَةً كَانَتْ بَنُـــو حَنيفَـــةْ في رَدِّهَـا وَلَـمْ تَكُـــنْ لَطيفَـــةْ
وَسَأَلَتْــهُ «عامِــرٌ» أَنْ يَجْعَـــلَا مُلكـاً لَهُـمْ مِنْ بَعْدِهِ وَيَفْعَـــلَا[1]
فقـــالَ رَبِّـــي يضَعُ الأُمُورَا حَيْثُ يَشا ، وَكَانَ بِي بَصيـرَا
ثُمَّ أَتَى لِفِتْيَـــةٍ مِنْ يثْـــرِبِ جَاؤُوا قُرَيْشاً ، رَغْبَةً في المَغلَبِ[2]
وَيثْرِبٌ قَدْ كانَ فِيها الخَزْرَجُ وَالأَوْسُ، والحَرْبُ لَدَيْهِمْ تُولَجُ
عَدَاوَةٌ قَائِمَـــةٌ بَيْنَهُـمَـــا قَديمَـــةٌ ضَارِيَـــةٌ عِنْدَهُمَـــا
وَجـاوَرَ القَـوْمَ يَهُـــودٌ مِنْهُـــمُ بَنُو النَّضِيرِ لا تَسَلْنِي عَنْهُـمُ
وقينقــــاعُ وَبَنُــــو قُرَيْظَـــةْ إنْ جَاءَهُـمْ أَمْرٌ أَتـوا بغيْضَةْ
عَادَتُهُـمْ قَديمَـةٌ في النَّـــقْضِ بَلْ صَارَ هذَا عِنْدَهُمْ كَالفَرْضِ
كانَتْ لَهُـــمْ سَيْطَـرَةٌ وَقُـــوَّةْ في يَثْـرِبٍ ، ظُلْمـاً كَذَا عُتُـوَّةْ
أَبْناؤُهـا مِنْ قَبْــلُ حَارَبُوهُـــمْ حَتَّى لَهُـمْ بالحَقِّ أَخْضَعُوهُـمْ
كَانَ اليَهُـودُ حِيـنَ يُخْذَلُونَـــا عَلَيْهِـــــمُ به يُواعِدُونَـــــا
لٰكِنَّهُـــمْ لما أَتَاهُـــمْ أَحْمَـــدُ عَتَـوْا وجَـارُوا عندهـا وأفسَدُوا

★ ★ ★

---

(١) أي سأله بنو عامر أن يجعل الملك فيهم من بعده . أما بنو حنيفة وهم رهط مسيلمة الكذاب فكان ردهم أقبح الرد .
(٢) يثرب(وهو اسم (المدينة المنوّرة) في الجاهلية)تقع بين مكة والشام وهي مكان الهجرة للرسول الأعظم ﷺ .

تَنَاجَزَ الحَيَّانِ في المَدِينَةْ — وَأَعْمَلا الشَّتَاتَ وَالضَّغِينَةْ
تَحالَفَا مَعَ اليَهُودِ، أَشْعَلا — حَرْبَاً أَتَتْ عَلَيْهِمُ، وَأَثْقَلا
يَوْمُ بُعاثٍ آخِرُ الحُرُوبِ — بَيْنَهُمُ، والقتلِ والهُبُوبِ
ثُمَّ رَأَى الأَوْسُ تَحالُفاً مَعَا — قُرَيْشَ حتّى وِزَرَ حَرْبٍ تُوضَعَا
فَيَمَّمُوا مَكَّةَ قاصِدِينَا — هٰذا، وَحِلْفَ النَّصْرِ طَالِبِينَا
فجاءَهُمْ مُحَمَّدٌ وَقالا : — هَلْ لَكُمُ أَحْسَنَ من ذا حالا؟
أَنْ تُؤْمِنُوا باللهِ، أَلا تُشْرِكُوا — وظلمكُمْ كذاك أيضاً فاتركوا
وَاللَّهُ قَدْ أَرْسَلَني لِلْناسِ — كُلِّهِمُ بِالخَيْرِ وَالإِيناسِ
ثُمَّ تَلا القُرْآنَ فِيهِمْ حَالا — وَعِنْدَها إِياسُ مِنْهُمْ قَالا :(1)
يا قَوْمُ! إنه الهدى والصدقُ — وإنه خيرٌ لنا وَحَقُّ
قَامَ أَبُو الحَيْسرِيْرمِي تِرْبُهُ — يَقُولُ : مَاكُنَّا بِهذا نَأْبَهُ(2)
فَلَمْ يَقُلْ إِيَاسُ شيئاً بَعْدَها — وَلَمْ يَفُهْ بِأَي حَرْفٍ عِنْدَها
وبَعدَ ذَاكَ حِينَ جَاءَ المَوْسِمُ — تَعَرَّضَ الرَّسُولُ بَعْضاً مِنْهُمُ
عَدَدُهُمْ قَدْ قِيلَ نحو سِتَّةْ — ما جَادَلُوهُ في المقالِ البَتَّةْ(3)
بَلْ أَسْلَمُوا جَميعُهُمْ وَعَادُوا — بِأَمْرِهِ عَلى هُداهُ انْقَادُوا
وقال بعضُهُمْ لبعض : إِنَّهْ — صِدْقٌ، وقد مَنَّتْ يَهُودُ مَنَّهْ(4)
فآمِنُوا بهِ لَا يَسْبِقَنَّكُمْ — يَهُودُ نَحْوَهُ فَيَغْلِبُنَّكُمْ —
ثُمَّ ولِلنَّبيّ حَالاً قَالُوا : — قَوْمٌ لَنَا عَلى العَنَا مَازَالُوا
فإِنْ هَدَاهُم الرحمنُ جَمعاً — فَلا أَعَزَّ مِنْكَ بَعْدُ سَمْعَا

★ ★ ★

---

(١) هو إياس بن معاذ الخزرجي .

(٢) هو أبو الحيسر (أنس بن رافع) . خزرجي أيضاً ـ تربه : صديقه .. نأبه : نهتم لأنه قال لصاحبه : (دعنا منك لقد جئنا لغير هذا .)

(٣) البتة : بمعنى أبداً ـ وهؤلاء كلهم من الخزرج .

(٤) أي كانت يهود تمني نفسها بالنصر عليكم ، وبالإيمان به .

مِنْ بَيْـــنِ هَؤُلاءِ كَانَ رَافِـــعُ[١] وَأَسْعَـدٌ[٢] وَعَـوْفُ كُلٌّ سَامِـــعُ[٣]
وقُطْبَـةٌ[٤] وَعُقْبَـــةُ بنُ عَامِـــرِ[٥] وَجَابـرُ الكَرِيـمُ في الـمَصادِرِ[٧]
وَكانَ هٰذا أَوَّلَ الـــــبِشارَةْ وَزَادَ رَبـيّ بَعْدَهَـــا انْــتِصَارَهْ[٧]

بيعة العقبة الأولىٰ :

إذْ بَعْـدَ هٰذا جَاءَهُ الرِّجَـــالُ مِنْ يَثْرِبٍ ، نَحْوَ هُدَاهُ مَالُـوا
عَشَرَةٌ أتـاهُ وَفْــدُ الخَــزْرَجِ واثْنانِ مِنْ أوْسٍ كِرامِ المخْرَجِ
فَأَسْعَـدٌ مِنْهُـــمْ فَتَـــىٰ زُرارَةْ[٨] وعـــوفُ وأخـــوه ذو الجدارة[٩]
ورَافِـــعُ بنُ مَالِكٍ[١٠] وَعُقْبَـــهُ[١١] ذَكْـوَانُ[١٢] أيْضاً جَاءَهُ وَقُطْبَـةْ[١٣]
كَذَا عُبَادَةٌ[١٤] مع ابن ثَعْلَبَةْ[١٥] وابْـنُ عُبـادَةٍ يَنـالُ مَطْلَبَـــهْ[١٦]
أَمّـا مِنَ الأَوْسِ فَقَـــدْ أَتَـــاهُ عُوَيْـمُ[١٧] وابـــنُ الـــتَّيها تَلاهُ[١٨]
وَبَايَعُـــوهُ بَيْعَـــةَ الـــنِّساءِ جميعُهُـمْ مِنْ غيـرِ مارِيـــاءِ[١٩]

---

(١) هو رافع بن مالك بن عامر من بني زريق .
(٢) هو أسعد بن زرارة من بني النجار .
(٣) هو عوف بن الحارث من بني النجار أيضاً .
(٤) هو عقبة بن عامر من بني سلمة .
(٥) هو قطبة بن عامر من بني حرام
(٦) هو جابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي .
(٧) أي انتصار محمد لله ودينه .
(٨) أسعد بن زرارة سبق التعريف به .
(٩) عوف بن الحارث وأخوه معاذ .
(١٠) رافع بن مالك .
(١١) عقبة بن عامر بن زيد بن حرام .
(١٢) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق .
(١٣) قطبة بن عامر .
(١٤) عبادة بن الصامت .
(١٥) يزيد بن ثعلبة .
(١٦) هو العباس بن عبادة .
(١٧) عويم بن ساعدة .
(١٨) أبو الهيثم بن التيهان .
(١٩) مراءاة وتفاخر .

أنْ يَعْبُدُوا اللهَ وأَلَّا يُشْرِكُـوا ... والفحشَ والزِّنَى جَميعَاً يتركوا

جَزاؤُهُمْ إنْ أخْلَصُوا الإيمَانا ... خيرٌ وإنْ لَمْ يَفْتَروا بُهْتانا

وَإنْ أَتَوْا شَيئاً فإنَّ الأمرَ ... لِلَّهِ فيهِمْ خفيَةً وَجَهْرَا

وكانت البيعة عند العقبةْ ... ويَسَّرَ اللهُ لما قد رغبةْ[1]

* * *

فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ فيهِمْ مُصْعَبَا ... مُعَلِّماً وَداعِياً مُؤَدِّبا[2]

كَذاكَ عبدُ اللهِ بنِ أُمِّ ... مَكتُومَ أَيْضاً ذُو النُّهى والعِلْمِ[3]

نتيجةُ الدعوة في المَدِينَةْ ... إسْلامُ عَبْدِ الأَشْهَلِ الرَّزِينَةْ[4]

كَذَا أُسَيْدٌ وَلَدُ الحُضَيْرِ ... هَداهُ رَبِّي بالهُدىٰ والخَيرِ[5]

انتَشَرَ الإسْلامُ في البُيُوتِ ... حتى غدا الحديثُ في النعوتِ[6]

بيعة العقبة الثانية :

وَلَمّا جاءَ وَقْتُ الحَجِّ جَاؤُوا ... إلَيْهِ إذْ بالدِّينِ قَدْ أضاؤُوا

وبينهُم مِمَّنْ هُمُ لَمْ يُسْلِمُوا ... بَعْدُ ، وأوثاناً لَهُمْ لَم يَهْدِمُوا[7]

فقابَلَ الرسُولُ وَفْداً وَحْدَهُ ... ليلاً ـــ أَعزَّ اللهُ فيه عَبْدَهُ

أَمَرَهُمْ أَلَّا يُنَبِّهُوا على ... خبرهم مَنْ لَيْسَ فيهِ دَخلا[8]

---

(١) وهذه هي بيعة العقبة الأولى .

(٢) هو مصعب بن عمير ـــ روى البخاري عن البراء بن عازب قال : « أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن .. » مختصر ابن كثير ج ١ ص ٦٢٩ .

(٣) عبد الله بن أم مكتوم، ابن خالة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنهما . فيه نزلت سورة (عبس وتولى ...) وكان ضريراً استخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض الغزوات . وفي بعض الروايات أنه لم يرسل الا مصعباً فقط .

(٤) بنو عبد الأشهل ، هم بطن من الأوس .

(٥) هو أسيد بن الحضير .

(٦) أي كان حديث البيوت هو الإسلام . ونعوته أي صفاته وميزاته .

(٧) كان ممن جاء الموسم من لم يُسلم بعد كابن أبيّ وغيره .

(٨) أمرهم أن لا يوقظوا نائماً وأن لا ينتظروا غائباً كي لا تعلم قريش بالأمر ، كان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين .

عسىٰ قريشٌ لَا ، بِهذا تخبَرُ ... فتحكُمُ الرأْيَ ، وَجَهْلاً تُظْهِرُ

وَبَعْدَ أَنْ حَجُّوا إليه عَادُوا ... تسلُّلاً وللنبيّ انْقَادُوا

اجْتَمَعُوا زَادُوا على السبعينَ ... بينهُمُ ثِنْتَانِ قَدْ رَضِين

أَغْلَبُهُم مِنْ خَزْرَجٍ قَدْ كَانوا ... وبِالهُدىٰ وللنبيِّ دَانُوا

وافقهُم رَسُولُنا هُناكا ... وَمَعَهُ العباسُ كَيْ يُحاكا [1]

أمرٌ ويَضمَنَ القريبُ نَصْراً ... لابنِ أَخيهِ ويشدُّ أَزْرَا

وبعدَ أنْ خاطَبَهُمْ عَبَّاسُ ... علاهُمُ الوِدَادُ وَالحَماسُ [2]

وعُقِدتْ بَيْعَتُهُم جميعا ... فما تَرى فيهِمْ سِوى مُطيعَا

قَالُوا اشْتَرِطْ لله مَا أَرَدْتَ ... وأَنْتَ قُلْ لَنا الّذي رَغِبْتَ [3]

فَقَالَ : لله بِأَنْ توحِّدوا ... ولِلّذي عليكُمُ تُسَدِّدوا

ولِلنَّبيِّ تمنعُوهُ مِمَّا ... نِساءَكُمْ قد تمنعون هما

متى قدمتُ نحوكم تؤازروا ... وتنصرونِ ، بالهُدىٰ تجاهَرُوا

أجابَ بَعْضُهمْ وفيه قَالَا : ... هَلْ لَكَ ، إنّي سائلٌ سؤالا

إنَّ الرِّجالَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ ... عَهْدٌ ، وإنّا قَاطِعُوهُ دُونَهُمْ

فهل عسيتَ إن فعلنا ذاكا ... ثُمَّ ظَهَرْتَ بَيْنَنَا نَراكَ ــ ؟!.

أم تَتْرُكُ الأَنْصارَ ثمَّ ترجعُ ... وَهٰذهِ البَيْعَةُ حَالاً تُرفَعُ [4]

فقَالَ : لَا بَلْ إنَّهُ الدمُ الدمُ ... هَدْماً إذا أَرَدْتُمُ سأَهْدِمُ [5]

فبايعَ الرِّجالُ ــ كانَ أَوَّلا ... من بايعوه أَسْعَدٌ وقد تَلا [6]

★ ★ ★

---

(١) كان معه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو على دين قومه أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له .

(٢) خطب فيهم العباس عم رسول الله ﷺ . معرفاً بابن أخيه ، مبيناً مكانته في نفوس أهله ، فأجابه البراء بن معرور وكان كبيرهم .

(٣) أي اشترط لنفسك ما أردت ولربك ما فرض علينا .

(٤) قال له الهيثم بن التيهان : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال عهوداً وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ ! ...

(٥) قال عليه الصلاة والسلام : وقد تبسّم لابن التيهان « الدم الدم والهدم الهدم » .

(٦) « قال ابن اسحاق : بنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده ﷺ (أي بايعه) وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان .. وفي رواية أخرى البراء بن معرور » . ابن هشام ج ٢ ص ٤٣ .

اختار الرسول منهُمُ رجالا. مِنْ بَيْنِهِمْ أَشْرَفَهُمْ مِثالَا —
فتسعةٌ من خَزْرَجِ النقبا هُمُ الكِرامُ فهم وَالرُّقَبَا[1]
ثلاثةٌ أيضاً أتوا منْ أَوْسِ أهلِ الهُدَىٰ والطُهْرِ في النفوس

★ ★ ★

قالَ الرسُولُ : إنكمْ أَنْصارِي غيظٌ على العُتاةِ والفُجّارِ
فَخَبِرَتْ قُرَيْشُ ذَاكَ الخَبَرَا فخرَجت لِتَنْظُرَ الذِي جَرَىٰ[2]
فأنكَرَ الأَنْصارُ أنْ يَكُونُوا أَتَوْا بِهذا أَوْ لَهُمْ يَخُونُوا
وَالمُشْرِكُونَ مِنْهُمُ قد أقْسموا لَهُمْ وَقالُوا : إنّهُمْ مَا أسلموا
وابْنُ أُبَيٍّ رَأْسُهُمْ يَقُولُ : مَا كانَ قومي بالألى يَحُولُوا[3]

★ ★ ★

قد رجع الأنصار بالإيمانِ قلوبهم كالصف في البنيانِ
وأُظْهِرَ الإسلامُ في المدينةْ والله فيها قد أَعزَّ دِينَهْ

★ ★ ★

أَمَا رسُولُ اللهِ والأَصحابُ فعندهم قد شُدِّدَ العذاب
إذْ عَلِمَتْ قريشُ أَنّ حِلفا جَرى عليهم ما أحاطَتْ وَصْفَا
فأمر الرسولُ مَنْ أتاهُ مُصَدِّقاً بِالحَقِّ إذْ دَعَاهُ
فقال : يامن آمنوا بي هاجروا ليثربِ ، وَمَكَّةَ فغَادِرُوا
فَهاجِرُوا سِرّاً لِكي لايُمْنَعُوا مِنْ هجرةٍ لله ثمَّ يُرجَعُوا
وهَاجَرَتْ مِنْ بَعد بعلٍ أُمُّ سَلَمَةٍ، وغاب عنها الهَمُّ

(١) النقباء هم : أسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رواحة ، رافع بن مالك ، عبد الله بن عمرو بن حرام ، عبادة ابن الصامت ، سعد بن عبادة ، المنذر بن عمر بن خنيس ، أسيد بن الحضير ، رفاعة بن عبد المنذر بن عوف بن مالك ، سعد ابن خيثمة ، أبو الهيثم بن التيهان .
(٢) ذكر ابن هشام أن قريش علمت الخبر (خبر البيعة) فتبعت الأنصار فأدركت منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو . أما المنذر فاستطاع الهرب وأما سعد فأُخذ الى مكة ثم أجاره جبير بن مطعم بن عدي .
(٣) يحولوا : أي يخونوا ما بيننا وبينهم .

إذ قومها قد وقفوا للمَنع أَمَامَها، ولـلأذَى والصَّفْع
لٰكِنَّهم مِنْ بَعْدِ ذا خلوها وما تُرِيدُهُ وقد قلوها[1]
وتابَعَ المُهاجِرُ المُهاجِرا مُناضِلا، وَللهُدىٰ مُناصِرا
مُذ حَمَلَ الإيمانَ وَسْطَ القَلْبِ وَعَمَّرَ القَلْبَ النَّدَىٰ بِالحُبِّ
مَا همه نَأْيٌ مَضى وبُعدُ مَادَامَ لله رَمَاهُ الصَدُّ
قَدْ هَاجَرُوا لِمَوْطِنٍ يُقامُ دينُ الهُدىٰ فِيهِ وَلا يُضامُ
لَمْ يبقَ في مَكَّةَ إلَّا القِلَّةْ وَقَلْبُ كُلُّ وَاحِدٍ مُولَّهْ
يودُّ لَوْ في رَكْبِهِ قد التحق وسابق المهاجرين أو سبق

★ ★ ★

ظَلَّ أَبُو بَكْرٍ كَذا عَلِيُّ، في مَكَّةٍ وَزَيْدٌ الرَّضِيُّ
قالَ أَبُو بكرٍ: أنا مُهاجِرُ قالَ الرَّسُولُ: اصْبِرْ فَإنّي صَابِرُ
لَعَلَ رَبّي لِي بِهٰذا يأذَنُ ثُمَّ نَسِيْرُ بَعْدَهَا ونأمَنُ
فَحَبَسَ الصِّدِيقُ نَفْسَهُ علىٰ صُحْبَةِ مَنْ رَبِّي بِهِ تكفَّلا
فَعَلَّفَ اثنتينِ مِنْ بَيْنِ الإبِلْ بفعْلِهِ كان النَّبيُّ قَدْ قَبِلْ
وبقي الصِّدِيقُ في انتظار حتى أتىٰ الإذن من الغفَّارِ

(١) قلوها: أبغضوها.

القسم الثالث

الهجرة إلى المدينة



تشاور قريش في دار الندوة[1] :

واجتمعت قريشُ في النوادي ... لمّا رأته ظلّ في ازْديَادِ

وَسَمِعَتْ بِبَيْعَةِ الأنْصارِ ... لِأَحْمَدِ والذَّوْد بالدّيارِ

★ ★ ★

في دَارِ نَدْوَةٍ لهم تجمعوا ... تَبَادَلُوا الآرَاءَ ثُمَّ أجمعوا

تشاوروا فيما سَيَصْنَعُونا ... في أمر هذا ما سيفعلونا

فقال منهم قائل : نُخْرِجُهُ ... من أرضِنا وعندها نُحرِجُهُ

فَرُفِضَ الرَأيُ لأَنَّ الناسَ ... يجتمعون حَوْلَهُ أَجْناسَا

فقالَ آخرٌ : إذَنْ نَحْبِسُهُ ... مُقيَّداً. وَقطُّ لا نُجلِسُهُ

لَمْ يَقْبَلُوا الرَّأيَ . وقالوا : تَعْلَمُ ... أَنْصارُهُ هٰذا وَحَالاً تَعْزِمُ

محمداً يَفْدُونَ بِالحَيَاةِ ... والنفسِ والبنين والبَنَاتِ

وذَاكَ ربَّما يَجرُّ حربا ... عنها غَدوْنا في غِنىً ، وَكَرْبا

فقال طاغِيهُمْ إذن نقتُلُهُ ... هذا هو الرأي الذي نفعلُهُ

ولْتمنع الأهلَ من الثأرِ أرىٰ ... دماءَه في القومِ أن تبعثرا

من كلّ قومٍ ننتقي قويّاً ... يأتي لدار أحمدٍ عشيّاً

حتّى إذا مِنْ دَارِهِ قد خَرجَا ... يضربُهُ الكلُّ . فقالوا فُرِجا

سبيلُنا .. وبعد لا تُطيقُ ... منافُ حَرْبَ القومِ أوْ تريقُ

فتأخذ الديات مِنْ جميعِ ... مَنْ شَارَكوا اليَومَ بذا الصَّنيعِ

---

(١) دار الندوة هي دار لقصي بن كلاب . تجتمع فيها قريش للتداول في المهمات من الأمور . وكان ممن حضر دار الندوة يومها : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وطعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر ابن نوفل ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل بن هشام ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن سهم ، وأمية بن خلف . كما حضر الشيطان على صورة رجل شيخ من أهل نجد .
ابن هشام ص ص ٦٨ — ٦٩ ج ٢ .

ومكـــروا مكرهـــم جميعـــاً   وربنـــا كان بهـــم سَميعَـــا
فأُعلِـمَ النبـــيُّ خُطّـــةَ الأُلـــىٰ   قَد دبّـــروا والله فوقهـــم عَلَا
وأذن الله لهُ بالهِجْـــــــرةْ   للبُعْـــدِ عمّـــن يبتغُـــونَ غَدْرَهْ

هجرة الرسول الأعظم:

فأطْلَـعَ النَّبِـــيُّ مِنْ سَاعَتِـــهِ   صِدِّيقَـــهُ الـــرَّاغِبَ في رِفْقَتِـــهِ
على الـــذي همَّ بأن يَفْعَلـــهُ   وقـــد رأى الغـــداةَ أن يعملـــه
فقال: هل لي أن أكون صاحبا   لكـنـتُ دومـــاً في رضاك راغبـــا
قال: نعـــم، فجهِّـــزِ الجهـــازا   وخـذ من الأعـــدا لك احتـــرازا
فجهـــزَ الـــزادَ كَذا الرواحـــلا   واستأجراهـــادٍ، أنيـــل نائـــلا
يدعـــى بعبـــدِالله نجلِ الأرقـــط   ومن بني الديـل، وذا للأحـوط [1]
قد وعـــداه غار ثورٍ ليـــلا   بعـد ثلاثٍ. وعـــداه ميـــلا [2]

★ ★ ★

ويُصنـــعُ الـــزاد وفي الجراب   تلفـــهُ صاحبـــةُ الحجـــاب
نطاقهـــا أسماء شقت شطـــرا   وربـطت فيـه الجراب فخـــراً [3]
فدعـيت لذاكَ بيـــنَ القـــومِ   ذات النطاقيـنِ غدتْ لليـــوم

★ ★ ★

وفـارقَ الـرسولُ ضمـنَ وعـــدِ   صدِّيقَـهُ. لَيْـلاً وَعِنْـدَ بُعْـــدِ [4]
قريشُ همتْ عندهـــا بالعـــزمِ   لكي تَرىٰ ماخَطَّـطَت بالحَزْمِ
قد جمعتْ في بابـهِ الفتيانـــا   فحـــولَ داره غدوا عيانـــا

---

(١) هو عبد الله بن أريقط.
(٢) أي ميلاً اليه ووصولاً لمكانه الذي ينتظرهما فيه.
(٣) هي أسماء بنت أبي بكر. وقد لقبت بذات النطاقين لذلك.
(٤) هذا ما ورد في نور اليقين.

محمدٌ كَانَ مُقيماً فيها ... وَكَانَ عَالِماً بهم نَبيهَا

فعندما حان الخروج قالا ... عَليّ ! ألا أقم تَطِبْ مآلا[1]

ليدفع الشك كذا والريبةْ ... والله وحدَهُ كلا حبيبةْ

وهُمْ إذا مادققوا الأنظارا ... من العباب وجدوا المختارا

★ ★ ★

وَبَعْدَ أنْ غطى عَليًّا وَخَرجْ ... كانَ النُّعاسُ في العُيونِ قد وَلَجْ

لَمْ يره الفتيان لم يشاهدوا ... إذ خرج الشهم الكريمُ الماجِدُ

تلا النبيُّ قبلها القرانا ... فما رأى في وجهه إنسانا

وظَنُّهم أن النبي لم يزل ... وفي داره وذاكَ رأيُ مَنْ زلَلْ

★ ★ ★

مضى محمدٌ إلى أن قابلا ... صِدِّيقه وثم سيراً واصلا[2]

حتى إلى الغار الذي شَرَّفَهُ ... نَبينُا بالمكثِ قد أتحفهُ[3]

إذ وصلا في ساعةٍ إليه ... ودَخلاَ ، ففرَّخَتْ عليهِ[4]

حمامةٌ ، ونسجت خيوطا ... عَنْكَبَةٌ ، تَوَدُّ أن تحوطا

فكَان أنْ أغنَتْ عَنِ السيوفِ ... وعن رجالِ الساح والحتوفِ

إنْ أدركتكَ رحمةُ الرحمنِ ... بالعون لاتَخفْ من العدوان

عنايةُ الله إذا أُدْركْتَا ... بها ، وبالتأييد إن لُحِظْتَا

فلن تذوق في الحياةَ مرّا ... ولن ترى شيئاً عليك ضُرّا

فالمُشْركُونَ عَلِمُوا أنهُمُ ... ضلّوا وخاب أمرُهم بَيْنهُمُ

---

(١) قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب : « نم على فراشي وتسج ببردي الحضرمي الأخضر فنم فيه ، فإنه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله ﷺ ينام في برده إذا نام » . ابن هشام ج ٢ ص ٧١ .

(٢) قال ابن اسحق : فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ... » . المصدر السابق ص ٧٤ .

(٣) الغار هو غار في جبل ثور بأسفل مكة .

(٤) لم يذكر ابن هشام قصة العنكبوت ولا الحمام .

تبينــــوا أنهُـــــمُ الحراسُ عنـد علـيٍ... رأيهم إفــلاس

هاجـوا انتظـاراً بعدهـا وماجـوا وأرسلوا في الأرض حينَ احتاجوا

زادوا كثيراً عندهــا الجوائـــزا لكـل من يأتي عليـه حائـــزا[1]

وَوَصَلُوا لِلْغَارِ لكـنْ أُعْمِيَتْ قلوبُهـــم، وصُرِّفَتْ وأُغفَـــيت

في حِينِهِ الصِّدِّيقُ قَالَ : لَوْ نَظَرْ أَحَدُهُـــم أَمَامَــهُ بِنَــا بَصَرْ

أَجَابَهُ النبـــيُّ لاتَخَـــفْ ولاَ تحزَنْ، فإِنَّ اللهَ جَلَّ وعَـــلاَ

مَعَ النبّي... مَعَنَا لَنْ يَصِلوُا إِليّ.. للغَـارِ هُمُ لَنْ يَدْخُلـوا

★ ★ ★

أُميّـــةٌ يقـــولُ مافي الغَـــارِ مِنْ رَجُلٍ قَطُّ ولاَ مِنْ جَارِ

فِيــه أقامَـــا بَعْدَهَـــا أيّامــا ثلاثـــةً زِيْـــدا بِهـــا إِكْرَامَـــا

فابـنُ أَبِـي بَكْـر يَبيتُ فِيـهِ أَيْضا وأَمْرَ المُصطَفَى يُخْفِيـهِ

يَخرجُ مِنْ غارِهِما في السَّحَرِ إلى قريشٍ رَاجعــاً بالخَبَـــرِ[2]

ثُمَّ إذا ما اختلـــط الظــلامُ والنــاسُ في مَكـةَ بَعْـدُ نامُـوا

يأتيهمـــــا بِخبرِ الكُفَّـــــارِ ثمَّ يَبِـيتُ بينهمُ في الغـــارِ

وَعَامِـــــرٌ يَرُوحُ بالأَغْنَـــامِ يُخْفِـي عَلَيْهـم أثَـرَ الأَقْـــدَامِ[3]

★ ★ ★

وخَرجَـا بَعْـدَ انْقِطَـاعِ الطَّلَبِ وبَعْـدَ أَنْ جَاءَ الدَّليلُ للنَّبِي[4]

صُبْـــحَ ثلاثٍ رَكبــــا وسَارَا مُيمّمِيـــنَ يَثْـــرِبَ الأنظـــارا

لاَحَقَهُـــم سُرَاقــــةُ بْنُ مَالِكِ يطلبُهُـم فسَارَ في المَهَـــالِكِ[5]

---

(١) جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم .

(٢) كان عبد الله يخرج من الغار وقت السحر الى مكة فيغدو كمن بات فيها . ثم يعود وقت الظلام والنوم الى الغار مخبراً المهاجرَيْن الكريمَيْن بأخبار مكّة .

(٣) هو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٤) أي بعد أن أتاهم عبد الله بن أرقط الذي استأجراه ليكون لهما دليلاً .

(٥) سراقة بن مالك بن جعشم ينتهي نسبه ببني مدلج بن زهرة .

فرسُهُ سَاخَتْ بِهـا الأقـدامُ   لَمْ يُجْدِهِ القِتَـالُ والإقْـدامُ
فَطَلَبَ الأمَانَ مِمَّـنْ قد أتى   قبـل قليـلٍ يَبْتَغِيـهِ إذعَتَّـا
وَعَـدُه رسولنـا بالخير   فلَـمْ يَنَـلْ سُرَاقَةُ مِنْ ضَيْـر[1]
وظهَـرَتْ عِنَايَـةُ الكَريـمِ   رَبِّ العبـاد القـادِرِ العليـمِ
بأحمِدِ رسولِـهِ الأمِيـنِ   أنعـم بربِ النـاسِ من معيـنِ
وَخَابَ كُلُّ مَنْ لَهُ قَدْ أضْمَرا   شراً وَعَـادَ خَاسِراً للقَهْقَـرى

النزول بقباء[2] :

مِنْ بَعْـدِ سَيْرٍ بَلَغَـا قُبَـاءَ   وشَاءَ رَبِّـي وَحْـدَهُ مَاشَاءَ
كلثـوم بن الهدم قد أضافـهْ   رَأى النَّبِـيَّ وَرَأى عَفَافَـهْ[6]
ثُمَّ بَنَى الـرَّسُولُ فيها مَسْجِـدا   أَسَّسَهُ بِالخَيْر وَعَلَى الهُـدَى
فكَـانَ هَذَا أَوَّلَ المَسَاجِـدِ   وَقَـدْ بَنَـاهُ للعَـليم الوَاحِـدِ
وعَمـلَ الـرّسُولُ فِيـهِ بِيَـدِهْ   والمسلمون ساهموا في مسجـده
وسَارَ مَنْ بَعْـدُ إلى المدِينَـةْ   حيث بها الله أعـزّ دينَـه
فَلاَ تَسَلْ عَنْ فَرْحَةِ الأنْصارِ   كِبارِهِـمْ في ذاكَ والصِّغَـارِ
تَزَاحَمُـوا عِنْـدَ زِمَـامِ النَّاقَـةْ   مَاوَجَـدُوا إلى الزِّحَـامِ طَاقَـةْ
حفَّ الرِجَـالُ الخير بِالسُّيُـوفِ   إذ تَقْـرعُ النِّسَاء بالدُّفُـوفِ
وارتفَـعَتْ : قَدْ طَلَـعَ الهِـلاَلُ   والنُّـورُ والطُّهْـرُ كَذَا الجَمَـالُ[4]

---

(١) أسلم سراقة بن مالك بعد فتح مكة إذ لقي رسول الله ﷺ في الجعرانة كما ذكر ابن هشام في ج ٢ ص ٧٨ .
(٢) نزل بقباء على بني عمرو بن عوف وكان ذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة .
(٣) ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن أساف . أما علي رضي الله عنه فقد أقام بمكة ثلاث ليال حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هدم .
(٤) كان نشيدهم :
« طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع »

يامَرْحَباً بِمَنْ أتَى مُطَاعَا فازَ الذِي مُحَمَداً أطَاعَا

★ ★ ★

وَكُلَّما مرَّ على دِيَارِ يسمَعُ صَوْتَ الأهلِ والأنْصارِ
هَلُمَّ وانْزِلْ وَأقِم باليُمْنِ والنّصْرِ والقُوَّةِ لاَ بِالوَهْنِ
وكُلُّهُمْ يأمِلُ أنْ يَحُلاَّ يامرحباً بأحمِدٍ وأهلا

★ ★ ★

وَيَبْسُمُ النَّبيُ ثمّ يَشْكُرُ أَصْحَابَه، حُبَ الجَميعِ يُضْمِرُ
ثُمَّ يقولُ: نَاقتي مَأْمُورةْ لاَ تجْعَلُوهَا بَيْنَكُمْ مأسُورَةْ

الخطبة الأولى له (ﷺ):

وَوَصَلَ النبيُ دارَ سَالِمِ[٢] فأدْرَكَتْهُ جُمعةُ المَكَارِمِ
فاجتمَع الأصحابُ لِلصَّلاةِ هُناكَ خَلْفَ طاهِرِ الصِّفَاتِ
وخَطَبَ النَبيُ فيهمْ خُطبَةً كانت هي الأولى لديه رُتبةً
ذَكّرَهُمْ بالله فيها قَائِلا: يَمْضي الفَتى عَنِ الحَياةِ رَاحِلاَ
حَتّى إلى الله يَكُونَ السَّيرُ ويُبصرُ الشرُّ هنا والخيرُ
لِيسْألَنَّ الله كلَّ عَبْدِ أساءَ أمْ أحْسَنَ بِعْدِ القصْدِ
ألاَ اتّقُوا الله بشِقّ تمرةْ مِنْ قبْلِ أنْ تَلْقَونَها كجَمْرَةْ
مَنْ يُحْسِنِ الأعْمَالَ يُجزى ضِعْفَها والنَّفْسُ في المَعَادِ ما أخفَّهَا

(١) نزل ﷺ في بني سالم بن عوف .

الاقامة عند أبي أيوب الأنصاري :

وَمَالَتْ النَّاقَةُ نَحوَ خَالِدِ ... فتى النّدَى والطُّهرِ وَالمَحامِدِ[1]
فنَزَلَ النَّبيُّ في دِيَارِهِ ... فَطَابَ في ضَيْفِ الهُدى وَجَارِهِ
تَوَارَدَتْ لِدَارِهِ الهَدَايَا ... حباً بِمَنْ أَتَاهُ والعَطَايَا
ولم يكن في يثربٍ سَعيدُ ... مثلَ ابن زيدٍ، لم يكن رغيدُ
أَقَامَ عِنْدَ خَالِدٍ حتَّى بَنَى ... مَسْجِدهُ المُضِيء ثُمَّ المَسْكَنَا

المجتمع المسلم في المدينة :

وعَمَّرَ النبيُّ في القُلُوبِ ... حُبّاً وَإخلاَصاً لِذي الغُيُوبِ
مُكَوِّناً مُجْتَمَعاً مُوحَداً ... وَمَنْ أَتَاهُ كَالمُقِيمِ قَدْ غَدَا
وَكَانَ أَنْ آخَى مَعَ الأنْصَارِ ... مَنْ هَاجَرُوا اليومَ إلى الدِّيَارِ[2]
وأظهرَ الأنْصارُ فِيه الجُودَا ... والحُبَّ والوَفَاءَ وَالعُهُودَا
أَحَبَّ كُلُّ مُسْلِمٍ أَخَاهُ ... كَنفْسِهِ وَزَادَ في حِمَاهُ
حَتَّى يودُّ لَوْ يُشَاطِرُ الأخَا ... في كُلِّ مُلكِهِ وَألّا يَشْمَخَا
أَنْ يُؤْثِرَ المُقيمُ مَنْ أَتَاهُ ... عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَ في عَطَاهُ

★ ★ ★

وَأَظْهَرَ المُهَاجِرُ التعفُّفَا ... وَمَااسْتَغَلّ هَذِهْ تَكَفُّفَا
فَبَعضُهُم قالَ لِمَنْ أَرَادا ... إعْطَاءَهُ وأَضْمَرَ الوِدَادَا

---

(١) هو خالد بن زيد (المكنّى : بأبي أيوب الأنصاري) وهو ما اشتهر به . وقد دفن في الآستانة في استامبول بعد حصار المسلمين لها أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان . ذلك أن الناقة بركت على باب مسجده (أي في المكان الذي اتخذه مسجداً ﷺ)وهو يومئذ مربد «لغلامين يتيمين من بني النجار وهما في حجر معاذ بن عفراء ... فاحتمل أبو أيوب رحل رسول الله ﷺ فوضعه في بيته فنزل عليه الرسول ﷺ » .

(٢) أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : هذاأخي كما آخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وبين معاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق مع خارجة بن زهير وبين عمر بن الخطاب وعتبان ابن مالك .. وهكذا .

يَابَارَكَ اللهُ لكُمْ في المَـالِ وَالأهْلِ وَالدِّيَـارِ وَالعيَـالِ
أخِـيْ ! . ألاَ أرْشَدْتني للسُّوقِ حَتى أُؤدّيْ البعْضَ مِنْ حُقوقي
فَدَلَّـهُ أخُـوهُ ثُمَّ تَاجَـرَا وَصَارَ لِلدّيـنِ بِمَـالٍ نَاصِرَا

★ ★ ★

خيرُ دِيَارٍ أضْحَتِ المَدينَةْ مِنْ بَعْدِ أعْوامٍ مَضَتْ حَزِينَةْ
لَمْ يَبْقَ حَرْبٌ بَيْنَ سُكَّانٍ لها بَلْ كُلُّهُـمْ باللهِ قَدْ تَوَلَّهَـا
وَأصْبَحُوا كَالجَسَدِ المُوَحَّـدِ إنْ أنَّ عُضْوٌ بَاتَ كَالمُسَهَّدِ
كذاك يبني أحْمَدُ المُخْتَارُ وَيَفْعَـلُ الأتْبَـاعُ وَالأنْصَارُ

بدء الأذان :

كَانَ يُنَادَى النَّـاسُ لِلصَّلاَةِ بِالقَوْلِ: يَانَـاسُ إلى الصلاةِ
إنَّ الصَّلاَةَ للقُلُوبِ جَامِعَـةْ وَتَسْتَجِيبُ كلُّ أُذْنٍ سَامِعَـةْ
وَتَارَةً يَأْتِـي اجْتماعُ النَّـاسِ عَفْواً لِلُقْيَا القَوْمِ وَالإينَـاسِ

★ ★ ★

حَتَّى لقَـدْ هَمَّ النَّبِيُ صَلَّـى عَلَيْه رَبُّ الكَوْنِ حَيْثُ حَلاَّ
أنْ يَبْعَثَ البَعْضَ إلى الآطَامِ يَدْعُـونَ لِلصَّلاَةِ والقِيَـامِ
لكِنَّـهُ قَالَ: ألاَ أشِيـرُوا يَاأيُّهـا النَّـاسُ، ألا أشيروا
حَتى ابْنُ زَيدٍ جَاءَ في الغَدَاةِ[1] يَقُـولُ: أُرْشِدْتُ إلى الصَّلاةِ
لقَدْ أتَانِي طَائِفٌ في النَّوْمِ يقُولُ: خَبِّرْ أمْرَنَـا لِلْقَـوْمِ
وَدَلّنِـي على النـداء مِثْلَمَـا قُلْتُ لَكُمْ. وَقَدْ سَمِعْتُهُ كمَا

★ ★ ★

---

(١) هو عبد الله بن زيد .

قالَ الرسُولُ: إنّما رُؤْيَاهُ حَقٌّ وصِدْقٌ ولَقَدْ أتَاهُ
مَنْ دَلَّهُ على النِّداءِ حَقا وَكَانَ حُلْمُهُ نَدىً وصِدْقَا
عَلِّمْ بَلاَلَ، إنَّهُ الأذَانْ أكْرَمَنَا اللهُ بِهِ المَنَّانُ
وَصَارَ بَعْدَ، تِلْكُمُ بِلاَلُ مُؤَذِّنَا. وَطَيِّبَ المَآلُ
وَقَدْ رأى المَنَامَ أيْضاً عُمَرُ فَزَّفَ للأصحاب منه الخبرُ

★ ★ ★

لَقَدْ غَدَا الإسْلاَمُ في أَمَانِ في يَثْرِبٍ وَالنَّاسُ في اطمئْنَانِ
لَولا اليَهُودُ والمنافِقُونَ وَمَنْ تَشَهَّدُوا وَيُبْطِنُونَ[1]
نِفَاقَهُمْ في قَلْبِهِمْ وَالرِّيبَةْ وسَعْيُهُمْ نَمِيمَةٌ وَغيبَةْ
ورضِيَ النَّبيُّ مِنهُمْ ظَاهِراً وَلِلْعَليمِ أوْكَلَ الضَّمائِرَا
وأوثَقَ العَهْدَ مَعَ اليَهُودِ أنْ لايُنَاجِزُوهُ بِالجُنُودِ
وَدِينُهُم أقَرَّهُ مُحَمَّدُ لَهُمْ عَلَى أنْ لاَعَلَيْهِ يَعْتَدُوا
وَأنْ يُنَاصِرُوهُ في الشَّدَائِدِ فَمَا رَعَوْا عَهْداً مَعَ المُعَاهِدِ

مشروعية القتال:

إنْ لَمْ يَكُنْ لِلفِكْرِ ثَمَّ قُوَّةْ تَطْبِيقُهُ يَسِيرُ نَحْوَ هُوَّةْ
وَالحَقُّ إنْ لَم يمْلكِ السِّلاَحَا لاَيَمْلِكُ القِيَامَ وَ النَّجاحَا
لكنّما سِلاَحُهُ لاَ لِلأذَى والاعتداء، والفساد.. لاَ لِذَا
وَإنَّمَا لِلَردِّ وَالحِمَايَةْ مِمَّن عَلَيْهِمْ تعْمَلُ العمايه
فالدِّينُ لَم يُنْشَرْ بِحَدّ السَّيفِ بِالظُّلْمِ وَالأذَى وَلاَ بالحَيْفِ
والدّينُ لَمْ يُجْبِرْ عَلى الهِدَايَةْ مَاكَانَ ذَا لِلدّيْنِ قطُّ غَايَةْ
لكن من واجبِهِ أنْ يَضْمَنَا لِمَنْ أتاه مسكناً وَمأْمَنَا

---

(١) تَشَهَّدوا: نطقوا بالشهادة لفظاً لا حقيقة.

سِلاَحُهُ في كَفِّـــهِ مِصْبَـــاحُ يُنيرُ في الدَّرْبِ كَمَا الصَّبَاحُ
لكَـــنَّ مَنْ بِيَـــدِهِ قد مَسَّا مِصْبَاحَـــهُ بِالبَغْـي أو قد جَسَّا
من وهْجِهِ، من يعتدي سَيَحْتَرِقْ وَالنُّورُ في المِصْبَاحِ دَوْماً مُؤْتَلِقْ

★ ★ ★

إذ يَحْتَمي بالسَّيفِ كُلُّ مُهْتَدِ ثُمَّ يُرَدُّ الكيـدُ نحو المُعْتَـدِيْ
مَادَامَ لَمْ يُرْغِـمْ عَلى الإيمَـانِ فليَحْم بَعْـدُ دَوْحَـةَ القُـرْآنِ

★ ★ ★

فالمُشركُـونَ من قريشٍ وَقَفُـوا ضِدَّ الهُـدَى وَفي أَذَاهُ أَسْرَفُـوا
فأخرجـوا النبـــي والاتباعـــا عن مكةٍ، لا ملكَ، لا متاعا
وبـــدؤوا بالجور والتعـــــذيب والصَّدِّ والأذى وبالتكـــــذيب
ألا يحق بعدهـــا أن يخرجـــا دينُ النّدى يحمي الهُدَى ويَبْلُجا

★ ★ ★

لِذَاكَ أُذِنَ اللهُ الرَّحيـــمُ للمُسْلِميـنَ الخالـقُ العَليـمُ[1]
أَنْ يَرفَعُوا الرُمْحَ بوَجْهِ المُعْتدي لِيَعْتَلي في الأرض صوتُ المسْجِدِ

★ ★ ★

وقَالَ رَبّي: جَلَّ، في القُـرآنِ وَلَـمْ يَزَلْ أَرْحَـمَ بِالإنْسَانِ
« وقَاتِلوا » في ... اللهِ ... إنَّ اللهَ مُخْزِ الذي بالكفر قد تناهَى[2]
قريشُ كَانَتْ تُرسِلُ القَوافِـلاَ تجارةً للشَّامِ كَيْ تُوَاصِلاَ
والرَّكْبُ في تِجَارَةٍ يُسَمَّـــى عِيْراً يُحيطُ فِيهِ مَنْ أَلَمَّـا

---

(١) وضع الاذن بالقتال موضع التنفيذ في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من هجرة النبي ﷺ . / فقه السيرة / د . سعيد رمضان البوطي .

(٢) إشارة لقوله تعالىٰ: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » البقرة الآية (١٩١) . وقوله تعالىٰ : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » سورة الحج الآية (٣٩) .

وكانَ لاَبُدَّ لِكَـــيْ تَصِيـــرَا لِلشَّامِ أَنْ بيَثْـرِبٍ تَسِيـــرَا
لِذَا رَأى الرّسُولُ أن يَعْتَـرِضَا قافلَةَ القـوم وقـد كان ارتضى
مُصَادِراً لِلْمَـالِ عِنْـدَ العِيـرِ كيْمَـا يَعُـودَ فيـهِ لِلفَـقير
عُقُوبَـةً للمُشْرِكيـنَ جَمْعَـا لْكُـلِّ مَنْ صَدَّ وَضَاقَ ذَرْعَـا

★ ★ ★

فأَرْسَلَ الـرَّسُولُ في سَرِيَّـةْ حَمْـزَةَ ذَا النُّهـى وَذَا الحَمِيَّةْ[1]
عَلَى ثَلاثِيـنَ مِنَ الرِّجَـالِ قد عَقَـدَ اللّـوَاءَ لِلهِـلالِ
أَمَرَهُـمْ أَنْ يَقِفُـوا لِلْقَافِلَـةْ وقـد أتت من الشآمِ نَاقِلَـةْ
فِيهَا أَبُـو جَهْلٍ كَبيرُ القَوْمِ كَأَنَّـهُ عَنِ الهُـدَى في نَوْمِ

★ ★ ★

فَسَارَ حَمْـزَةٌ لبَعْضِ السَّاحِـلِ وصَادَفَ العِيـرَ أَتَتْ في نَائِـلِ
فَحَجَـزَ القتـالَ مجدي الجهنـي وَلَـمْ يُرِدْ إلْقاءَهَـا في المِحَـنِ
فانصرفـوا... وشكـر النبـي مجديْ لأنـه هو النَهِـيُ

★ ★ ★

وَبَعْـدَ هَذي بَعَثَ الـرَّسُولُ عُبَيْـدَةٌ وَهَمُّـهُ الـوُصُولُ
لِلْعِيـرِ.. لاَ القِتَـالُ وَالحُرُوبُ ماكَانَ في ذا يرغبُ الحبيبُ
فعَـادَ أَيْضاً دُونَ أَنْ يَنَـالاَ عِيْـراً لَهُ مَاتـركَتْ مَجَـالاَ

★ ★ ★

في هَذِهِ الأَثناءِ مَاتَ صَاحِبُ لِلدّيـن والـرّسُولِ لاَ يُغَـالبُ

---

(١) ذكر ابن هشام سرية عبيدة بن الحارث قبل سرية حمزة بن عبد المطلب وقال : إنها أول راية عقدها الرسول ﷺ ... ثم قال بعد ذلك : ان البعض يقول : إن سرية حمزة هي قبل سرية عبيدة ..
اتجهت سرية حمزة الى سيف البحر . حيث حجز بينه وبين أبي جهل مجدي بن عمرو الجهني فلم يكن قتال .

عُثْمانُ تِرْبُ أَحْمَدٍ في البَادِيَةْ   أَخُوهُ في الرَّضَاعِ عِنْدَ الحَانِيةْ
هُوَ ابنُ مَظعُونٍ كَرِيمِ الخُلقِ   والمُسلمُ الذي أتى بالسَّبْق
كَفَّنَهُ النَّبيُّ ثُمَّ دَفَنَه   فعلَّمَ الأتباعَ في ذا سُنَنَهْ

مِنْ قَبْلِ بَدْرٍ قَدْ غزَا نَبيُّنَا   ثَلاثَ غَزَوَاتٍ بِهَا مُبِينَا
أَنَّ القِتَال لَمْ يَكُنْ مِنْ قَصْدِهِ   فِيهَا كَذَاكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَعْدِهِ
« ودانُ »[1] أولى ماغزا النبيُّ   ثُمَّ « بواطْ » قادها النقيُّ[2]
وبدرٌ الصُّغْرى ، وَكَانَ قبْلَها   «عشيرة» العظمى وَجَاءَ بَعْدَهَا[3]
سَرِيَّةٌ قَدْ قَادَهَا ابْنُ جَحْشٍ   مُبْتَعِداً عَنْ رِيبَةٍ وَفُحْشٍ[4]

★ ★ ★

في ذلك العَامِ أَتَتْ فَرَائِضُ   مِنْ رَبّنا مَنْ ذَا الذِيْ يُعَارِضُ
مِنهَا الصِّيامُ والزّكَا للمَالِ   والبَذْلُ قبْلَ الفِطْرِ لِلْعِيَالِ
وَأَوْجَبَ اللهُ عَلى الأَقْوَامِ   في شهره القيام بالصيام
وَحُوِّلَتْ قِبْلَتُهُ مَنْ يُصَلِّي   مِنْ مَسْجِدِ القدس لكي يُوَلِّي
وجهاً إلى مَكَّةَ لاَ للقُدْسِ   وَكَانَ رَبِّي عالِماً بِالنَّفسِ
فَطَبَّلَ النِّفَاقُ ثُمَّ زَمَّرَا   لَكِنَّهُ مَانَالَ مَا قد قَدَّرَا

---

(١) أراد النبي ﷺ في (ودان) قريشاً وبني ضمرة بن أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعه مخْشي بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه فرجع الرسول ﷺ   ابن هشام ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) (بواط) : جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ... وقد أراد الرسول ﷺ في هذه الغزوة قريشاً .

(٣) غزوة العشيرة وادع فيها الرسول ﷺ مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع ولم يلق كيداً . المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٤) سرية عبد الله بن جحش كانت في شهر رجب المحرم وبعد بدر الأولى وقد كان معه (في سريته) ثمانية رهط من المهاجرين كتب له رسول الله ﷺ كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً ... وكان الرسول ﷺ قد أمره أن يأتي (نخله) بين مكة والطائف ليترصد بها قريشاً ويعلم أخبارها . وأصابت السرية من قريش عمرو بن الحضرمي فقتلته . وأسرت عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان .

غزوة بدر الكبرى

وارْتَقَبَ النَّبيُّ عِيراً ذَهَبَتْ   للشَّامِ في الخَفَاءِ كَانَتْ هَرَبتْ

والآنَ وَقْتُ عَوْدَةِ التِجَارَةْ   فهل قريشٌ تُطعَم الخسارةْ ؟!..

قد سَمِعَ الرّسُولُ أَنَّ العِيرَا   آبت وكانتْ تحمل الكثيرا

فندبَ الأصْحابَ ثُمَّ قالا :   عِيرُ قُريشٍ قُرِّبَتْ منالا .

فَلْنَخرجِ اليَوْمَ ... لَعَلَ الله   يُنفِلُنَا العِيرَ التي نَرَاهَا

فَهَبَّ قَوْمٌ وأُنَاسٌ قَعَدُوا   لَوْ عَرَفُوا الحَرْبَ لَكَانُوا وَرَدُوا

محمدٌ قالَ لَهُم : مَنْ كَانَا   ومَعَهُ الظَّهْرُ ، ... هُنا يَلْقَانَا

لَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ لَم يَكُنْ ذَا ظَهْرِ   أَوْ بَاتَ مُهْرٌ مُلكَهُ في المصر

وخَرَجُوا بعد ثلاثٍ رَحَلَتْ   مِنْ رمضانَ الخير ثُمَّ انتقلت[2]

كانوا ثلاثمائة وعَشْرَا   زَادُوا ثَلاثَةً . رَأَوْهُ فَجْرَاً

سِلاحُهُم إيمانُهُم بِالله   وحُبُّهم رسولَهُ ذا الجاه

وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ للرّكُوبِ   والحَقُّ قَدْ أَضَاءَ في القُلُوبِ[3]

في يَدِهِ اللّواءُ كَانَ مصعبُ   بنُ عُميْر ، صَادِقٌ مُحَببُ

مَا إنْ بِهذَا عَلِمَتْ عِيرُ المَلَا   حتَّى أَبُو سُفْيَانَ عَنهَا أَرْسَلَا

مُسْتَأجِراً مَنْ جاء نَادِي القَوْمِ   يَحُثُّهُم ، لِنُصْرَةٍ .. في لَوْمِ

وَعَلِمُوا ... وَعِنْدَها تَسارَعُوا   خافوا على المال وما تنازعوا

إلا أبو لهبٍ فقد تَخلَّفَا   وَأَرْسَلَ العَاصِ وَقَدْ تَأَفَفَا

أميةٌ هَمَّ كذا أن يقعدا   لخوفه من حتفه .. ويبعدا

فعابه بعض الرجال ، فنهض   مسارعاً وللحتوف قد ركض

وَخَرَجَتْ قِيَانُهُمْ كَيْ تُطرِبَا   نفوسَهُمْ حتّى تصيرَ ترغبا

عُدُّوا بِتسعِمائَةٍ وَزَادُوا   خَمْسِينَ ، والسِّلَاحُ وَالعَتَادُ

---

(١) كان ذلك في السنة الثانية للهجرة ، خرج النبي لثمانٍ مضين من شهر رمضان وقد ولى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وقيل خرج لثلاث مضين منه .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٨٥ .

(٣) كان معهم سبعون ناقة وفرسان فقط .

من الجِمالِ معهم سبعمئة | قلوبهم إلى القتالِ ظامئة
وَمائةٌ مِنَ الخيولِ كانت | وَعنهُمُ قِواهُمُ قَدْ بَانَتْ
مَنْ ذَا يُحارِبُ الرسولَ ثُمَّ | يَعُودُ ... إلّا خَيْبَةً وَهَمَّا

لَمْ يَعْلَمِ النبيُّ ماذا دبَّرَتْ | قريشُ مَاذَا لِلْقِتَالِ أَحْضَرَتْ
وَلَمْ يَكُنْ خُروجُهُ لِلْحَرْبِ | وَإنَّما لِلْعِيرِ لَا لِلضَّرْبِ
وَبَعْدَ أَنْ أُعْلِمَ بِالجُمُوع | نَادَى النبيُّ بَعْدُ لِلجَمِيع
وقالَ لِلأَتْباع : قَدْ وُعِدْتُ | بالعِيرِ .. أوْ بالنَّصْرِ .. لو قاتلتُ

فقام عِنْدَ ذَاكَ ابنُ الأجدر | مِقْدَادُ قال للنَّبيِّ أَحْمَدِ[1]
إمْضِ ... رَسُولَ الله لا نقولُ | كَما لموسى قالـه القبيلُ
إمض ... فوالله لإنا معكا | جَمِيعُنا ، وَمَنْ تَأَبَّى هَلَكَا
والله لَوْ خُضْتَ الغِمادَ خُضْنَا | فما تَخَلَّفْنَا وَلَا رَفَضْنَا
فَفَرِحَ النَّبِيُّ ثُمَّ سَأَلَا | لَهُ بِخَيْرٍ .. ثُمَّ بعدُ انْتَقَلَا
للقول : أن يا أَيُّها الأَتْباعُ | هَلَّا أَشَرْتُمْ إنّني سَمَّاعُ
يعني ويبغي منهم الأَنْصَارا | وَمَنْ تَوَاعَدُوا لَهُ انْتِصَارا
فَقَامَ سَعْدٌ قائِلاً : آمَنَّا | نصرتك اليوم لقد ضمنا[2]
وَنحنُ أَعْطَيْنَاكَ مِنَّا العَهْدا | فامضِ . فإنّا سَنُرِيكَ الوُدَّا
إنّا لَصُدُقٌ في اللِّقاءِ جُلْدٌ | لعلَّ رَبِّي أَنْ يُرِيكَ بَعْدُ
مَا فِيهِ تَرْضَى وتُسَرُّ نَفْسَا | إذْ يُظْهِرِ الأَنْصَارُ فيكَ بَأْسَا
والله لَوْ خُضْتَ الغَدَاةَ البَحْرا | خُضْنَا كَما خُضْتَ ... شَدَدْنا الأَزْرَا
فأشْرَقَ الرسُولُ وَجْهاً لَمَّا | أَنْصَارُهُ أَرُوهُ مِنْهُمْ عَزْمَا
وقال : أَبشروا كأني أَنْظُرُ | مَصارِعَ القَوْمِ . وَإنّي مُخْبَرُ

كَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمّا أُخْبِرا | بِالمُسْلِمين ، دَرْبَهُ قَدْ غَيَّرَا

---

(١) المقداد بن عمرو .

(٢) سعد بن معاذ .

وسَلِمَتْ عِيرُ قُرَيشٍ رَاجِعَةْ ... للناس ، لكن لم تكن بالنَّافِعَةْ
إِذْ خَسِرَت جَمِيعُها في الحَرْبِ ... وبلغ القَوْمَ أَشَدُّ الكَرْبِ
مِنْ ذِلَّةٍ وَمِنْ هَوانِ نَفْسِ ... وَتَرْحَةٍ وَنَكْسَةٍ وبُؤْسِ

فَأَيْنَ قَوْلٌ قَالَهُ أَبُو الحَكَمْ ... قَدْ خَابَ مَا ظَنَّ وَخَابَ مَا زَعَمْ
لا يَرْجِعُ القَوْمُ وَلكِنْ يَحْضُرُوا ... بَدْراً وَيَلْعَبُوا بِهَا وَيَسْمُرُوا
وَتَعْزِفُ القِيَانُ ثُمَّ يَسْمَعُ ... مَن حولنا بنا وبعدُ نَرْجِعُ
يكونُ في أَمثالِ ذي الطُّقُوسِ ... لِمكَّةٍ مَهابَةُ النُفُوسِ !.
لكِنْ بَنِي زُهْرَةَ لَمْ يَكُونُوا ... في بَدْرَ ، كَيْما نَفْسَهُم يَصُونُوا[1]
بنو عدي مثلهم ما شاركوا ... في حرب أحمدٍ ولم يباركوا

قَدَ قَصَدَتْ قُرَيْشُ أَرضاً لَيِّنَةْ ... كانت على الله قريشٌ هينةْ
فالمُسْلِمُونَ أُعْلِمُوا بِالعَيْنِ[2] ... أَخْبارَ مَنْ أَتوهُمُ بالمَيْنِ[3]
وَعرفُوا مَكَانَهُم وَجَمْعَهُمْ ... وأَكْلَهُمْ وَشُرْبَهُم وَوَضْعَهُمْ
قَالَ النَّبِيُّ : هَذِهِ البَطْحَاءُ ... قَدْ قَذَفَتْ أَفْلاذَهَا فَجَاؤُوا
وَقَدْ رَأَى الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ ... ذُو الرَّأْيِ في الحَرْبِ الكَرِيمُ المُخْبَرِ[4]
أَنْ يَنْزِلُوا مَاءً هي القَرِيبَةْ ... مِنَ العُتاةِ .. فِكْرَةٌ نَجِيبَةْ
وَأَنْ يَغُورَ المَاءُ في الآبَارِ ... حَجْباً عَنِ العُتَاةِ والكفَّارِ
وقال : حوضاً نحن سوف نبني ... نَشْرَبُ مِنْهُ المَاءَ بَعْدَ الوَهْنِ
وَيَعْطَشُ الكُفَّارُ والأَعْدَاءُ ... وَمَنْ بالاثْمِ جَاهَرُوا وَبَاؤُوا
وفَعَلَ النَّبِيُّ مَا رَآهُ ... حُبَابُ وَأَتَى الَّذِي دَعَاهُ

سَعْدٌ رَأَى أَيْضاً بِأَنْ يُقَامَا ... عَرِيْشُ أَحْمَدٍ ، فَلَنْ يُضَامَا

---

(١) الذي رجع بهم هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكان لهم حليفاً .. ومما قاله لهم : يا بني زهرة قد نجىٰ الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا لي جبنها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في ضيعة . ابن هشام ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) العين هنا ... الرجل الذي يستخدم لتقصي الأخبار في الحرب .

(٣) المين .. كلام الافتراء والكذب .

(٤) الحباب بن المنذر .. أحد الصحابة الكرام .

كَيْما يُقيمَ فيهِ لِلْقِيَادَةْ ... لِلّهِ في رَأْيِ الفَتَى .. إرادَةْ
فعمَّرُوه فوقَ تلٍّ مُشْرِفِ ... يُظْهِرُ للنَّبِيِّ ما كَانَ خَفِيْ

وَصَفَّهُمْ نَبِيُّنَا صُفُوفَا ... كَأَنَّها البُنْيَانُ لَا خُلُوفَا
ثُمَّ إلى قُرَيْشَ بَعْدَهَا نَظَرْ ... وَقَالَ : يَا رَبَّاهُ .. يا رَبَّ البَشَرْ
قَد خرجت قُرَيْشُ بالجُنُودِ ... وَالفَخْرِ وَالكِبْرِ وَبِالبُنُودِ
تُكَذِّبُ النَّبِيَّ والرِّسَالَةْ ... تَخُونُ أَتْبَاعَ الهُدى وآلَه
يَارَبِّ نَصْرَكَ الّذي وَعَدْتَ ... إنْ شِئْتَ يَا رَبَّاهُ ... ما عبدْتَا

وَعِنْدَ ذَاكَ وَقَعَ الخِلَافُ ... في المُشْرِكِينَ . إذْ رَأَوْ فَخَافُوا
فَعُتْبَةٌ يُرِيدُ أَنْ تَمْتَنِعَا ... حَرْبٌ وَأَوْزَاراً لَهَا أَنْ تَضَعَا
وَأَظْهَرَ اسْتِعْدَادَهُ في حَمْلِ ... دِمَاءِ عَمْرٍو ، رَاغِباً في البَذْلِ
وَكَانَ عَمْرٌوْ مَاتَ في سَرِيَّةْ ... كانت لِعَبْدِ اللهِ ذِي الحَمِيَّةْ

لَكِنْ أَبَا جَهْلٍ أَبَى واسْتَكْبَرا ... بِاللَّاتِ . لَا بِاللهِ كَانَ استنصرا
وقبلَ أن تقومَ ساقُ الحربِ ... قام من القوم شقيقُ الكربِ
أسودُ مخزوم هناك عاهَدا ... أَنْ يَبْلُغَ المَاءَ .. وأَنْ يُجَالِدَا[1]
حتَّى إلَيْهِ بَعْدَ جُهْدٍ يَصِلا ... أَوْ دُونَهُ يَمْضِي فِدا وَيُقْتَلا
فقَامَ حَمْزَةٌ إلَيْهِ وَقَطَعْ ... بِضَرْبَةٍ ، رِجْلَ الفَتَى ثُمَّ رَجَعْ

وَحَاوَلَ الأَسْوَدُ زَحْفاً أَلّا ... يَخْفِرَ قَوْلاً بَاءَ فيهِ جَهْلَا
وقَبْلَ أَنْ يَقْتَحِم الحَوْضَ أَتَى ... مِنْ حَمْزَةٍ ضَرْبٌ بِهِ ماتَ الفَتَى
وَوَقَفَ النَّبِيُّ بَيْنَ النَّاسِ ... يَحثُّهُمْ صَبْراً ، أَمَامَ البَاسِ
وَيَعِدُ المُقَاتِلِينَ الجَنَّةْ ... في نِعْمَةٍ وَمَسْكَنٍ وَمِنَّةْ

(١) قال ابن هشام : « قال ابن اسحق : وقد خرج الأسود بن الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق . فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه « أطار » . بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر بيمينه . وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض ... »

فَحمِيَتْ مِنْ بَعْدِهَا الوَطِيسُ ... وبُذِلَ الغالِي كَذَا النَّفِيسُ
فأَظْهَرَ المُجَاهِدُونَ القُوَةْ ... بَذْلاً مَعَ السَّخَاءِ والفُتُوَّةْ
وَقَدْ دَعَا النبيُ رَبَّ الكَوْنِ ... فمدَّهُمْ سُبْحَانَهُ بِالعَوْنِ[1]
فالمُسْلِمُونَ سَارَعُوا في البَذْلِ ... والمُشْرِكُونَ قُلِّلُوا بِالقَتْلِ
والجيشُ نَظَّمَ النبيُ أحْسَنَا ... شَكْلٍ ، وَمِنْ عَدُوِّهِ تمكَّنَا
وَحَثَّ أَتْباعاً لَهُ وَقَالَ : ... مَنْ قَاتَلَ اليومَ وَمَنْ تَعَالَى
فإنَّ جَنَّةَ الخُلُودِ تَنْظُرُ ... أَلَا اصْبِرُوا لَهَا وثُمَّ اسْتَبْشِرُوا
ذا ابْنُ عُمَيْرٍ عِنْدَ سَمْعِهِ رَمَى ... تمراً بِكفيه وما كان حمى[2]
وقاتل الكفَّارَ حتى استشهدا ... وَفي الجِنانِ بَعْدَ ذَاكَ أُخلِدا

مِمَّا رَوَوْا في البَذْلِ أَنَّ أَحْمَدا ... نَبِيَّنَا قامَ بِهِمْ مُمَهِّدَا
يُعَدِّلُ الصَّفَ يُسَوِّي خَلَلَا ... حَتى يُعِيدَ الحَزْمَ فِيمَنْ حَمَلا
فمرَّ بالقَضِيبِ مِنْ سَوَادِ ... ذِيْ الطُهْرِ والنَّقَاءِ وَالوِدَادِ[3]
قالَ : اسْتَقِمْ في الصَّفِ يَا سَوَادُ ... فقالَ : أَوْجَعْتَ .. الّذِيْ ينقادُ[4]
وَأَنْتَ أُرْسِلْتَ لنا بِالحَقِّ ... بالعَدْلِ . فَأَقِدْ .. نَبِيَّ الصِّدْقِ
فَكَشَفَ النَّبِيُ عَنْ صَدْرٍ لَهُ ... قَالَ: اسْتَقِدْ. كَذَا العَصا نَاوَلَهُ
فَضَمَّهُ مُقبِّلاً سَوَادُ ... وَقالَ : أَفْديْكَ .. هُوَ الوِدَادُ
أُمِّي فِدَاكَ وَكَذَاكَ وَالِدي ... مَالِيْ وَأَهلي كُلُّهُمْ وتالدي
وإنَّما فَعَلْتُ إذ رَأَيْتُ ... حَرْبَاً أَنا لِخَوضِهَا دُعِيتُ
ثُمَّ رَغِبْتُ أَنْ يَكُونَ العَهْدُ ... آخِرَهُ . أَن مَسَّ جِلْدِي الجِلْدُ
بِقُبْلَةٍ تَحْمِي مِنْ الجَحِيمِ ... وَتَنْقُلُ الإنسانَ للنَّعِيمِ

---

(١) « قال بن اسحق : ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ــ ليس معه فيه غيره ــ ورسول الله ﷺ عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ... » ابن هشام ج ٢ ص ١٩٨ .

(٢) هو عمير بن الحمام .

(٣) هو سَوادُ بن غَزِية .

(٤) كان في يد النبي ﷺ قوس .

لمّا الرَّسُولُ مِنْ سَوادٍ سَمِعَا ... هَذَا لَهُ بالخَيْرِ كَانَ قَدْ دَعَا

★ ★ ★

بِالصَّبْرِ والبَذْلِ وبالعطاءِ ... والحُبِّ والجِهادِ وَالبَلاءِ[1]

بالعزم في بدرٍ وبالإيمان ... والصدقِ والتنظيم والإحسان

انْفضَّتِ الحَرْبُ عَنِ انتصار ... دِيْنِ الهُدَى والطُّهْرِ والذَّمارِ

وَهَزَمَ اللهُ الذينَ ألَّبُوا ... لِلحَرْبِ وَالقِتالِ ثمَّ رَغَّبُوا

فَرَجَعُوا بِالعَارِ والهَزِيمَةْ ... للمُسْلِمينَ كَانَتِ الغَنِيمَةْ

فالمشركُونَ فَقَدُوا سَبْعِينَا ... ومثلهم أَسْرَى ومُعْتَدِينَا

قد قتل النبيُّ من أَسْرَاهُمُ ... شخصين والبَاقِينَ قَدْ خَلّاهُمْ

نضرَ بني حارثٍ الشقيا ... وعُقبَةَ الظالمَ وَالرَّدِيَّا[2]

مَنْ مَاتَ مِنْ قُرِيشَ ثَمَّ دَفْنَهْ ... وَسْطَ القليبِ قَدْ غَدَوا . وضِمنَهُ

لأَنَّه مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ ... بَعْدَ الغَزَاةِ ، الدَّفْنُ لِلْقَتِيلِ

وَمَاتَ في الحَرْبِ مِنَ السَّادَةِ مَنْ ... أبناؤهم قد أَسْلموا بلا مِنَنْ

أُميَّةٌ في الحربِ ثَمَّ قَتلُهُ ... كذا أبو جهلٍ وخاب فَأْلُهُ[3]

إذ أحمدٌ قام يُنَادِيْ القَوْمَا ... عِنْدَ القَلِيب . قد أَتَيْتُم لَوْمَا

هل سَرَّكم أَنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ ... باللهِ والرَّسُولِ أو أَطَعْتُمْ

إنِّي وَجَدْتُ الوَعْدَ حَقاً . حَقّاً ... فَهَلْ وَجَدْتُم ما أُتيتُ صِدْقَا ؟!.

أَمَّا الأَسِيرُ فَقَدْ استَشارَا ... في أَمْرِهِ الأَصْحابَ والأَنْصارَا[4]

فَعُمرٌ قالَ : أَرَى أن يُقْتَلوا ... جَزَاءَ مَا قَد عَذَّبُوا ونَكَّلُوا

---

(١) كان أول شهيد للمسلمين في بدر مهجع مولى عمر بن الخطاب ثم حارثة بن سراقة .

(٢) قتل عاصمُ بن ثابت عقبةَ بن أبي معيط كا قتل عليّ النضر بن الحارث ، وقد قال عقبة للنبي ﷺ حين أمر بقتله : فمن للصبية يا محمد ؟! قال : النار . وقيل إن الذي قتل عُقبة هو على بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) وقتل أميةَ بن خلف بلالٌ بن رباح وجماعة من الأنصار . أما أبو جهل فقد ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته وتركه وبه رمق فمر به عبد الله بن مسعود فأجهز عليه وأتى برأسه الى رسول الله ﷺ .

(٤) قال رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارىٰ وفرقهم بين أصحابه « استوصوا بالأسارىٰ خيراً » .

أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فقالَ : إِنَّهُمْ ... قومٌ لَنَا ... واليَوْمَ خابَ ظَنُّهُمْ

أَمْكَنَنا اللهُ عَلَيْهِمْ بِالظَّفَرْ ... فَخُذْ فِدَاءً مِنْ أَسِيرٍ ثُمَّ ذَرْ

فَقَبِلَ الرَّسُولُ رأيَ اللَّيِّنِ ... في رأيِهِ وَالسَّهْلِ ثُمَّ الهَيِّنِ

فَأَقْبَلَتْ مَكَّةُ تَبْغي أَهْلَهَا ... مِمَّنْ غَدَا في الأَسْرِ تُعطي مَالَها[1]

أما الّذينَ لَمْ يَكُنْ لِلمَالِ ... عِنْدَهُمْ شَيءٌ مِنَ المجال

أَمَرَهُمْ نبيُّنا أَنْ عَلِّمُوا ... أُمِينا خطأً كَذا وَفَهِّمُوا

أُطلِقُكُمْ مِنْ غَيْرِ مَا فِدَاءِ ... وإنَّ رَبِّي سَامِعٌ نِدَائِي

وَبَعْضُهُم أَطْلَقَهُ مُحَمَّدُ ... فَضْلاً وَجُوداً، وَهُو نِعْمَ الجَيِّدُ[2]

في الأَسْرِ كَانَ ابنُ أَبي سُفْيَانَ ... فَلَمْ يُرِدْ أَبُوهُ ذَا ، الهَوَانَا[3]

في رَأْيِهِ : أَنْ لَوْ لِمالٍ بَذَلا ... لَهَانَ في النَّاسِ .. أَلَا قَدْ جَهلَا

وَبَيْنَما سَعْدُ بنُ نُعمانَ أَتَى ... معتمراً ، حجزه دون الفتى[4]

فَفُكَّ عَمْرٌو وَاسْتُعِيدَ سَعْدُ ... وَتَمَّ نَصْرُ المُسْلِمِينَ بَعْدُ

بَعْدَ الفِدَاءِ أنزلَ العَليمُ ... آيَاتِهِ وَبَيَّنَ الرَّحِيمُ[5]

فما أَقَرَّ فديةَ الأسير ... ذي حكمةُ السميعِ والبصيرِ

عسىٰ الذينَ ابْتَعَدُوا وَصَدُّوا ... في قلبهم هَيْبَتُهُ تَشْتَدُّ

وَفَصَّلَ اللهُ كذا الكَيْفِيَّةْ ... إذ وِفْقَهَا قَد أَنْفَقَ العَطِيَّةْ

عَطِيَّةَ الحَرْبِ مِنَ الأَنفَالِ ... مِمَا أَفَاءَ اللهُ بِالحَلالِ

وَوُزِّعَتْ كَما أَرَادَ اللهُ ... وَرَضِيَ الكُلُّ بِمَا أَتَاهُ

---

(١) قال ابن هشام « كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل الى الف درهم الا من لا شيء له فَمَنَّ رسول الله ﷺ عليه دون فداء » .

(٢) من الذين أخلي سبيلهم من غير فداء : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزىٰ بن شمس بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه . والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عمر بن مخزوم ، وأبو عزة الشاعر وهو عمر بن عبد الله بن عثمان بن أهيب ابن حذافة وكان محتاجاً ذا بنات .

(٣) هو عمرو بن أبي سفيان « واسم أبي سفيان المغيرة » وقد أسره علي بن أبي طالب .

(٤) سعد بن النعمان بن أكال كان في مكة معتمراً فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بابنه عمرو .
ابن هشام ص ٢١٨ ج ٢ .

(٥) « قال ابن اسحق : ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى . وأخذ المغانم ولم يكن أحد من الأنبياء قبله يأكل مغنماً من عدو له ... » ثم قال بعد ذلك « إن الغنائم قد أحلت لرسول الله ﷺ فيما بعد » . المصدر السابق ص ٢٤٠ ج ٢ .

دَعَـا الـرَّسُولُ بَعْدَهَـا الأقوامـا ... أَنْ يَخْرُجُـوا لِرَبِّهِـمْ إِسْلَامَــــا
نَحْـوَ العَـوَالِي راحَ عَبْــدُ اللهِ ... مُبَشِّراً بِدِينِـــــهِ بِالجَــــــاهِ
وَرَاحَ نَحْـوَ الأَسْفَلِيــنَ زَيْــدُ ... يَدْعُوهُـمُ .. فَأَقْبَــلَ البَعيــدُ[1]
وبَيْنَمـــا زَيْـــدٌ يَعُـودُ فَرِحَـــا ... أتـاهُ أمرٌ لاقى فيــه ترحـــا
رُقَيَّةٌ بِنْتُ الـرسُولُ الأعْظَــمِ ... قَدْ فَارَقَتْ دُنيا الزَّوالِ المُبْرَمِ
تُوفِّــيَتْ طَاهِـــرَةً نَقيَّـــةْ ... وَنفسهـــا بِدِينِهـــا رَضِيَّـــةْ
لَكِنَّ أَخْبارَ القَبُـولِ بالـحَسَنْ ... لِلدِّيْنِ خَفَّـفَتْ عَلَيْهِـمُ الحَـزَنْ

★ ★ ★

بَعْـدَ انْتِصارٍ أُجْلِيَ اليَهُـــودُ ... عِنْدهُـمُ إِذْ تَنْـقُضُ العُهُـــودُ
وإِنَّهُـم خَانُـوا النَّبـيّ واعْتَـــدُوا ... في بَدْرَ ثُم بالخِلَافِ قَدْ بَدُوا
فَقَينقـــاعَ حَاصَرَ الــــرسُولُ ... حَتَّـى بَدَا لِلهِجْـــرةِ القبـــولُ
فَأُخْرِجُـــوا لأَذْرَعَـــاتٍ ثُمَّ ... مَاتُــوا بِهـــا تحسُّراً وَهَمَّـــا[2]

★ ★ ★

أَمَّـا قُرَيْشُ بَعْـدَ تلْكَ الخَيْبَـةْ ... لَمْ تَبْــقَ فيهَـــا قُوَّةٌ وَهَيْبَـــةْ
إِذْ هُزِمَتْ في بَدْرَ ثُمَّ فَقَدَتْ ... رِجَالَهـــا وَحَـــزِنَتْ ثم بَكَـتْ
وَأَخَــذَتْ تُهَيِّـــئُ العَتَـــادَا ... تُرِيـــدُ أَنْ تُبَـــدِّدَ الحِــــدَادَ
إِذ تَسْتَعِـدُّ للقِتَـالِ في أُحُـــدْ ... تَجِدُّ في هَذَا وَخَابَ مَنْ يَجِدْ
مُحَمَّـــدٌ يَعْـــرِفُ مَا تُرِيْـــدُ ... قُرَيْشُ .. يَدْرِي مَا لَهُ تَكِيْدُ
وكَانَ أن غزا ثلاثـــــا دونَ ... أَنْ يَلْقَـهُ في تِلْكَ مُشْرِكُونَـــا

---

(١) هو زيد بن حارثة بعثه رسول الله ﷺ الى « القردة » وهي ماء من مياه نجد ... وذلك أن قافلة لقريش سلكت ذلك الطريق « طريق العراق » . وقد أدركها زيد وأصاب منها . ثم رجع منتصراً .

(٢) « حذرهم رسول الله ﷺ أن يصيبهم ما أصاب قريش في بدر . فقالوا : « يا محمد ... لا يغرنك انك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ... » .. قال ابن اسحق : وحدثني عاصم بن عمر عن قتادة قال : إن بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

غَزَا «السوَيْق» وغَزَا «بحْرَانَ» وغَطَفَـــانَ جَاءَهَـــا عَيَانَـــا[1]

فهـرَبَ الكُفَّـارُ خَوفَـاً مِنْــهُ وَدَافَــعَ اللهُ القَدِيــرُ عَنْــهُ

★ ★ ★

وَكَانَ في مَكَّةَ «كعبُ الأشْرفِ» يَدْعُـو قُرَيْشاً بالقِتَـالِ يَحْتَفِـي[2]

يحرضُ الحَـرْبَ عَلَـى المَدِيْنَـةْ وَالمُسْلِمِيـنَ . يُخْـرِج الدفينـة

يَبْكي عَلَـى مَن فَارَقَ الحَيَـاةَ في بَدْرَ مِنْ قُرَيْشِهِـمْ وماتَـــا

وَيشْتُـمُ النَّبِـيَّ بِالقَـــرِيْضِ وَيَحْتَمِـي بِجَاهِـهِ العَـرِيضِ

حَتَّى النَّبيُّ قَالَ: مَنْ لِكَـعْبِ فَإنَّــهُ آذَى النبـِـيْ بالسَّبِّ

أَجَابَـهُ مُحَمَّــدُ بْنُ مَسْلَمَــةْ أَنـا لَهُ ... إنِّـي لَهَـادِرٌ دَمَـهْ

ثُمَّ أَرَاحَ اللهُ مِنْــهُ الحَقَّـــا إذْ كَانَ فِيهِ .. مِنْهُ لَا أَعَقَّـا

★ ★ ★

فَقَــوِيَتْ شَوْكَــةُ دِيْـــنِ اللهِ وَعَاشَ كُلُّ مُسْلِـمٍ في الْجَـاهِ

وَسُنَّ لِلإسْلَامِ عِيــدُ الفِطْـــرِ وَبَعْـدَ ذَاكَ جَاءَ عِيـدُ النَّحْـرِ

يُجَـدِّدُ الإخَـاءَ فِيـهِ المُسْلِــمُ كُلُّ أَخٍ لَهُ . كَذَاكَ يَرْحَــمُ

وَسُنَّتِ الصَّلَاةُ في العِيدَيْــــنِ بَعْـدَ طُلُـوعِ الشَّمْسِ رَكْعَتيـنِ

غَزْوَةُ أُحُدْ[3] :

قَدْ مُنِعَتْ قُرَيشُ من تِجَـارَةْ وَعَـاشَتِ البَـــلَاءَ والـــخَسَارَةْ

---

(١) غزوة السويق : نذر أبو سفيان أن لا يغتسل حتى يغزو الرسول ﷺ فخرج في مئتي راكب فأصاب رجلين من الأنصار من أصحاب الرسول ﷺ في المدينة فقتلوهما وانصرفوا راجعين . فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم وقد ولى على المدينة أبا لبابة (بشير بن عبد المنذر) وقد فاته أبو سفيان ومن معه فرجع ﷺ الى المدينة .
وسميت الغزوة بغزوة السويق لأن أكثر ما طرح المشركون من أزوادهم السويق وهو طعام من مدقوق الحنطة والشعير .
و (بُحْرَان) : قرية من نواحي الربذة على طريق مكة .
(غطفان) : دعيت هذه الغزوة بغزوة ذي أمر . وكانت غطفان في نجد . ابن هشام ج ٢ ص ٣٠١ .

(٢) كعب بن الأشرف : قتله محمد بن مسلمة الأنصاري .

(٣) كانت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة على رأس اثنين وثلاثين شهراً من هجرته عليه الصلاة والسلام [فقه السيرة د . سعيد رمضان البوطي] وكان عددهم (١٠٠٠) مقاتل .

فَوظَّفَتْ مَالَ التِّجَارَةِ الّتِي ... لِحَرْبِ بَدْرٍ وَقْتَهَا قَدْ جَرَّتِ

لَعَلَّهَا تَسْتَرْجِعُ المكَانَةْ ... وَقَدْ هَوَتْ . وتُرجع الحَصَانَةْ

تُرِيدُ أَنْ تَقْضِي عَلى الهِدَايَةْ ... قَدْ ضُلِّلَتْ وَسِيلَةً وَغَايَةْ

مَنْ ذا الّذِيْ يَصُدُّ عَنْ ضِيَاءِ ... وَيَقْلَعُ الشَّمْسَ مِنَ السَّمَاءِ

يُسَوِّلُ الشَّيْطَانُ لِلضَّعِيفِ ... في العَقْلِ ذا لَا لِلحَجِي الحَصِيفِ

لَمَّتْ قُرَيْشُ جَمْعَهَا وجَاءَتْ ... بالخِزْيِ كُلِّلتْ وَمَا أفاءَتْ

جَاءَ الأَحَابِيشُ وَآلُ المُصْطَلَقْ ... يبغون هدم الحق حيثما انطلق

ومُطْعِمٌ أَعْطَى ابْنَ حَرْبٍ حَرْبَةْ ... لِيَضْرِبَنْ حَمْزَةَ فيها ضَرْبَةْ

سَارُوا جَمِيْعَاً نَحْوَ ذِيْ الحُليفة[1] ... وَانْقَلَبُوا من بَعْدِ ذاك خيفةْ

★ ★ ★

فاجْتَمَعَ الرَّسُولُ بِالصَّحَابَةْ ... مُذْ عَلِمَ الجَيْشَ دَنَا اقْتِرَابَهْ[2]

قال النبي : ندفع الأَعْدَاءَ ... في يَثْرِبٍ ، وَنمْنَعُ الأَنْبَاءَ

نذيقُهُمْ ـ إنْ دَخلُوا ـ الهَوَانا ... يَكونُ فِيهِمْ مَا مَضَى وَكَانَا

فقبلَ الأَصْحَابُ أَهْلُ الرَّأْيِ ... هَذَا وبَعْضٌ رَغِبُوا بالنَّأْيِ[3]

عَنْ يَثْرِبٍ لِصَدِّ جَمْعِ الشِّرْكِ ... صَدَّاً يُخَلِّي جَمْعَهُ في ضَنْكِ

فَقَدْ أَشَارُوا أَنْ يُلَاقُوا الجَيْشَا ... أَتَى بَعيداً[4] ـ هِمَّةً لَا طَيْشَا

وَرَأْيُهُم رَأْيُ القَوِي حَمْزَةْ ... وَمَنْ قُرَيْشُ لَا تُطِيقُ غَمْزَةْ[5]

فَوَقَفَ الرَّسُولُ عِنْدَ رَغْبَةِ ... آلِ العَفَافِ والقِوَى والنَّخْوةِ

لِأَنَّ جَمْعَهُم هُو الكَثِيرُ ... بِصِدْقِهِ سَيَكْتُبُ المَصِيرُ

★ ★ ★

(١) موضع قرب أحد .

(٢) أي ما سبب اقترابه .

(٣) كان ممن رغب بالخروج للقاء المشركين : مالك بن سنان ، النعمان بن مالك ، اياس بن أوس .

(٤) أي خارج المدينة .

(٥) قال حمزة بن عبد المطلب : « والذي أنزل عليك الكتاب « يريد رسول الله ﷺ » لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة » صور من حياة الرسول ص ٣٥٥ .

صَلَّى النَّبِيُ فِيهِم بالجُمْعَةِ ... وَحَثَّهُمْ للبذلِ عند الجَمْعَةِ

وَالصَّبرِ حَتَّى يُكْتَبَ انتصارُ ... للدِّينِ فَوْقَ مَنْ بَغوا وجَارُوْا

وَجَهَّزَ الرسُولُ نَفْسَهُ كَمَا ... يُجهزُ الشجاعُ بل وفوق ما

صَلَّى عَليهِ اللهُ كَانَ أَشْجَعَ ... شُجعَانِ مَكَّةٍ وَكانَ أَمْنَعَا

ثُمَّ إلَيْهِ رَجَعَ الفِتْيَانُ ... إذْ عَلِمُوا الحَقَّ وَثُمَّ لَانُوا

قَالَ لَهُمْ : مَا كَانَ للرَّسُولِ ... بَعْدَ لِبَاسِ الحَرْبِ مِنْ عُدُولِ

وَعَقَدَ الرَّايَاتِ لِلْحُبَابِ ... وَمُصْعَبِ القَوِيِّ في الضِّرَابِ[1]

وَسَيِّدِ الأوسِ أُسَيْدٍ وَخَرَجْ ... جَمْعُ الهُدَى الذِيْ مَعَ النَّفسِ امْتَزَجْ

وكانَ عَدَدُ الرِّجَالِ أَلْفَا ... رَدَّ النبيُّ مِنْهُمْ مَنْ أَخْفَى

رَهْطُ أُبي عِنْدَ ذَاكَ عَادُوا ... فَأَظْهَرُوا نِفَاقَهُمْ وَكَادُوا

وَتَابَعَ الجَيْشُ إلى أَنْ نَزَلَا ... في أُحُدٍ وَكَانَ خَلْفاً قَدْ عَلَا

فَوَجْهُهُمْ بَاتَ إلى المَدِيْنَة ... نَيِّرَةً طَيِّبَةً مَكِينَةْ

وَوَضَعَ النَّبِيُّ في أعلى الجَبَلْ ... خَمْسِينَ ما منهم سوى رامٍ بَطَلْ[2]

أَوْصَاهُمُ أَلَّا يُغَادِرُوهُ ... في النَّصْرِ أَوْ في الكَسْرِ يَهْجُرُوهُ

لَوْ ظَهَرُوا وانْتَصَرُوا لَا تَبْرَحُوا ... وَلَوْ ظَهَرْنا فَوقَهُمْ لَا تَفْرَحُوْا

والمُشْرِكُونَ قَدْ أَتَوْا لِلْوَادِيْ ... بالخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالعَتَادِ

مَيْمَنَةٌ لِخَالِدٍ يَقُودُهَا ... مَيْسرةٌ عِكْرِمَةٌ عَمِيدُهَا

فجعَلَ النبيُّ في إزَاءِ ... كُلِّ فَتى نِدًّا مِن اقْوِيَاءِ

ثُمَّ ابتدا القِتَالُ ثم حَمِيَا ... وطيسه كذا العدو لُقِّيَا

هزيمةً لِأَجْلِهَا قد أدبرا ... كلّ فتى ، وَعَهْدَهُ قَدْ أَخْفَرَا

والتقتِ الصُّفُوفُ بِالصُّفُوفِ ... وَنَقَّرَ النِّسَاءُ بالدُّفُوفِ

هَيَّجْنَ بِالدُّفِ عَوَاطِفَ الأُلَى ... في بَدْرَ لَاقَوْا مِنْ عَذَابٍ وَبَلَا

* * *

(١) الحباب بن المنذر ــ مصعب بن عمير ــ آسيد بن الحضير .

(٢) كان الأمير عليهم هو عبد الله بن جبير أمّره رسول الله ﷺ .

والمُسْلِمُونَ صَابَرُوا بِقُوَّةْ ... وَجَاهَدُوا في اللهِ بالفُتُوَّةْ
مُحَمَّدٌ يَحُثُّهُمْ مُبَشِّراً ... بالفَوْزِ وَالعَدُوُّ وَلَّى مُدْبِرَا
يَدْعُو النَّبِيُّ رَبَّهُ ذَا الحَوْلِ ... بالنَّصْرِ والقُدْرَةِ ثُمَّ الطَّوْلِ
يَقُولُ مِنْكَ النَّصْرُ والعَزِيمَةْ ... أَذِقْهُمْ يَارَبَّنَا !.. الهَزِيمَةْ
فَبَدَأَ النَّصْرُ تَلُوِّحُ رَايَتُهُ ... والقتلُ في الكُفَّار بانَتْ غايَتُهْ
والمُشْرِكُونَ أَدْبَرُوا إِدْبَارَا ... وَثَبَّتَ اللهُ بِهَا الأَنْصَارَا

★ ★ ★

حتى لها الأَتْبَاعُ بالغَنَائِمِ ... وَالفَيْءِ بَيْنَ قَاعِدٍ وَقَائِمِ
فَنَزَلَ الرُّمَاةُ حِينَ شَاهَدُوا ... إخوانهم لِلْفَيْءِ قَدْ تباعدوا
وَخَالَفُوا أَمْرَ الرسُولِ الأَعْظَمِ ... فَنَدِمُوا وَلَاتَ حِينَ مَنْدَمِ
أَمَّا أَمِيرُهُمْ فَقَدْ كانَ ثبتْ ... بالبَعْضِ . والنفسُ لِذَاكَ قَدْ أَبَتْ
إِبنُ الوَلِيدِ كَانَ في الكَتِيبَةْ ... وَقَدْ رَأَى الهَزِيمَةَ الرَّهِيبَةْ
رَأَى بِعَيْنَيْهِ الرُّمَاةَ زَالُوا ... عَنْ خَنْدَقٍ لَهُمْ لِكَيْ يَنَالُوا
فَالتَفَّ بِالجَيْشِ مِنَ الوَرَاءِ ... وَكَانَ مَا كَانَ مِنَ البَلَاءِ
إِذْ بَيْنَمَا تَشَاغَلَ الجُنُودُ ... بِالنَّفْلِ إِذْ جَاءَتْهُمُ الحُشُودُ
غَدْراً مِنَ الوَرَاءِ جَاءَ خَالِدُ ... والمُسْلِمُونَ صَابَرُوا وجَالَدُوا
والصَّفُّ لكِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعَا ... وَكَانَ رَبِّي عالماً سميعا
أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَ المُجاهِدَا ... وَيَبْتَلِي الضَّعِيفَ وَالمُعَانِدَا

★ ★ ★

قَد ثَبَتَ الرَّسُولُ وَالصَّحابَةْ ... أَهْلُ التُّقَى وَالعَزْمِ والنَّجَابَةْ[1]
مِنْهُمْ أَبُو طَلْحَةَ في جحفتهِ ... يَقُولُ : جَبْهَتِي فِدا جَبْهَتِهِ[2]

---

(١) ظل رسول الله ﷺ يرمي بالنبل حتى فنيت نبله . وانكسرت قوسه .

(٢) كان أبو طلحة الأنصاري يقول : « نحري دون نحرك ، ووجهي لوجهك فداء » وقد ثبت مع رسول الله ﷺ فيمن ثبت أيضاً : شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص . وأم عمارة (نسيبة بنت كعب المازنية ، ومصعب بن عمير ، الحباب بن المنذر .

وَجْهِي لِوَجْهِ أحمدٍ فِدَاءُ ‏ ‏ ‏ نَحْرِي لِنحْرِ أحْمَدٍ وِقَاءُ

يَرْمِي السِّهَامَ يَدْفَعُ الكُفَّارَا ‏ ‏ ‏ كَذَاكَ يَبْلُو خَالِقِي الأنصارا

كَذَا وَسَعْدٌ قالَ فيهِ أحْمَدُ : ‏ ‏ ‏ إِرْمِ فِدَاكَ الأَهْلُ يَامُهَنَّدُ

وَمِنهُمُ أبو دُجَانَةٍ حَرَسْ ‏ ‏ ‏ جِسْمَ النَّبِي جِسْمُهُ بِهِ تَرَسْ

فكانَتِ السِّهَامُ تَأْتِي جِسْمَهُ ‏ ‏ ‏ وَظَهْرَهُ وَنَفْسَهُ وجِرْمَهُ

حُبُّ النَّبِيِّ الصَّادِقِ المُخْتَارِ ‏ ‏ ‏ مِنْ أَجْلِهِ كَمْ صَابَرَ الأَنْصَارِي

★ ★ ★

نَبِيُّنَا أَصَابَهُ مِنَ الأَذَى ‏ ‏ ‏ في أُحُدٍ شَيْئاً كَثيراً والبذَى

أُبَيُّ مُقْبِلٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ ‏ ‏ ‏ فَأَيْتَمَ النَّبِيُّ بَعْدُ أَهْلَهُ[1]

لم يقتلِ الهادي سِوَى أُبَيَّا ‏ ‏ ‏ لِأَنَّهُ كان فَتى عِتِيَّا

★ ★ ★

وَخُدِشَتْ رُكْبَةُ أَحْمَدَ الهُدَى ‏ ‏ ‏ نَفسِي لَهُ وكُلُّ مَا عِنْدِي فِدَا

وكُسِرَتْ سِنٌّ لَهُ وَجُرِّحَتْ ‏ ‏ ‏ وَجْنَتُهُ وَبَعْدَ ذَاكَ فُرِجَتْ

فَغَضِبَ اللهُ على مَنْ كَانَا ‏ ‏ ‏ عَلَى أَذَاةِ أَحْمَدٍ أَعَانَا

واللهِ لا يُفْلِحُ مَنْ سَاهَمَ فِي ‏ ‏ ‏ أَذَى نبيِّ الصِّدْقِ والخَيْرِ الوَفِي

أَشَاعَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّ الهُدَى ‏ ‏ ‏ قَدْ فَارَقَ الحَيَاةَ ثُمَّ مَا بَدَا

لَكِنَّما رَبِّيَ قَدْ أَخْزَاهُمْ ‏ ‏ ‏ وَمَا يَسُوءُ بَعْدَهَا أَرَاهُمْ

★ ★ ★

وَانْجَلَتِ الحَرْبُ عَن اسْتِشْهَادِ ‏ ‏ ‏ سَبْعِينَ مِنْ صَحَابَةِ الوِدَادِ

وَنَيِّفاً ، مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ هَاجَرا ‏ ‏ ‏ وَآزَرَ النبيَّ ثُمَّ نَاصَرَا

فابْنُ عُميرٍ مِنْهُمُ وَحَمْزَةْ ‏ ‏ ‏ وَافْتَقَدَ الدِّينُ بِذَاكَ رَمْزَهْ[2]

---

(١) ولم يقتل رسول الله ﷺ رجلاً غيره .

(٢) رمزه — أي رمزاً من رموز قوته .

حَمْزَةُ كَانَ فِي القِتَالِ اغْتِيلَا ... غدراً وَكَانَ السيد النَّبِيلا
اسْتَشْهَدَ الشَّهْمُ القَوِيُّ المُسْلِمُ ... وَبَاتَ وَحْشِيٌّ لِذَاكَ ينـدَمُ[1]
وَظَلَّ مِنْ أَسَى يَعَضُّ نَدَمَا ... يَدَيْهِ ، بَعْد أَنْ أَتَى وَأَسْلَمَا
أَمَّا مِنَ الأَنْصَارِ فَابْنُ عَامِرِ ... وَابْنُ الجَمُوحِ . وَوَلِيُّ جَابِرِ[2]
وَابْنُ الرَّبِيعِ كَانَ فِيهِ مِنْ رَمَقْ ... أَوْصَى بِهِ الأَنْصَارَ خَيْراً وَصَدَقْ[3]
قَالَ لَهُمْ : اللهَ .. فِي العُهُودِ ... والنَّصْرَ لِلنَّبِيِّ والجُنُودِ
واللهِ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ عُذرِ ... إنْ وَصَلُوا إلى الهُدَى بالغَدْرِ

★ ★ ★

وَمِنْهُمُ ابْنُ النَّضْرِ أَنَسٌ وَقَدْ ... نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَمَا خَمَدْ[4]
يَا قَوْمُ ، إِنْ مَاتَ النَّبِيُّ فَلِمَ ... حياتُنا من بَعْدَه أَلَا لِمَ ؟!..
مُوتُوا عَلَى مَامَاتَ.إنْ كَانَ صَدَقْ ... من قال إنَّه قضى ومن نطق[5]

وَظَنَّ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ ... قَدْ نُصِرُوا وَزَالَ عَنْهُم هَمُّهُمْ
فَرَجَعُوا بِالدُّفِّ وَالغِنَاءِ ... وَاللهُ يخزيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالحَقُّ . إِنَّ أُحُداً لَنَصْرُ ... لِلْمُسْلِمِينَ لَيْسَ فِيهِ كَسْرُ
إِذْ لَوْ نَظَرْنَا لِمَرَامِي مَكَّةْ ... حِينَ أَتَتْ بِقُوَّةٍ وَحِنْكَةْ
وَخطَّطَتْ كَيْ تَقْتُلَ الإِسْلَامَا ... قَتْلاً وَأَلَّا تَتْرُكَ الأَصْنَامَا
نقول : إنها بذاكَ أُفشِلَتْ ... والدينُ ظَلَّ لَمْ تكُنْ قد قَتَلَتْ
وَما قَضَتْ حَقّاً عَلى الهدايَةْ ... في أُحُدٍ .. بَلْ زَادَتِ الرِّعَايَةْ

---

(١) هو وحشي بن حرب .
(٢) هو عبد الله والد جابر . ... والباقون هم : حنظلة بن أبي عامر ، وعمروبن الجموح ، وابنه خلاد .
(٣) قاتل سعد بن الربيع حتى أثخنته الجراح فمر به بعض الصحابة وهو يجود بنفسه فقال له : « أما علمت أن محمداً قد قتل ؟ فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه ، . فقاتل عن دينك فإن الله حي لا يموت ؟»
(٤) قال أنس بن النضر لنفر قعودٍ عن القتال : ما يقعدكم ؟! قالوا : قتل رسول الله ﷺ « أشيع ذلك » . قال أنس : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ ... » صور من حياة الرسول ص ٣٧٤ .
(٥) أي موتوا على ما مات عليه بنيكم إن كان صحيحاً ما نقل أو ما قاله المشركون في ذلك .

وكُــلُّ مَا فِي الأَمْرِ أَنَّ اللهَ ... قَدِ ابْتَلَى في أُحُـدٍ مَنْ تاهَـا
وَعَلَّـمَ الأَتْبَـاعَ والإِسْلامَـا ... كَيْـفَ يَكُـونُ صَفُّهُـمْ تَمَامَـا
مِنْ غَيْرِ مَا هَمٍّ لِدُنْيَا زَائِلَـةْ ... أَوْ في غنيمـة وَنيـلِ نائِلَـةْ
فكَـانَ مَا كَانَ وَزَادَ نَصْرَهُ ... مِنْ بَعْـدِ ذَاكَ لِلْهُـدَى وَأَزْرَهُ

حَمْرَاءُ الأَسَدْ :

مِنْ بَعْدِهَـا قد نُودِيَ الجِهَـادُ ... لغَـزوَةٍ ... فَأُخْـزِيَ العِنَـادُ
وَغَـادَرَ النَّبِـيُّ حَمْـرَاءَ الأَسَدْ ... مظفـراً ومُمْسِكـاً بذي الـحَسَدْ
شَاعِرِهِـمْ بالأَمْسِ لمّـا أَطْلَقَـه ... لِأَهْلِـهِ وَنَـفْسِهِ فَأَعْتَقَـهْ
عَادَ بِخُبْثٍ كَامِنٍ في النَّـفْسِ ... وَبَـاءَ بالإِثْـمِ كذا بِالـرِّجْسِ
قال له : لا يُلْدَغُ المُؤمِنُ مِنْ ... جُحْرٍ ، سِوى وَاحِـدَة مَعَ الزَّمَـنْ

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِير :

وَالْتَـفَتَ النَّبِـيُّ لِلْيَهُـودِ ... أَهلِ الهَوَى والنَّقْضِ لِلْعُهُـودِ[1]
أَجْلا بَني النَّضِير إِذْ قَدْ خَانُوا ... وَآزَرُوا الكُفَّـارَ ثُمَّ هَانُـوا
وَقَبِلُوا بَعْدَ الـحِصَارِ الهَجْرا ... جَزَاءَ مَا كَانُـوا عَلَيْـهِ غَدْرَا
وَتَرَكُـوا دِيَارَهُـمْ غَنِيمَـةْ ... لِلمُسْلِميـنَ سَهْلَـةً هزِيمَـةْ
وَبَعْضُهُـمْ أَسْلَـمَ فَأُقِيمَـا ... في المُسْلِميـنَ آمِناً كَرِيمَـا

غزوة ذات الرقاع :

وَقَـالَ بَعْضُ مَن رووا في السِّيْرَةْ ... أَنَّ النَّبِـيَّ قَدْ غَزَا الجَزِيـرَةْ[2]

(١) أنذرهم رسول الله ﷺ أن يصيبهم ما أصاب غيرهم ممن غدر . وأرسل اليهم محمد بن مسلمة غير ان ابن أُبيّ رغبهم في البقاء في المدينة. وقد طلب اليهم رسول الله مغادرتها . وبعد أن حاصرهم قبلوا الخروج بغير سلاح . فأخرجوا « صور من حياة الرسول ص ٤٠١ » .

(٢) غزا فيها رسول الله ﷺ بني محارب وبني ثعلبة . وسميت الغزوة بغزوة ذات الرقاع لأن الحجارة أوهنت أقدام المجاهدين من الصحابة . فكانوا يشدون عليها رقاع الخرق . المصدر السابق .

فِي رَابِعِ الأَعْوامِ مِنْ هِجْرتِـهِ   «ذات الرِّقَاعِ» كَانَ في غَزْوَتِهِ
لمَـا أَتَـاهُ أَنْ بني مُحَـارِبِ   وَثَعْلَبٌ هَمَّتْ مَعَ الكَتَـائِبِ
كَيْمَـا يَشُنُّـوا غَارَةً مُعْتَدِيَـةْ   عَلَـى الهُـدَى وَغَـزْوَةً مُبتَدِيَـةْ
فَقَـامَ ثُمَّ جَهَّـزَ الـرَّسُولُ   جَيْشاً وَكَـانَ هَمُّـهُ الـوُصُولُ
إِلَيْهُـمْ لَكِنَّهُـمْ قَدْ هَرَبُـوا   إلى الجِبَالِ مَا أَتَوْا وَاقْتَرَبُـوا
والله ربي فوقهـم قد قَذَفَـا   رُعْبَاً وعَـادَ المُسْلِمُـونَ بِالوَفَـا

غزوة بدر الآخرة :

وَحَدَثَتْ في العَامِ بَدْرُ الآخِرَةْ   وَاللهُ أَخزَى كُلَّ نَفْسٍ جَائِـرَةْ[1]
لِأَنَّهُ كَانَتْ قريْشُ وَاعَـدَتْ   محمداً في بدر لكن ما وَفَت
إذ جَهَّـزَ الرَّسُولُ في المِيْعَادِ   أصحابـه في الدِيـنِ والـوَدادِ
وجَـاءَ غير أنـهُ ما وَجـدا   مِنْ أَهْلِ وَعْدِهِ لِبَـدْرٍ أَحُـدَا
فَسُجِّـلَتْ عَلَيْهِـمْ هَزِيمَـةْ   لِخَوْفِهِـمْ كَالعَـادَةِ القَدِيمَـةْ

غزوة بَنِي المصطلق[2] :

وغُـزِيَتْ أَيْضاً بَنُـو المُصْطَلَـقِ   إِذْ ظَاهَرُوا لِحَرْبِ كُلِّ مُتَّقِي
فَنصَرَ اللهُ بِهـا النَّبِيَّـا   وَعَـادَ مِنْ غَزَاتِـهِ رَضِيَّـا
سَاقَ الشِّيَاهَ بَعْـدَ أَنْ نُفِلَهـا   فَيْئاً ، وَنَحوَ يَثْرِبٍ نَقَلَهَـا
وَأَسَرَ النِّسَاءَ وَالذُرِيَّـةْ   كَانَتْ لكُـلِّ مُؤْمِـنٍ عَطِيَّـةْ
مَا كَانَ يَبْغِـي أَحْمَـدٌ حُرُوبَا   وَلَا دِمَـاءَ تَصْنَـعُ الكُرُوبَـا
كَانَ يُرِيـدُ الدِّيـنَ أَنْ يَنْتَشِرَا   في النَّاسِ حَتَّى فِيهِ يَأْمَنَ الوَرَى

---

(١) الذي وعد هو أبو سفيان لكنه لم يخرج إلى بدر كما وعد .
(٢) ورد في فقه السيرة . للدكتور سعيد رمضان البوطي ص /٢٧٦ / ما نصه « ذكر ابن اسحاق وبعض علماء السيرة أنها كانت في العام السادس من الهجرة . والصحيح الذي ذهب اليه عامة المحققين أنها في شعبان من العام الخامس الهجري » .

لَكِنَّهُــــمْ صَدُّوا وَآذُوا فَلِـــذَا حَارَبَهُمْ لِظُلْمِهِمْ وَمَا بَذَا .. ؟ ،

★ ★ ★

مُحَمَّدٌ قَدْ أَطْلَــقَ الـــنِّساءَ بِحِكْمَــةٍ وَرَحْمَــةٍ رَجَـــاءَ
أَنْ يُؤْمِـنَ القَـوْمُ وألا ينصروا غيرَ الهُدَى وَمَا سِوَاهُ يَحْذَرُوا
وَنَـالَ في هَـذِي الغَـزَاةِ خَيْـراً وإن أتى النفـــاق في ذا غيرا
فَابْـنُ أُبَـيٍّ قالَ : إن رَجَعْنـا لِيَثْــرِبٍ وَوِزرَنَــا وَضَعْنَـــا
لَيُخْرِجَــنْ مِنْهــا الأَعَزُّ غَيْــرَهُ مِنَ الأَذَلِّيـــنَ وَسَارَ سَيْــرَهُ
فَبَلَــغَ النَّبِــيَّ ذَاكَ فَحَـــزِنْ لما أَتَاهُ ـــ وَالرحيمُ قَدْ ضَمِنْ
فَقَالَ مَا مَعْنَـاهُ أنت الأَمْكَـنُ فِيهَا ... أَعَزُّ عِنْدَنـا وَأَحْصَنُ

حَديثُ الإفك[1] :

سُدَّتْ على المُنَافِـقِ الـدُّرُوبُ فَكَيْفَ يَهْدَا.. كَيْفَ لَايَذُوبُ ؟!.
فَضَحَــهُ اللهُ فَبَــانَ سِتْـــرُهُ وَظَهَــرَ اليَــوْمَ لِطَـــهَ وِزْرُهُ
لَكِنَّــهُ لَمْ يَسْتَــحِ مِنْ رَبِّـــهِ وَلَا نَبِيِّـــهِ وَلَا مِنْ حِزْبِـــهِ
فَسَارَ يَسْعَــى لِأَذَى النَّبِـــيِّ وَذَاكَ سَيْرُ الفَـاحِشِ الغَبِـــيِّ
فَاتُّهِــمَتْ في هذه الغَـــزَاةِ عَائِشَةٌ بالفُــــــحشِ والأَذَاةِ

★ ★ ★

حَاشَا ... وَحَاشا أُمُّنا أَنْ تَفْعَلَا مَعَاذَ رَبِّي مِثْلُ ذَا أن يَحْصَلَا
صِدِّيقَـــهُ وَالِدُهــا الصِّدِّيـــقُ وَزَوْجُهـــا النَّقِـــيُّ والشَّفِيـــقُ

---

(١) للتفصيل : انظر فقه السيرة محمد الغزالي /ص ٣١١ .
أو فقه السيرة د . محمد سعيد رمضان البوطي ص (٢٧٩) .
أو السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٢٢٣ .
أو صور من حياة الرسول ﷺ (٤٠٨) .
أو نور اليقين ص ١٥٥ وكتب السيرة الأخرى .

لَكِنَّـــهُ الكَافِــرُ وَالمُنَافِـــقُ … يُرِيْدُهَـا أَنْ تُقـلَبَ الحَقَائِـــقُ
يُرِيـدُ أَنْ تُشْعَلَ بَيْـنَ النَّـاسِ … فيقــذِفَ النَّبِــيَّ بالأَرْجَـاسِ
لِيَصْنَـــعَ الفِتْنَـــةَ والصُّدُودَا … يَجْتَازُ مِنْ أَجْلِ الهَوَى الحُدُودَا
اتَّهَمُـــــوا عَائِشَةً فَبَـــرَّأَتْ … مِنْ رَبِّهَا .. وَفِتْنَـةٌ قَدْ هُدِأَتْ
وَذَاكَ أَنْ قَالُـوا : كَأَنَّ عَائِشَةْ … أَتَتْ وَصَفْـــوَانَ وتِـــلْكَ فَاحِشَةْ

وَالحَقُّ إِنَّ الرَّكْبَ بَعْدَ الغَزْوَةْ … قَدْ فَاتَ أُمَّ الطُّهْرِ أُمَّ النخوةْ
تَرَكَهَـا الـرَّكْبُ وسَارَ مَاشِيـــا … وَأَمْرُهَـا ما كَانَ فيه فَاشِيـــا
فَمرّ صَفْـوانُ الّـذِيْ تَأَخَـــرَا … يَبْحَثُ عَنْ رَاحِلَةٍ. كَذَا جَرَى[1]
مَرَّ عَلَى الدَّرْبِ هُنَـاكَ فَرَآى … عائشةً زَوْجَ النَّبِـــيِّ فَنَـــأَى
أَنَـاخَ رَحْلَـهُ وَغَـابَ وَابْتَعَـــدْ … فِي رِيْبَةٍ.. حَاشَا وَحَاشَا مَا انْفَرَدْ

وبَعْدَمَـا بَانَ لَهُ أَنْ رَكِـــبَتْ … فِي الرَّحْلِ. مَا حَكَى وَلا تَكَلَّمَتْ
ثُمَّ مَضَى يَقُودُ فِيهَـا الرَّاحِلَـةْ … حَتَّى غَدَتْ إِلى الأَمَانِ وَاصِلَةْ
كَانَ التُّقَـــى والنُّـــورُ وَالإِيمانُ … يَحْجُبُـهُ أَنْ يُفْتَـرَى البُهتَـــانُ

فَقَـالَ أَهْـلُ الإِفْكِ مَا قَالُـوهُ … خَابُـوا وَبَـاؤُوا بالَّـــذِي جَاؤُوهُ

وَوَجَـــدَ المُنَافِقُـــونَ دَرْبَـــا … وَاللهُ يَحْمِـــي حِبَّـــهُ وَيأْبَـــى
فَبَعْـدَ شَهْـرٍ أُنْـزِلَتْ آيَـاتُ … تُبْـــرِئُ الأُمَّ وَبَيِّنَـــــاتُ
فِي سُورَةِ النُّورِ وِسَامٌ لَم يَزَلْ … لِزَوْجِ أَحْمَدٍ نَفَى عَنْها الزَّلَـلْ
وَصَارَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالبُهْتَـــانِ … يُجْلَـدُ إِنْ لَمْ يَأْتِ بِالبُرْهَـانِ
حِكْمَـةُ رَبِّـيَ اقتضت كذاكَ … إِنّ لم تكُنْ تَرىَ ألا يراكَا ؟!..
وَعَـــاقَبَ اللهُ رِجَـــالَ الإِفْكِ … فَعَيْشُهُمُ من بَعْدِ ذا في ضَنْكِ

---

(١) هو صفوان بن المعطل السلمي .

غزوة الخندق [1] :

بَنُو النَّضِيرِ بَعْدَمَا أَجْلَاهُمُ ... مَحَمَّدٌ فِي الأَرْضِ مَا خَلَّاهُمُ
لَمْ يَهْدَأُوا بَلْ حَرَّضُوا قُرَيْشَا ... فَجَهَّزَتْ وَغَطَفَانَ جيشا [2]
كَذَا بَنُو سُلَيمَ وَالأَحْزَابُ ... جَمِيعُهُمْ . لَكِنَّهُمْ قَدْ خَابُوا
إِذْ جَهَّزُوا الآلافَ ثُم أَقْبَلُوا ... لِيُطْفِئُوا نورَ الهُدَى وَيَقْتُلُوا [3]
مَنْ كَانَ هَذَا أَمْرُهُ يَخِيبُ ... بالخِزْيِ وَالعَارِ كَذَا يَؤُوبُ
قد بَلَغَ النَّبِيَّ أَمْرُ الجَيْشِ ... وَنَبَأُ الأَحْزَابِ فِي قُرَيْشِ
قالَ : أَشِيرُوا أَيُّها الأَصْحَابُ ... تصدُّ عَنَّا كَيْدَهُمْ أَسْبَابُ
أَجَابَهُ سَلْمَانُ إِنَّ الخَنْدَقَ ... نَحفرهُ يُعِيْنُنَا في المُلْتَقَى [4]

فَشَرَعَ الأَتْبَاعُ حَالاً بالعَمَلْ ... حَتَّى أَتَمُّوا حَفرَهُ وَمَا وَصَلْ
جَمْعُ العَدُوِّ دُونَ أَنْ يُتِمُّوا ... إِنْجَازَهُمْ وَشَمْلَهُمْ يَلمُّوا
وَشَارَكَ النَّبيُّ بالحَفْرِ وَقَدْ ... شَجَّعَهُم فِي حَفْرِهِ وَمَا قَعَدْ [5]
فَفُوجِئَ الأَعْدَاءُ بِالطَّرِيقَةْ ... إِذْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهُمُ عَتِيقَةْ
وكان جمع المُسْلِمِينَ أَلْفَاً ... كذا وأَلْفَينِ وَصُفٌّ صَفَّا

وَحَاوَلَ الأَحْزَابُ أن يَقْتَحِمُوا ... خندقه لَكِنَّهُمْ قَدْ نَدِمُوا
إِذْ ما اسْتَطَاعُوا أبداً وُصُولَا ... فكُلُّ مَنْ حَامَ غَدَا قَتِيلَا
لكنْ يَهُودَ أَشْعَلُوا الفَتِيلَةْ ... بِالنَّقْضِ لِلْعَهْدِ ، وذي وسِيْلَةْ

---

(١) كانت على ما جزم به ابن اسحاق ، وعروة بن الزبير ، وقتادة ، والبيهقي ، والجمهور من علماء السيرة في شوال سنة خمس للهجرة وقيل سنة أربع تفرد به موسى بن عقبة ورواه البخاري وتابعه في ذلك مالك . انظر فقه السيرة د . سعيد رمضان البوطي .

(٢) أي مع غطفان .

(٣) كان عدد الأحزاب والمشركين عشرة آلاف .

(٤) هو سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٥) عن البراء بن عازب قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ . رأيته (أي رأى رسول الله) ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه . قال : وسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

يَفْعَلُها اليَهُـودُ في العُهُـودِ ... لَبِئْسَ ذَا مِنْ شِيْمَةِ اليَهُودِ

وَأَفْزَعَ الأَتْبَاعَ نَقْضُ الحِلْفِ ... وَاشْتُهِرَتْ قُرَيظَـةٌ بِالخُلْـفِ

وَرَجَـعَ المُنَافِقُـونَ قالُـوا ... دِيَارُنَـا فَارِغَـةٌ وَمَالُـوا

حَتَّى لَقَدْ تَزَلْزَلَ الضِّعَافُ ... في دِينِهِمْ وأَرْجَفُوا وَخَافُوا

لَكِنَّ إِيمَانَ الرَّسُولِ المُصْطَفَى ... يَزْدَادُ بالرَّحْمَنِ لا لن يَضْعُفَا

دَعَـاهُ أَنْ يَنْـتَصِرَ الإِسْلامُ ... بِهِ وأَنْ تَنْفَـرِجَ الأَيَّـامُ

فَجَـاءَهُ نُعَيْـمُ قَال : مُرْنِي ... فَقَالَ: خَذِّلْ مااستطعت عَنِّي[1]

فَسَارَ حَالاً لِبَنِـي قُرَيْظَـةْ ... ثُمَّ قُرَيْشاً زَارِعـاً نِقِـيضَةْ

فاخْتَلَفُـوا فَأَرْسَلَ الرَّحْمَـنُ ... خوفاً إلى الأحزاب حيث هانوا

وَبَعَثَ الريحَ بليـلٍ مُظْلِـمِ ... إليهم فَاقْتَتَلُـوا ... لِمَغْنَـمِ

وَانسَحَبُـوا هَزِيمَـةً وَرُدُّوا ... لِمَكَّـةٍ فَخَسِرُوا وصُدُّوا

قد ثَبَّتَ الإِيمانُ في القُلُوبِ ... وَانْتَصَرُوا بِهِ عَلَى الكُرُوبِ

جزاء بني قريظة :[2]

وَالتَـفَتَ النَّبِـيُّ لِلْيَهُـودِ ... أَهْلِ الأَذَى والكُفْرِ والصُّدُودِ

بَنِـي قريظـةٍ أَتى مُحَمَّـدُ ... حَاصَرَهُمْ بِمَا عَتَوا وَأَفْسَدُوا

في وَقْتِ حَرْبِهِ مَعَ العَـدُوِّ ... وَمَـنْ أَتى بالبغـي وَالعُتُـوِّ

خَانُوا العُهُـود ثُم آزَرُوا العِدَا ... مَا أَعْظَمَ الذَّنْبَ الّذِي مِنْهُمُ بَدَا

وَبَعْدَ ذَا تَنَصَّلُـوا مِنْ فِعْلِهِـمْ ... هَذَا الّـذِي وَاعْتَـذَرُوا بِجَهْلِهِـمْ

---

(١) نعيم بن مسعود الأشجعي .

(٢) ورد في تهذيب سيرة ابن هشام قوله: «فلما كان الظهر (أي من يوم الخندق) أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة (سرج) عليها قطعة من ديباج فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟! قال : نعم . فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن الا من طلب القوم . إن الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة . فإني عامد اليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس من كان سامعاً مطيعاً . فلا يصلين العصر الا ببني قريظة .

تهذيب ابن هشام ج ٢ ص ٣

لَكِـنَّ مَنْ سَجِيَّـــةً قَدْ جَارَا ... أَيَقْبَــلُ الحَقُّ لَهُ اعْتِــذَارَا ؟
جَرَّبَهُـمْ نَبِيُّنَــا فَمَــا وَجَــدْ ... عِنْدَهُـمُ إلا الصُّدُودَ والـحَسَدْ
لِذَاكَ حُوصِرُوا إلى أَنْ أُنزِلُـوا ... في حُكْمِ مَنْ يَرْضَوْنَـهُ وأقبلوا [١]
سعدٌ بِهِمْ بالحَقِّ كَانَ قد حَكَمْ ... مَا كَانَ عِنْدَ حُكمِـهِ بِمُتَّهَـم[٢]
فَقَـالَ : يُقْتَـلُ الرِّجَـالُ مُنْكُـمْ ... كَذاكَ حُكْمِي ، وَكَذاكَ أَنْتُـمْ
تُسْبَى الـنِّساءُ بَعْـدُ والذريَّـــةْ ... يَا سَعْدُ .. نِعْمَ الحُكْمُ والرَّوِيَّةْ [٣]
هذي نهاية الذيــن ظاهــروا ... على الهدى ومـن سواه ناصروا
لم يبق في مدينــة الـرَّسُولِ ... بَاغٍ مِنَ اليَهُــودِ لِلْــوُصولِ
لِمَــأربٍ في نَقْضِهِ المِيثَاقَــا ... وَزَرْعِـهِ الخِـلَافَ والشِّقَاقَــا
وَانْتَصَرَ الدِّيـنُ عَلى الأَحْزَابِ ... بالعَزْمِ والحزْمِ وَبــالأَسْبَــابِ
وَعُـزِّزَ الإِسْلَامُ بعـد الخنـدَقِ ... وَفـازَ بِالدِّيـنِ رِجَـالُ المَنْطِـقِ

★ ★ ★

وَأَوْجَبَ اللهُ عَلَــى الـنِّسَاءِ ... أَنْ يَحْتَجِبْنَ اليَوْمَ بِالغطَــاءِ
وَفُــرِضَ الحجُّ عَلى المُطِيــقِ ... لِمَكَّــةٍ وَالمَسْجِـدِ العَتِيــقِ

★ ★ ★

في سَادِسِ الأَعْوامِ مِنْ هجْرتِهِ ... كَمَـا رَوَى الـرُّوَّاةُ في سِيْرَتِـهِ
غَزَا رَسُولُ اللهِ آلَ الغابَـــة ... رَدَّ جِمَالَـــهُ إلى الصَّحَابَــةْ [٤]
ثُمَّ غَزَا لَحيَــانَ إِذْ هُمْ قَتَلُــوا ... عاصم في الرجيـع ثم فعلــوا
غدْراً وَخَانـوا العهـد والميثاقــا ... كَانَ النَّبـيُّ يَبْتَغـيْ اللَّحَاقَــا[٥]

---

(١) حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب . المصدر السابق ص ٤ .

(٢) هو سعد بن معاذ . ارتضاه بنو قريظة حكماً . لأنه كان سيد الأوس . وبنو قريظة هم حلفاء الأوس . كما كان بنوقينقاع حلفاء الخزرج .

(٣) قال رسول الله ﷺ لسعد بعد حكمه : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة « أي سماوات » .

(٤) هي غزوة ذي قَرد . وذلك أن عيينة بن حصن الفزاري قدم في خيل من غطفان على ابل لرسول الله ﷺ في (الغابة) . وفيها رجل من غفار وامرأة له . فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع الابل . فتبعهم رسول الله ﷺ حتى ردّ الابل . وعادت المرأة أيضاً .

(٥) ورد في تهذيب سيرة ابن هشام أن غزوة بني لحيان كانت قبل الغزوة السابقة « ذي قرد » وذلك أن بني لحيان قتلوا خبيب ابن عدي وأصحابه الذين أرسلهم رسول الله ﷺ لتعليمهم أحكام الاسلام وقد أراد رسول الله ﷺ في غزوته هذه اللحاق بهم وتأديبهم .

بِهِمْ وَلَكِنْ تَرَكُوا وَهَرَبُوا   مِنْ دَارِهِمْ وَلَا مَا اقتربوا

فَرَجَعَ النَّبِيُ ثُمَّ قَالَ :   بالخير أُبْنَا ، ولـه تعالى [1]

حَمْدٌ عَلَى مَا بالهُدَى قَدْ أَنْعما   نَعُوذُ، يَارَبَّ الهُدَى ، مِنَ العَمَى

★ ★ ★

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ في السَّرَايَا   بعضاً .. ففَاءُوا بَعْدُ بِالعَطَايَا

يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّبَ الذينَ   قد أجمعوا على أذى نَبِيْنَا

سَرِيَّةٌ بَعَثَهَا (لبَكْرِ) [2]   وَ(أَسَدٍ) وَ(قصةٍ) [3] ذِي الكُفْرِ

ثُمَّ سَرِيَّةٌ أَتَتْ (سُلَيْمَا) [4]   يَقُودُهَا زَيْدٌ أتى رَحِيمَا

ثُمَّ إلى قُرَيْش أَيْضاً أُرسِلَتْ   سَرِيَّةٌ [5] فَازَتْ بِهَا وَأَقْبَلَتْ

كذا سَرِيَّةٌ (لِآلِ ثَعْلَبَةْ) [6]   ثُمَّ (فَزَارَةٌ) وَ(كَلْبُ) المَثْلَبَة [7]

وغَيْرَهَا ، وَغَيْرَهَا وَنُصِرَتْ   كُلُّ السَّرَايَا ، وَقُرَيْشٌ هزمتْ

وَأُدِّبَتْ (عُكْلَةُ) و (عُرَيْنَةْ)   وَانْقَلَبَتْ مهزومَةً حَزِيْنَة

خَانُوا النَّبِيَّ جَحَدُوا وَكَفَرُوا   وَقَتَلُوا أَنْصارَهُ وَغَدَرُوا ...!

قَتَّلَهُمْ نَبِيُّنَا مُؤَدِّبَا ..   مَنْ كَانَ ظَنَّ أَنَّ فِي الدِّينِ غَبَا

---

(١) قال رسول الله ﷺ : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال » .

(٢) وهي سرية ضربة . كان أميرها محمد بن مسلمة وعدد أفرادها ثلاثين أرسلهم رسول الله ﷺ الى بني بكر .

(٣) ذي القصة مكان يقع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة المنورة من ناحية الحجاز . وقد بعث رسول الله ﷺ سريته في طلب بني ثعلبة .

(٤) هي سرية الحموم بعثها رسول الله ﷺ الى بني سليم .

(٥) سرية العيص بعث رسول الله ﷺ فيها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً . الى (العيص) لتعترض عيراً لقريش .

(٦) سرية الطرف بعث بها رسول الله ﷺ زيداً الى بني ثعلبة بناحية الطرف وهي ماء بطريق العراق . أما سرية وادي القرى فقد أرسلت الى خزارة .

(٧) ودومة الجندل : أرسل رسول الله ﷺ اليها سرية في طلب الكلبيين . استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم وخرج ومعه من المسلمين نحو ألف وخمسمائة لا يحملون من السلاح الا السيوف في أغمادها .

القسم الرابع

الفتح المبين

عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَةْ :

كَانَ النَّبِيُّ قَدْ رَأَى المَنَامَا ... فِيهِ يَزُورُ المَسْجِدَ الحَرَامَا
فَوَعَدَ الأَصحابَ بالقُدُوم ... لِمكَّةٍ وَالمحْقِ لِلْهُمُومِ
لَا لَمْ يَكُنْ نَبِيُّنَا مُحَارِبَا ... قُرَيْشَ فِي ذَا لَمْ يَكُنْ مُغَالِبَا
يُرِيدُ عُمْرَةً يَطُوفُ فِيها ... بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ إذ يَأْتِيها
فَاسْتَنْفَرَ الأَعْرَابَ كَيْما يَنْصُرُوا ... قدومه فِي ذَا وَكَيْمَا يُخْبِرُوا
قُرَيْشَ حَتَّى ؛ بِالقُدومِ تَأْذَنَا ... والحربُ تَنأَى عَنْهُمُ وَتُؤْمَنَا
لَكِنَّما الأَعْرَابُ لَمْ يَقومُوا ... بِنَصْرِهِ ، فَمَا أَتَى القُدُومُ[1]
فَقَامَ أَحْمَدٌ يَقُودُ هَدْيَهُ ... وَآلَهُ وَصَحْبَهُ وفديَهُ
لِيُشْعِرَ النَّاسَ بِأَن لم يأتِهِمْ ... إِلاَّ لِعُمْرَةٍ .. وَلَا لِبَغْتِهِمْ

★ ★ ★

فَعَزَمَت قُرَيْشُ أَنْ لَا يَدْخُلا ... مُحَمَّدٌ مَكَةَ ، أَوْ أَنْ يَصِلَا
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْهُمْ لَا رَغْمَا ... فَزَادَ فِي القُلُوبِ ذَاكَ هَمَّا
إذ وَصَلَ النَّبِيُّ لِلْحُدَيْبِيَةْ ... بِهَا أَقَامَ الحجَّ ثُمَّ التَّلْبِيَةْ
فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ ابْنَ عَلقَمَةْ ... كَذَا بَديلاً ، لِتَرَىٰ مَا أَقْدَمَهْ[2]
وَجَاءَ عُرْوَةٌ فَلَمَّا شَاهَدَا ... وَجَالَسَ النَّبِيَّ ، رَاحَ عَائِدَا
يقولُ : مَا جَاءَ لحربٍ إِنَّما ... جَاءَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ كَيْ يُعَظِّمَا
بيتاً حَراماً فَيُؤَدِّي نُسْكَهُ ... خلوا الدماء لا نريد سفكهُ
لَكِنْ قُرَيْشاً رَضِيَتْ فِي القَابِلِ ... أَنْ يَدْخُلَ النبيُّ ، لَا فِي العَاجِلِ
وَأَنْ يُرَدَّ اليَوْمَ ثُمَّ يَدْخُلُ ... فِي السَّنَةِ الأُخْرَى كَذَاكَ يَفْعَلُ
وَبَعَثَ النَّبِيُّ عُثْمَانَ لِكَيْ ... يُفَاوِضَ النَّاسَ فيطوي الحرب طي[3]
لكنْ أُشِيعَ أَنَّ عُثمانَ قُتِلْ ... وَوَفْدُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَا قُبِلْ

---

(١) القدوم : أي قدوم الاعراب .
(٢) الحليس بن علقمة سيد الأحابيش . وعروة بن مسعود سيد بني ثقيف .
(٣) عثمان بن عفان رضي الله عنه

فصَمَّــم النبــيُّ أَنْ يُحَارِبَــا ... قريشَ أَنْ بِرُسْلِــهُ يُطالِبــا
وَقَدْ دَعَا الأتبـاع كَيْ يُبَايِعُوا ... بَيْعَـةَ رضْوانٍ ، وَكَـيْ يُتَابِعُــوا
فَبَايَعُوا عَلَى المَمَاتِ إِنْ لَمْ ... يَعُدْ إليهم سَالِمــاً ويَسْلَــمْ
وَعَادَ مَنْ إِلى النَّجاشِي هَاجَرُوا ... جَاءُوا إِلى محمَّــدٍ وَنَــاصَرُوا

★ ★ ★

خَافَتْ قُرَيْشُ عِنْدَهَا وَفَاوَضَتْ ... لِلصُّلْحِ أَحْمَداً وَكَانَت نَاجَزَتْ
فَأَرْسَلَتْ سُهَيْــلَ لِلمُكَالَمَــةْ ... في الصُّلْحِ والدِّفَاعِ وَالمُسَالَمَةْ (١)
فَعقَـدَ الصُّلْحَ وَقَـدْ تَضَمَّنَــا ... شَيْئاً لِنَصْرِ الحَقِ كَانَ أَضْمَنَا
مِنْ بَيْنِهِ أَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ ... وبَعْـدَ عَامٍ يُمكــنُ الــوُصُولُ
وَأَنْ تَزَالَ الحَـربُ ثمَّ تُرْفَعَــا ... أَوْزَارُها مِنْ بَعْدُ عَنْهـمْ تُمنَعَـا
وَأَنْ يُعَـادَ مَنْ أَتَـاهُ مُسْلِمَــا ... وَلا يُعَادُ مَنْ أَقَامَ في العَمـى
وَمَنْ أَرادَ حِلْفَ دِيْـنِ أَحْمَـدِ ... وَعَهْــدِهِ وَحِزبِــه لم يَبْعــدِ
ثُمَّ انْتَهى الأَمْرُ ، وَقَـالَ أحمدُ ... أَنِ احْلِقـوا رؤوسَكُـمْ وَمَجِدُوا
وَاعْتَمِــرِوا مِنْ هَاهُنَــا وَإِنَّــا ... إِنْ شاءَ رَبِّي داخلــون أَمْنَــا
وَرَجِعُـوا وَكَـانَ عُثْمانٌ رَجَـــعْ ... لم يَلْقَ صداً منهم ولا فزعْ
وأحمدٌ لفديــــــــهِ كان نحرْ ... مُبَشِّراً بالـــنِصْرِ ثمَّ والظفَـــرْ
وَكَانَ ذَاكَ العَهْدُ نَصراً لِلْهُدَى ... فِيـهِ وَمِنْـهُ نَصْرُهُ قَد ابْتَـــدا
إِذْ طَلَبَتْ قُرَيْشُ أنْ تَحُـــلّا ... عَهْــداً بِهَــا لِأَنَّهُ أحَـــلَّا
هَزِيْمَـــةً وَكَـــانَ كَالبَـــلَاءِ ... أَتَاهُـمْ بالضِّيــقِ لا النّمــاءِ
أَبُـو بَصِيـرٍ كَانَ وَالجَمَاعَــةْ ... مِمَّنْ أُعِيدُوا ، صَادَرُوا البِضَاعَةْ (٢)

---

(١) سهيل بن عمرو . وقد اتفق الفريقان على :
(أ) الهدنة لفترة عشر سنين
(ب) تأجيل العمرة الى العام القادم .
(جـ) أن يرد الى قريش من جاء منها وأن لاترد قريش من جاءها من المسلمين
(د) أن يكون التحالف حراً «من شاء دخل في حلف قريش . ومن شاء دخل في حلف رسول الله ﷺ» .
صور من حياة الرسول ص ٤٦١

(٢) هو عتبة بن أسيد الثقفي (أبو بصير) نزل مكاناً على ساحل البحرين بين (العيص) و (ذي المروة) من أرض جهينة وهناك قعد بطريق قريش كلما مرت تجارة لها أغار عليها .. وقد انفلت اليه أبو جندل بن سهيل بن عمرو ومعه سبعين ممن أسلموا أيضاً ... » صور من حياة الرسول ص ٤٧٣ .

وَوَقَفُوا عَلى طَرِيـقِ القَافِلَـةْ إِذْ قَدْ تُرى ذَاهِبَةً أَو قَافِلَةْ

حَتَّى على قُرِيشَ قَدْ تَعكَّرَتْ مَسَالِكُ الرِّبْحِ وَقَدْ تَنكَّـرَتْ

فَرَغِبَتْ أَنْ تنتهي المُعَاهَـدَةْ وَحَقَّـقَ اللهُ بِذَاكَ الفَائِـدَةْ

لِلْمُسْلِمِينَ إِذْ أَتاهُـمُ هَيِّنَـا «إنا فتحنـا لك فَتحـاً» بَيِّنَـا

إِذْ فُتِحَتْ أَبْوابُ نَشْرِ الخَيْـرِ في دُوَلٍ شَتَّى وَ مَا مِنْ ضَيْرِ

في ذَاكَ إِذْ قَدْ بَدَأَ الرَّسُولُ يُكاتِبُ المُلُوكَ كَي يَؤُولُـوا

لِلحَـقِّ وَالخَيْـرِ وَلِلْهِدَايَـةْ وتلك كانت لِلنَّبِـي غَايَـةْ

رسائله ﷺ إلى الملوك :

كَاتَبَ قَيْصراً كَذَا وَالحَارِثَـا وكَـانَ لِلْشَّامِ كَذاكَ بَاعِثَـا [1]

وراسَلَ المُقَـوْقِسَ العَظِيْمَـا يَدعُوهُ : أَنْ أَسْلِمْ وَكُنْ مُقِيمَا

على الهُدَى والخَيْرِ يا مُقَوقِسُ للهِ تَأْتِي بَعْـدَ ذَاكَ الأَنْفُسُ

وَبَـعَثَ النبـيُّ لِلنَّجَـاشِيْ ثُمَّ لِكِسْرَى صَاحِبِ الفِراشِ

كَذا وراسَلَ النبـيُّ هُوذَهْ بن عَلـيّ فَأَتَـى المَنْبُـوذَةْ [2]

وَبَعَثَ الرَّسُولُ نَحْو المُنْذِرِ ثُمَّ إلى عُمَـانَ بِالمُـبَشِّرِ

أَمَّـا أَخُـو الرُّومِ فَكَانَ آثَرَا مُلْكاً على الحَقِّ وَكَانَ تَاجِرا

كَذا أَخُـو بُصرَى يَرُدُّ رَدّاً يقْتُـلُ فيـهِ رُسْلَـهُ وَصَدّا

لَكِنْ أَمِيرَ الشَّامِ يَبْغي حَرْبَا وَالكُفْـرَ والعِنَـادَ ثمَّ الضربـا

أَمَّا أَخُـو مِصْرَ فَرَدَّ خَيْـرا وَلَـمْ يَكُـنْ عَاتٍ وَلَا كَفُورَا

وَمَلِكُ الأَحْبَاشِ كَانَ أَسْلَمَا وَبَايَعَ النَّبِـيَّ فِيمَـا أَقْدَمَـا

وَرَدَّ كسْرَى أَقْبَـحَ الـرُّدُودِ بِالجَّهْـلِ وَالعِنَـادِ والصُّدُودِ

---

(١) «بعث النبي ﷺ دحية بن خليفة الى قيصر ملك الروم . وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس . وبعث عمرو بن أمية الى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس عظيم القبط . وبعث شجاع بن وهب الى الحارث الغساني ملك تخوم الشام» المصدر السابق ص ٤٩٨

(٢) وقد أرسل رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي ملك اليمامة . والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين ــ نور اليقين ص ٢٠٠ ــ ٢٠٢ .

فانتقـم اللهُ العَظِيم مِنْهُ ... إذْ أَبْعَدَ الحَقَّ الشَّقِيُّ عَنْهُ

وَأَسْلَمَ المُنْذِرُ في البَحْرَيْنِ ... وَمَلِكَا عُمَانَ بَعْدَ اللِّينِ

وَطَهَّرَ النَّبِيُّ بعد ذاكَا ... خَيْبَرَ مِنْ يَهُودِهَا هُناكَا[1]

★ ★ ★

فتح خيبر :

كَانُوا يُحِبُّونَ الأَذَى وَالمَوْتَا ... لِلمُسْلِمِينَ كُلهم والفَوْتَا

وَسَاعَدُوا قُرَيْشَ يوم الخندق ... لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ . نَاصِراً لِلْمَنْطِقِ

لذا تَجهَّزَ النَّبِيُّ ثُمَّ ... جَهَّزَ أَصْحَابَاً لَهُ وَهَمَّا

حَتَّى غزا خَيْبَرَ ثُمَّ حَاصَرَا ... مَنْ كَان غَدّاراً بِهَا وَمَاكِرا

نَصَرَهُ اللهُ على اليَهُودِ ... ذَوِي الأَذى والكُفرِ والجُحُودِ

★ ★ ★

الكتف المسمومة :

وَأُهْدِيتْ شَاةٌ لَهُ وَلَمَّا ... أَرَادَ أَنْ يَأْكلَهَا أَلَمَّا[2]

شيءٌ بِهِ ، وقالت العِظام ... إِنِّي مَعِي السُّمَّ فَلَا طَعَامُ

فَلَفَظَ النَّبِيُّ ما كَانَ مَضَغْ ... أَمَّا الصَّحابي فقد كان انصدغ[3]

كَانَ اليَهُودُ يَبْتَغُونَ قَتْلَهُ ... وَاللهُ يَدْرِي مَا يُرِيدُ فِعْلَهُ

نَجَّاهُ مِنْ امْرَأَةِ اليَهُود ... حيثُ أَتَتْ بالسُّم للوَدُودِ[4]

---

(١) تقع خيبر بين المدينة والشام على بعد مائة ميل من المدينة وهي منطقة خصبية اشتهرت بحصونها ومزارعها ونخيلها . غدر يهودها وحاولوا غزو النبي ﷺ وكادوا للمسلمين فغزاهم الرسول ﷺ في السنة السابعة من الهجرة في شهر محرم في ألف وستمئة من أصحابه . وقد استخلف على المدينة سباع بن عرفطة ..» نور اليقين ص ٤٧٩ .

(٢) التي أهدت اليه هي زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم ـ وقد أكثرت له السم في ذراع الشاة . ولما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها . وكان معه بشر بن البراء بن معرور . وقد لفظ رسول الله ﷺ ماأكل . وقال «إن هذا العظم ليخبرلي أنه مسموم» .. ومات بشر من أكلته التي أكل .. » صور من حياة الرسول ص ٤٩٠ .

(٣) المقصود أنه توفى .

(٤) دعا الرسول ﷺ بها فاعترفت فقال : ماحملك على ذلك ؟ قالت : «بلغت من قومي مالا يخفى عليك . فقلتُ : إن كان ملكاً استرحنا منه . وإن كان نبياً فسيخبر» . المصدر السابق .

عُمْرَةُ القَضاءِ :

وبَعْـدَ أَنْ حَلَّ مِن الزمـــان حَولٌ على الصُّلح أَخِي الأَمَان
تَجهَّـــزَ النَّبِـــيُّ والأَنْصَارُ ويمَّمُـوا شطـر النَّـدى وساروا[1]
سُيُوفُهُم في الغِمد خَوْفاً مِمّـا قَدْ يَغْـدُرُ الكُفَّـارُ فيـه هَمـا
وَدَخَلُوا البَيْتَ وَفِيـهِ اعْتَمَـرُوا وَمُشْرِكُـو قُرَيْش يَوْمـاً نَفَـروا
أروهـم القـوة في الأَجساد والعـزم في الوجـوه والأَغمـاد[2]
وَفـرِحَ النَّبِـيُّ إِذْ أَتمَّـا مَا كَانَ بِالأَمْسِ رَآهُ حُلْمَـا

★ ★ ★

وصَالَحتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ فدَكُ فَحُقِـنَتْ دِمَاؤهُـمْ وانفكـوا
كَذاكَ تَيْمـاءُ النَّبِـيَّ صَالحت في جِزْيَةٍ تَدْفَعُها وَمَا عَتَتْ
أَمَّا يَهُودُ ذِيْ القُرى فَقَدْ أَبَوا فَقوتِلُـوا بِقُـوة وأُدِّبُـوا
وَأَرْسَلُـوا شَطْرَ الثِّمـارِ فِدْيَـةْ لِقَـاءَ أَنْ يَحْمِيهُـمْ وَجِزْيَـةْ

من بعد هذا الفتح جَاءَ خَالِد نجلُ الوَليـد مُهْتَـد يُرَاوِدُ
محمداً .. يُغْدُو كَبَعْضِ جُنْده وَمِنْ هُنا بَدَا الفَتَى في مَجْدِهِ
وَجَـاءَ عَمْـروٌ[3] مسلمـا لله يَرْجُو القَبُولَ مِنْ عَظِيم الجَاهِ
وقَدِمَ ابـنُ العَبْـدَرِي مُسْلمـاً وَهَاجراً مَا كَانَ فيه مِنْ عَمَى[4]
ثُمَّ غدا الجَميعُ جُنْدَ الحَقِّ يُجَاهِدونَ في الهُدَى بالصِّدقِ

---

(١) كان عدد الصحابة الذين شاركوا في عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان . وقد استخلف الرسول ﷺ أبا ذر الغفاري على المدينة وساق من الهدي ستين بدنة . وأحرم من باب المسجد ثم سار يلبي والمسلمون يلبون معه .»

(٢) «دخل رسول الله ﷺ الكعبة . وظل بها حتى جاء وقت الظهر فأمر بلالاً فأذن فوق ظهر الكعبة . فغاظ ذلك المشركين غيظاً شديداً ..»

(٣) هو عمرو بن العاص .

(٤) عثمان بن أبي طلحة العبدري .

وَقبْلَ عُمْرَةِ القضَاءِ أُرْسَلَ محمدٌ جُنُودَهُ لِمَنْ عَلاَ [1]
كَيمَا يُطَهِّرَ البِلَادَ مِمَّنْ يُثيرُ فِتْنَةً وذاك أضمنْ

مَعْرِكَةُ مُؤْتَةَ :

وَجهَّزَ النَّبيُّ جَيْشاً بَعْدَهَا يُرِيدُ بُصْرَى إِذْ أَرْتْهُ صَدَّهَا
فَقَتَلَتْ رَسُولَهُ إذ كَفَرَتْ بِاللهِ مَا وَعَتْ وَلَا تَفكَّرَتْ [2]
كان أميرَ الجَيْشِ زيداً وَمَعَهْ جَعْفَرُ .. يَأْتِي لِلْعَدُوْ فَيَقْمَعَهْ [3]
وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أيضاً فيهِ لَقِيَهُ في الحَرْبِ ما لَقِيْهِ

أَوْصَاهُمُ الرَّسُولُ أَنْ يُصَابِرُوا في اللهِ ثُمَّ أَنْ لَهُ يُثَابِرُوا [4]
لا يَقْتِلُوا طِفلاً وَلَا وَلِيداً وَلَا مُسَالِماً وَلَا عَبِيدَا
فَبَلَغُوا مُؤْتَةَ ثُمَّ شَاهَدُوا جيشاً كثيراً جمعه فجالدوا
رَمَى الأَميرُ زَيْدُ حتَّى استشهدا وَجَعْفَرٌ كَمِثْلِ زيدٍ قَدْ غدا
إذْ أَخَذَ الرَّايَةَ ثُمَّ قاتَلا بقوة وَحِنْكَةٍ وَوَاصَلا
حتَّى إلى اللهِ غَدَا والجنَّهْ حَيْثُ النَعِيمُ وَالعَطَا والمِنَّةْ
وَابنُ رُواحَةٍ كَذاك جَاهَدَ وَقاتَلَ الكُفَّارَ ثمَّ جالَدَا
حتَّى تَوَفَّاهُ العَلِيمُ القَادِرُ ونَاصِرُ الحَقِّ المُعزُّ القَاهِرُ

فَأَخذَ الرَّايَةَ خَالِدٌ وَقَدْ قَاتَلَ في اللهِ العَظِيمِ وَصَمَدْ [5]
حتَّى أخَافَ الرُّومَ ثُمَّ كَرَا وَقَلَّبَ ، الرأيَ فعَادَ حُرَّا
قالَ الرَّسُولُ إنَّهُمْ كُرَّارُ في الحَرْبِ لَا .. لَا مَا هُمُ الفرارُ

---

(١) أرسل سراياه الى هوازن والى بني مرة في فدك ، والى عيينة بن حصن وجماعة من غطفان ..» نور اليقين ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ .
(٢) الذي قتل رسول رسول الله الحارث بن عمير هو شرحبيل بن عمرو الغساني . صور من حياة الرسول ص٥١٥
(٣) كان الأمراء . زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة . وكان عدد الجيش ألفين .
(٤) من بين وصايا رسول الله ﷺ لهم : «اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تعرضوا لهم . ولاتقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً . ولاتقطعوا شجراً ولاتهدموا بناء » ...
(٥) خالد بن الوليد رضي الله عنه .

فتح مكّة (الفتح الأعظم) :

تَطَلَّعَ الرّسُولُ نَحْوَ مَكَّةْ   والشِّرْكُ فيها هل يَحينُ دَكَّهْ ؟...
مَتَى قُرَيْشٌ تَقبلُ الإسلامَا   جَمِيعَها وَتهْجُرُ الأَصْنَامَا ؟!..
وَاللهُ إنْ أَرَادَ أمْراً هَيَّأَ   أسبابه حتى أتى وما نأى .
أَرَادَ رَبِّي أَنْ يُظِلَّ الدِّينُ   قريشَ والجميعَ كي يكونوا
كالجَسَدِ الوَاحِدِ في طَرِيْقِ   حَياتِهِمْ في المسْجِدِ العَتِيقِ
فكانَ فَتْحُ مَكَّةٍ وَنَصْرٌ مَنْ   لِلْحَقِّ يَدْعُو.. لا لحَرْبٍ أَوْ مِحَنْ

أَسْبَابُ ذَاكَ الفَتْحِ أَنْ قَد اعْتَدَتْ   بكْرٌ عَلَى خُزَاعَةٍ وَمَا رَعَتْ[1]
خُزَاعَةٌ كَانَتْ تُحالِفُ الهُدَى   وَبكْرُ كَانَ حِلْفُها مَعَ العِدَى
فَقَامَ بَكْرِيٌّ لِيَهْجُو المُصْطَفَى   عندَ خزاعيٍّ وَمَا كَانَ وَفَى
فَثَارَتِ النفْسُ تُريدُ الثأرا   ثُمَّ قُريْش قَدْ أَعَانَتْ بكْرا
لَكِنَّها سُرْعَانَ مَا تَذكَّرَتْ   مِيثَاقَها مَعَ الهُدَى وَفكَّرَتْ
فَأَرْسَلَتْ زَعِيمَها تُرِيْدُ   امْتِدَادَ عَهْدٍ وَلَهُ تَزِيْدُ
جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ نحو يَثْربِ   وَفي فُؤَادِهِ الهُمُومُ تختَبِي
قَالَ النَّبيُّ : إنَّنا في العَهْدِ   لَا زَالَ بيْننَا .. فَهَل مِنْ رَدٍّ ؟..
قَالَ أبو سفيان: لا.. فَلَم يُجبْ   لَهُ مِنْ بَعْدِ نطقِهِ بذَا طَلَبْ
فَعَادَ بِالخَيْبَةِ لا بِالخَيْرِ   يَكَادُ لَا يَقْوَى على المَسِيرِ .

★ ★ ★

فَجَهَّزَ الرَّسُولُ ثُمَّ أَخْبَرَا   صَدِّيقَهُ بما أَتَى وَمَا جَرَى

---

(١) هذا ما ذكره صاحب «نور اليقين» ص ٢١٨ وفي تهذيب سيرة ابن هشام : أن نوفل بن معاوية الديلمي «وهو من بكر» خرج ومعه بعض الرجال حتى بيت خزاعة وهم على الوتير (ماء لهم) فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا ، انحاز كل الى قبيلته ، الى ان تذكرت قريش الهدنة ، فرغبت في تجديد مدتها . فأرسلت أبا سفيان الى المدينة المنورة في ذلك ، وكان بعد ذلك الفتح انظر ص ٥٢

ثمَّ وفي الصيام نادى قاصداً   مَكَّةَ لِلْفَتْحِ وَقَامَ سَاجِداً
يَقُولُ : يَا رَبُّ .. خُذ العُيُونَا   عَنْ مَكَّةٍ ، وَخَلِّه دَفِينَا
وَحضَرَتْ أَسْلَمُ وَمُزَيْنَةْ   وَأَشْجَعٌ ، غِفَارُ ، وجُهَيْنَةْ
ناداهم النبيُّ فاسْتَعَدُّوا   لِلْسَّيْرِ .. كَلّ ممكنٍ .. أعدُّوا

فَخَطَّ حَاطِبٌ كِتَاباً أَرْسَلَهْ   يُعْلِمُ فِيهِ مَكَّةً وَحَمَّلَهْ[1]
فَأُعْلِمَ النَّبِيُّ بِالكِتَابِ   تَحْمِلُهُ ظَعِينَةُ الحِجَابِ
فَأَرْسَلَ المِقْدَادَ والزُّبَيْرا   مَعَ عَلِيٍّ لَحِقُوا البَعِيرَا[2]
واعْتَرَضُوا المَرْأَةَ ثُمَّ أخرَجُوا   مِنها الكِتَابَ ثُمَّ عَنْها أفْرجُوا
فَلَمْ تَصِلْ أَخْبَارُ أَحْمدٍ إلى   قُرَيْشَ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ سَأَلا
حَاطِبَ عَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّما   فَعَلْتُهُ كَمَنْ بِآلِهِ احْتَمَى
مَا كَانَ كُفْرٌ بِالفُؤَادِ قَادَني   لِذَا وَلكنْ حِلْفُ قومي عَادَني
وَتَابَ ثُمَّ عَاهَدَ الرَّسُولا   أَنْ لَا يَعُودَ مِثْلَها أُصُولَا

وَيَمَّمَ الأَتْبَاعُ شَطْرَ مَكَّةْ   قَائِدُهُمْ أَشْرفُ خَلْقٍ حِنْكَةْ
مرّوا على الظهران ثم أوقدوا   ناراً رَأَتْها مكةٌ .. وَأَنْجدُوا[3]

فَأَرْسَلَتْ زَعِيمَهَا مُلْتَمِساً   إِذْ كَانَ أَمْرُ مَنْ أَتَى مُلْتَبِسا
جَاءَ حَكِيمٌ وَبَدِيلٌ أيضاً   وفي قريش ما يَشُقُّ غَيظاً
ثُمَّ أبو سُفْيانَ بَعْدُ أَسْلَمَا   وتابع النبي ثُمَّ يَمّمَا

★ ★ ★

وَدَخَلَ الأَصْحَابُ في انتظام   لِمَكَّةٍ والمَسْجِدِ الحَرامِ

---

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة وكان ممن شهد بدراً .
(٢) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص (٢٧٩) وفقه السيرة ــ محمد الغزالي ص٤٠٦ وصور من حياة الرسول ص ٥٣٢ ودراسات في السيرة عماد الدين خليل ص ٢٤٣
(٣) «لما نزل رسول الله ﷺ مر بالظهران وأمر بإيقاد عشرة آلاف نار وكانت قريش قد علمت ان محمداً زاحف بجيش عظيم لاتدري وجهته . فأرسلت أبا سفيان بن حرب . وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر ..» نور اليقين ص ٢٢٢

تَفَرَّقَ القَومُ إلى الشِعَابِ ... وأغْلَقُوا في الدَّارِ كُلَّ بَابِ[1]
قَالَ الرَسُولُ : مَنْ أتَىٰ لِدَارِهِ ... فإنَّهُ يأمَنُ في جِوَارِهِ[2]
وَمَنْ أتَىْ دَارَ الزَّعِيمِ يَأمَنُ ... والمَسْجِدَ الحَرَامَ ثُمَّ يَضْمَنُ
إلا ابْنُ سَرْحٍ وَكَذَا ابنُ الأسْوَدِ ... عِكْرِمَةً أيْضاً وَلَوْ في المَسْجِدِ[3]
كَذاكَ وحْشِياً وَكَعْباً فاقْتلوا ... حَتَّىٰ وَلو أتوه ذَاكَ فافْعَلوا

★ ★ ★

وَدَخَلَ النَّبِيُّ ثُمَّ طافَا ... بالبَيْتِ في تَوَاضُعٍ وَصَافَى
جَمعَ قُرَيْشٍ بَعْدَ أن أزالَا ... عُزَّىٰ وَآلأوْثَانَ وَقَدْ أنَالَا
شِرْكَهُمُ هَزِيْمَةً كَبِيْرَةْ ... وَرَفْرَفَ الحَقُّ على الجَزِيْرَةْ
وَقَرَأً النَّبِيُّ : « جاء الحَقُّ ... وَزَهَقَ البَاطِلُ » ذَاكَ صِدْقُ
ثُمَّ إلىٰ النَّاسِ الرَسُولُ التَفَتَا ... فَقَالَ لِلَّذي طَغَىٰ وَقَدْ عَتَا
يَاقَومُ .. مَاذَا اليَومَ تَنظُرُوْنَ ... أنّي أُرِيكُمْ كَيفَ تَأْمَلُوْنَا
قَالُوا لَهُ : خَيْراً ، فَأَنْتَ الخَيْر ... محمدٌ ، والصَّادِقُ المُجِيْرُ
أَخٌ أو ابْنُهُ لَنَا وأكثَرُ ... فَأمُرْ بِمَا شِئْتَ . فإنَّا نُؤْمَرُ
قَال : اذهَبوا فإنَّكُمْ أحْرَارُ ... وَكَمْ عَلَيْهِ آزَرُوا وَجَارُوا

★ ★ ★

هَذَا هُوَ الرَّحِيْمُ سَيِّدُ البَشَرْ ... مَاكَانَ مِنْ أَخلَاقِهِ قَطُّ الضَّجَرْ
وإنَّمَا يَعْفُو مَعَ الإمْكَانِ ... لِلإنْتِقَامِ لَامَعَ الخُذْلَانِ
صَلَّى عَليهِ اللهُ ليس في الوَرَىٰ ... كأحْمَدٍ خُلقَا ولا فَوقَ الثَّرَىٰ

★ ★ ★

---

(١) أي قريش .

(٢) نادى منادي رسول الله ﷺ : من دخل داره واغلق بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ..» المصدر السابق .

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي أسلم وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ثم أرتد وافترى الكذب على الصادق المصدوق . وهبار بن الأسود والحرث بن هشام وكعب بن زهير . ووحشي بن حرب وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان . وأخرون أهدر رسول الله ﷺ دماءهم بسبب أيذائهم للاسلام وذنوبهم العظيمة تجاهه .

قَدْ فُتِحَتْ مَكَّةُ لِلْهِدَايَةْ ... وَغَابَ عَنْهَا الرِجْسُ والغِوَايَةْ
وَمُهِّدَ الطَّرِيقُ لانتشارِ ... دِينِ الهُدَىٰ في الأرضِ وانتِصَارِ
ذِيْ الحَقِّ كَيْ تُوَحَّدُ الصُفُوفُ ... على العَدُوِّ تُرْفَعُ السُّيُوفُ

★ ★ ★

عَادَتْ إلى مَكَّةَ رَايَةُ الهُدَى ... والخَيْرِ والنُّورِ البَهِيِّ والنَدَىٰ
عَفَا رَسُولُ الله عَمَّنْ قد جَهِلْ ... وقيل يا جُرْحَ الهَوَىٰ ألا اندمَلْ
وحَدَّدَ رَسُولُ الله في خُطْبَتِهِ ... هُنَاكَ ما يَبْغِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ
مُعَدّداً مَبَادِئَ الحَنِيْفِ ... دينِ الهُدَىٰ النَّقِي والنَّظِيفِ
وَهَدمَ الأصنام من مَنَاةِ ... وَمِنْ سُوَاعَ الجَّهْلِ والطُّغاةِ

★ ★ ★

أَضَاءَ نُورُ الحَقِّ ثُمَّ زَهَقَا ... بَاطِلُهُم وشِرْكهم قد حُرِقَا
وجاء مسلماً إليه من عتا ... مِنْ قَبْلُ وَطَغَى ، إلَيْه ، فَأَتَىٰ :
عِكْرِمَةٌ وَوَالِدُ الصِّدِيقِ ... وابْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِلشَّفِيقِ(١)
كَانَ أَبُوهُ قَبْلَهُ قَدْ أسْلَمَا ... وَنَحْوَ أفْضَلِ الأنامِ يَمَّمَا
وَقَدْ عَفَا الرَّسُولُ عَمَّنْ هَدَرَا ... دماءه ، وفيهم ما غَدَرَا
أَتَاه كَعْبٌ مُنْشِداً ومُسْلِمَا ... فأَلْبِسَ الرِدَاءَ ثُمَّ أُكْرِمَا(٢)
كَذا سُهَيْلٌ بن عَمْرٍو جَاءَهُ ... مُبَايِعَاً وَسَامِعَاً نِدَاءَهُ

★ ★ ★

رِسُولُنَا أَرْحَمُ مِنْ أُمٍّ على ... أَوْلَادِها . في نَفْسِهِ وَفي المَلَا
قد قَطَعَ العَدُوَّ بالإحْسَانِ ... إليهِ بالصَفْحِ وبالغفرَانِ

---

(١) عكرمة بن أبي جهل . وأبو قحافة والد ابو بكر الصديق
(٢) هو كعب بن زهير خلع النبي عليه بردته .. ، وأبن أبي سفيان هو معاوية

مَا جَارَ يَوْماً ما أَذَى وَلَا شَتَمْ   وَلَا لِنَفْسٍ مَرَّةً قَدِ انْتَقَمْ
يا ربِّ صَلِّ ما أَرَدْتَ دائِمَاً   وَ مَا دَعَاكَ ساجِداً أوقَائِماً
عَبْدٌ . وَمَا فَاحَتْ خُزَامٌ وَنَبَتْ   في الأَرضِ نَبْتٌ طالِعٌ وَمَا نَمت

★ ★ ★

دَانَتْ بِدِيْنِ اللهِ كُلُّ العُرْبِ   وَخَضَعَتْ قُلُوبُهُمْ للرَّبِّ
وَسَقَطَتْ عِبَادةُ الأَوْثَانِ   إِذْ دَخَلَ النَاسُ حِمَىٰ الرَّحْمَنِ
ظلتْ ثَقِيفٌ وكَذَا هَوَانُ   أَبُوا . وَعَانَدُوا الهُدَىٰ وَدَاهَنوا[1]
فَجَهَّزوا جَيْشاً لِغَزْوِ أَحْمَدِ   تريد بغياً فوق كل مهتدي
وَعَلِمَ النَّبِيُّ بالأَنْبَاءِ   وَقَدْ أَتَتْ مِنهُمْ وَبِالأَصْدَاءِ
فَجَهَّزَ الرِّجَالَ ثُمَّ خَرَجَا   بِهِمْ إلى حُنَيْنَ حيثُ امْتَزَجَا[2]

★ ★ ★

غزوة حُنين :

وَكَانَ ضِمْنَ الجَمْعِ مَن يَقِيْنُهُ   لَمْ يَكْتَمِلْ في الحَقِّ بَعْدُ دِينُهُ
وَفِيهِ أَعرابٌ ضِعَافُ القَلْبِ   لِمْ يَدْخُلُوا الدِّيْنَ سِوَى عَنْ قُرْبِ
غُرّوا بِجَمْعِ المُسلِمِينَ لَمَّا   رَأَوْا كَثِيْراً . كُلُّهُمْ أَلَمَّا
واقْتَرَبُوا فَوَجَدُوا مُقَاوَمَةْ   شَدِيْدَةً عَنِيْفَةً وَقَائِمَةْ
فَهَرَبَ الضَعِيفُ بالإيمَانِ   وَثَبَّتَ القَوِي بالجَنَانِ
حَتَّىٰ غَدَا بَعْضٌ يَقُولُ : إِنَّها   هَزِيْمَةٌ لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ دُونَهَا
قَد بَطَلَ السِّحْرُ الذي جَاءَبِهِ   مُحَمَّدٌ . واليَومَ غيرُ آبَهِ[3]

★ ★ ★

(١) قالوا : «قد فرغ محمد من قتال قومه ولاناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النضري . واجتمع له من القبائل جموع كثيرة» نور اليقين ص ٢٢٩

(٢) خرج مع المسلمين قوم يبغون الغنائم كما خرج أيضاً ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو . وكان مجموع من خرج من المسلمين اثني عشر ألفاً .

(٣) الذي قال ذلك هو أخ لصفوان بن أمية .

نَبِيُّنَا المُخْتَارُ خَيْرُ الخَلْقِ يُثَبِّتُ الأتباعَ أهلَ الصِدْقِ
يُجَالِدُونَ في الهُدَىٰ فَنَصرُهُمْ حَقٌّ عَلَىٰ اللهِ . كَذَا وَأَجْرُهُمْ
نَادَىٰ: أنا النَّبِيُّ لا، وَلا كَذِبْ أنا الهُدَى أنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ(١)
وَصَاحَ عَمُّهُ ... يَا مَنْ رَضِيتُمْ محمداً ، هَيَّا فَقَدْ دُعِيتُمْ(٢)
أجابَهُ الأنْصارُ ثُمَّ ثَبَتُوا حَتَّى بِعَونِ اللهِ نَصرًا أَثْبَتُوا
وَنَصرَ اللهُ النَّبِيَّ فَضلًا مِنْهُ وَرحمَةً بِهِ وَعَدْلَا
وَكُبِتَتْ هَوَازِنٌ وَجَمعُهَا وسَالَ حُزْناً بَعْدَ ذاك دَمْعُهَا
وَأَنْزَلَ اللهُ جُنُوداً لَمْ يُرَىٰ كَمِثْلِهَا في الناسِ، لا ولا جرى
وَاللهُ إنْ أَرَادَ نَصرَ عَبْده يَنْصرُهُ وَلَوْ بِضَعْفِ جُنْدِهِ

★ ★ ★

كانت حُنينُ دَرسَ صَبْرٍ وثقةْ باللهِ والهُدىٰ وكانَتْ ماحِقَةْ
للشرك والأرجاس والبغاة حيث هم من أعظم العتاة
وَرَجَعَ النبيُّ بالغنائم منها وبالنصرِ وبالمكارِمِ
تَفَرّقَتْ هَوازِنٌ وَمَنْ بَقي في الشّرْكِ حَتَّى في البِقَاعِ تَتَّقِي
تَتَبَّعَ الرَّسُولُ جَمْعَ الشّرْكِ فَانْتَصرَ الهُدَى بِغَيْرِ ضَنْكِ
وَحاصرَ الطَّائِفَ حَتَّى رَحْمَةً تَرَكَهَا مِنْ بَعْدِ ذَا لا نَقْمَةً
دَعَا إِلَهَ الكَوْنِ أَنْ يَهْدِيَهَا لِلحَقِّ وَ النُّورِ وَأَنْ يُرِيَهَا
نِعْمَتَهُ في الخَيْرِ وَ التَّوْحِيدِ لَهُ وأَنْ يَمُدَّ بِالمَزِيدِ

★ ★ ★

وَرَجَعَ النَّبِيْ إِلَىٰ الجِعْرانَةْ وقَسَّمَ الفَيْءَ الَّذِيْ أَعَانَهْ

---

(١) كان ﷺ يقول : «أنا النبي لاكذب . أنا ابن عبد المطلب»
(٢) عمه هو العباس بن عبد المطلب .

عَلى ائْتِلافِ الجَمْعِ والقُلُــوبِ بِصَدْرِهِ الشَّفِيــقِ وَ الرَّحِــيبِ
أَعْطَى أَبَا سُفْيَانَ مِنْهـا وابْنَـهُ لَمْ يُعْطِ مَنْ كانُـوا حُمَـاةً دُونَـهُ
وَإنَّمـا أَوْكَلَهُــمْ إلــىٰ التُّقَــىٰ والــحُبُّ للهِ كَذَاكَ والنَّقَــا

بَعْضُ الوُفُود :

وَأَرْسَلَتْ هَوَازِنٌ جَمَاعَــــــةْ تَبْغي لِسَبْـيٍ مِنْهُـمُ شَفَاعَــةْ
فَفَكَّ أَحْمَــدٌ كَذَا وصحبُــهُ سَبْيَهُــمُ كُلّ يريــد رَبَّــهُ
فَأَسْلَــمَتْ هَوَازِنٌ بِذَاكَــا وَقَــد رَأَتْ بِأَحْمَـدٍ فكاكَــا

★ ★ ★

وَخَــرَجَ النَّــاسُ إلــىٰ الإسْلَامِ فَوْجاً وَفَوْجاً وَ إلــىٰ الإقْـدَامِ
فَأَسْلَــمَتْ صَدَاءُ وَ تَمِيــمُ وجــاءه عَديُّ الكَرِيــمُ
مِنْ بَعْـدِ أَنْ عَادَ إلىٰ المَدِينَة إذ حَسْبُهــا مُقَامُــهُ مِنْ زِيْنَــة
وَأَسْلَمَ الفَتَى لِمَــا قَدْ سَمِعَــا مِنْ أَحْمَدَ المُخْتَار لَا مَا رَجَعَا

غَزْوَةُ تَبُوك :

وأبْلِــغَ الــرَّسُولُ أَنَّ الرُّومَــا قَدْ جَهَّــزَتْ لِحَرْبِــهِ عَظِيمَــا
في وَقْتِ حَرٍّ وَزَمَــــانِ شِدَّةِ تَجــاوَزَ الــرُّومُ البَغِــيُّ حَدَّهُ
فَجَهَّــزَ الــرَّسُولُ جيشاً وَدَعَــا إلىٰ تَبُــوكَ كلَّ من قد تبعــا
فَبَــذَلَ المُهَاجِــرُونَ المَــالَا وَسَاهَـــــمَ الأنصارُ . ثُمَّ زَالاَ
وَقَعَــدَ النِّفَــاقُ حيث أظهــرا في هَذِهِ المَرَّةِ ما قَدْ أَضْمَــرا
سَمَّــى النَّبــيُّ قَصْدَهُ وَلَـمْ يكــن يَحْكِيهِ مِنْ قَبْلُ لِيَدْرِي مَنْ فَتِـنْ
لكِنَّــهُ لَمَّــا أَتاهَــا لَمْ يَجِـدْ جَيْشاً كَما قِيلَ لَهُ . وَ لاَ أَحَدْ
بَلْ جَاءَهُ وَفْدٌ يُرِيــدُ الصُّلْحَــا وَكَــانَ ذَاكَ لِلنَّبِــيّ رِبْحَــا

إذ عَاهَدُوا أَنْ يَدْفَعُوا جِزْيَتَهُم ويبذلوا . له كَذَا فِدْيَتَهُمْ
فعاد أحمدٌ إلى المنوّرة إذ قد غدت زكيةً مطهرةْ

★ ★ ★

وجاءه الذين قد تخلفوا وقعدوا ليعُذروا ويَحلفوا
فقبلَ النبيُّ منهمْ ظاهراً وللعليمِ أوكلَ السَرائرا
إلا ثلاثةً أجابوا إنّا ما كانَ مَنْ عُذرٍ لنا ، ومِنْا .
فأَمَرَ النبيُّ أنْ يقاطعوا فلا يكلموا ، ولا يراجعوا .
ومكثوا في نَدمٍ وضاقتْ عليهِمُ الأرضُ .. وقَدْ أضاءتْ
أنفسُهُمْ . إذ رَبُّهُمْ قد أنزَلَا تَوبَتَهُ في وحيهِ مفصلا .
ففرحوا بتوبةِ الرحمن ربِّ العبادِ . الخالقِ المَنانِ
وعاهدوا أَنْ لا يعودوا مثلَها بالفعلِ .. تابوا ثم كانوا أَهْلَهَا .

حوادثُ السنةِ التاسعة :

قَدْ آمنتْ ثقيفُ أهلُ الطائفِ طابتْ نفوساً بعدُ في المواقفِ
وهدموا اللاتَ الهوى ويمموا نحوَ الهدى والحقِ .. ثُمَّ أسلموا .

★ ★ ★

وكانَ في ذا العام حجُ المُؤمنِ بالصدقِ .. للبيتِ الحرام المَأمَنِ[1]
نادى بهِمْ من بعدُ لا لنْ يدخلا مشركُهُمْ للبيت لاَ لَن يوصلاَ .
ولَن يَطوفَ المسجدَ العراةُ وانتصرَ الهدَاةُ والتقاةُ

★ ★ ★

كذا وفي التاسع مات من عتا ونافقَ الإسلام فاسمعْ يا فتى .

---

(١) حج أبو بكر الصديق .

ابــن أبي ماتَ . ثُمَّ وَقَفَــا مُحَمَّــدٌ في دَفْنِــهِ تَألَّفَـــا
لَكِنَّـهُ نَهَـاهُ بَعْــدُ الخَالِــقْ كَيْ لا يُودَّ بَعْــدَ ذَا المُنَافِــقْ

★ ★ ★

وَ أُمُّ كُلْثُــوم كَذَا تُوُفّــيَتْ بِنْتُ النَّبِـيِّ طَهُــرَتْ وَ أُرْضِيَتْ

حَوادثُ السَّنَة العاشِرَةْ :

فِيــهِ أَتَتْ وُدَّانُ في نَجْــرَانَ وامْتَــلأتْ بِأَحْمَــدٍ إيمَانَــا
كَذَا بَنُو مُذْحِجَ كَانُوا أَسْلَمُوا صَلُّوا عَلَــى مُحمــدٍ وَسَلَّمُــوا
وأَرسَلُــوا زَكاتهم تَطهُّــرَا ويَعْلَــمُ اللهُ القُلُــوبَ وَيَــرَىٰ

★ ★ ★

وَبَعْـدُ عُمَّــالُ الــرَّسُولِ أَقْبَلُــوا يُعَلِّمُــونَ مَنْ أتى وَأُرْسِلُــوا
مِنْهُمْ مُعَاذٌ وَكَـذَاكَ الأَشْعَــرِيْ هذا الفتى الشَهْمُ الكَرِيمُ المَصْدَرِ
أمــا معــاذ فلقَــد عادَ إلــىٰ مَدينَــة الــرَّسُولِ ثُمَّ نَزَلاَ
لَمَّــا أَتَــاهُ نَبَــأُ الفَجِيعَـــةْ كَبِيــرَةً مُؤْلِمَــةً وَجِيعَــةْ

★ ★ ★

كَانَ أَبُو مُوسَى أَتَـى الحَبِيبَـا فِي حَجَّةِ الوَداعِ كَيْ يَطِيبَـا

حَجّةُ الوَداع :

فِي عَاشِرِ الأَعْوامِ حَجَّ أَحْمَدُ خَيْرُ الـوَرَىٰ المُكَرَّمُ المُسَدَّدُ
خَيْرُ الأَنامِ كُلِّهِـمْ مِنْ آدَمِ حَتَّى يقوم النَّاسُ في المَزاحِمِ
حَجَّ بِتسْعيــنَ مِنَ الآلافِ تَكَلَّلُــوا بِالطُّهْــرِ والعَفَــافِ

أَحْرَمَ بِالحَّجِ وَلَبّىٰ قَائِــلاَ لَبَّيكَ. لَبَّيْكَ.. وبـات نازلا
في مَكَــةٍ وَبَيْتِهــا العَتِيــقِ إذ فَرَّجَ الرَّحْمٰنُ بَعْدَ الضيّـقِ
وَطافَ بِالبَيْتِ الحَرامِ سَبْعا وَاستَلَـمَ الأَسْعَـدَ. زَادَ رفعــا
مِنْ زَمْـزَمٍ نَالَ النَّبيُ وَسَعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَ سَبْعاً وَدَعا
وَبَعْدُ في الثَّامِنِ مِنْ ذي الحجَّةْ إلىٰ مِنَىٰ أَتـىٰ يُتِّـمُّ حَجَّــةْ
لِجَبَلِ الرَّحْمَةِ صَعَّدَ الهُـدىٰ وَخَـطَبَ الخُطْبَـةَ فيـه وابْتَـدَا
مُوَدِّعــاً أَصْحَابَــهُ وَأَهْلَــهُ يَقُـولُ عَلِّــيْ لا أَراكُم مثلــه
مُحَــدِّداً مَبَــادِئَ الإِسْلَامِ وَشَارِحــاً دَعْــوَاهُ لِلأَنَامِ
يَقُـولُ : لَا أَترُكُكُـمْ لِتَضرِبُــوا رِقابَكُـمْ. وَلِلْحَــرام تَسْلبُــوا
إنَّ الرِّبَا وَالسُّحْتَ قَدْ وضعتُـهُ كذا الـدّمَ الحَـرامَ قَدْ أَزَلْتُــهُ
فَلَا تُطِيعُـوا بَعْـدِيَ الشَّيْطَانَــا بَلِ اعْبُـدُوا مَوْلَاكُـمْ الدَّيَّانَــا
خُذُوا الكِتَـابَ وَاضِحَــاً مُنيرا وَسَاطِعَــاً وَهَادِيــاً جَدِيــرَا
فَكُلُكُـــــمْ لآدمٍ وَآدَمُ مِنَ التُـرابِ أَصْلُــهُ وَالعَالَــمُ
بَلَّغْتُكُمْ ؟.. يَارَبُّ.. أنت تَشْهَدُ إنّــا لإِيَّــاكَ إِلٰهــي نعبُــدُ
ثُمَّ قَضى الرسُولُ كُلَّ نُسْكِـهِ وَلَـنْ يُرَى في فِعْلِـهِ كَسَبْكِـهِ

القسم الخامس

الاستقرار وإكمال الرسالة

الاستقرار في المدينة ومجيء الوفود :

وَبَعْدَهَا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَـةْ   وَتَمَّمَ الرحمٰنُ بَعْدُ دِيْنَهْ
فَقَدِمَتْ تَقْصُدُهُ الوُفُودُ   بِالنَّفْسِ وَالمَالِ كَذا تَجُودُ
تُبَايِعُ الرَّسُولَ بِالإِسْلَامِ   بِالهَجْرِ لِلأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ

★ ★ ★

فَوَفَدَتْ نَجْرانُ وَابْنُ ثَعْلَبَهْ   وَعَبْدُ قَيْسٍ ثُمَّ طَيٌّ المَنْقَبَةْ(١)
أَزْدُ شنوءةٍ وَكِنْدَةٌ أَتَوْا   وَسَعْدُ وتجيبُ بَعْدَ مَاعَتَوْا(٢)
فِزَارَةٌ كَذَا وَعُذْرَةٌ وَمِنْ   أَسْدٍ. كَذَا وَفْدٌ تَغَطَّى بالمِنَنْ
بَنُو مُحَارِبٍ كَذَاكَ أَرْسَلُوا   وَفْداً إِلَيْهِ. وكذاك أَقْبَلُوا
وَجَاءَ مِنْ غَسَّانَ وَفْدٌ يُسَالِمُ   وَلِلْهُدىٰ وَأَهْلِهِ يُعَظِّمُ

★ ★ ★

سُبْحانَ مَنْ هَدَاهُمُ وَكَانُوا   أَكْثَرَ مَنْ عَادَاهُ ثُمَّ لَانُوا

السنة الحادية عشرة. وفاة رسول الله ﷺ :

لَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ.. لَمَّا أُكْمِلا   وَالأَمْرُ مِنْ رَبِّ العِبَادِ فُصِّلا

---

(١) كان من بني الوفود : ضمام بن ثعلبة وهو رجلٌ من أهل البادية ثائر الرأس يُسمع دوي صوته ولايُفقهُ مايقول . وقد قال بعد لقائه رسول الله ﷺ : «إني آمنت وصدقت . وأنا ضمام بن ثعلبة ..» وقبيلة طيء أرسلت وفداً على رأسه زيد الخيل وقد أسلم فدعاه رسول الله ﷺ زيد الخير .

(٢) من وفد أزد شنوءه صرد بن عبد الله الأزدي ــ وسعد : هم بنو سعد بن هزيم من قبيلة قضاعة ، وتجيب هم من كندة وكان وفدهم ثلاثة عشر رجلاً .

وَدَخَـــلَ النَّـــاسُ بِهِ أَفْوَاجَـــا وَمُحِيَ الشِّرْكُ. وَكانَ مَاجَـــا
وَلَمّـا كَانَ أَحْمـدٌ مِنَ الـبَشَرْ يَجْرِيْ عَلَيْهِ مِثْلَمَا يَجْري القَدَرْ
وَبَعْـدَ أَنْ أَدَّىٰ الـذِيْ عَلَيْـــهِ مِنْ وَاجِبٍ تَقَـرَّبَتْ إِلَيْـــهِ
رُسْلُ المَليكِ تَبْتَغِـي استئثـارا بِصُحْبَـةِ الهَـــادِي كَذا جِوَارَا
وَاشْتَاقَ أَحْمَـــدٌ إِلـىٰ مَوْلَاهُ وَقُرْبِــهِ.. وَ اللهُ قَدْ دَعَـــاهُ
حيثُ حياةُ الأرضِ مثلُ الظِلِّ ولا يدومُ الظِّــلُ في المَحَــلِّ
أما الجِنـان فالإلٰــه جارهــا حيــاتها خالــدة ودارُهـــا
مُحمـدٌ لَبَّـىٰ وفَـارَقَ الدُّنـــىٰ إلى الخُلُودِ وَإلى نَيْـلِ المُنـى

★ ★ ★

إِذْ بَعْدَ أَنْ جَهَّزَ خيرُ الخَلْقِ أُسَامـــةً في بِعْثَـةٍ لِلْحَــــقِّ
أسامـــةٌ لأمْـــرِهِ توجهـــا لبى النِداء ما ونىٰ ولا لها
مِنْ بَعْـدِ ذَاكَ مَرِضَ النَّبِـــيُّ مُحمَّـــدٌ وَالطَاهِـــرُ الـــرَّضِيُّ
وَأَمَـرَ الصِّـديقَ كَيْ يُصَلّـــي بِالنَّـاسِ رِفْعَـة له في الـفَضْلِ
بَكَـىٰ الصَّحَابَـةُ الكِـرامُ لَمَّـــا كَانُـوا أَحَاطُـوا بِالنَّبِيِّ عِلْمَـــا
فَخَـرَجَ الـــرَّسُولُ في اتكَـــاءِ عَلَـىٰ عَلِـيٍّ صَاحِبِ الـــولاءِ.
واجْتَمَعَ النَّاسُ وَكَمْ قَدْ فَرِحُوا لَمَّـا رَأَوْا نبيَّهُـــمْ وَانْشَرَحُـــوا
محمدُ يجلسُ عِنْـــدَ المِنْبَـــرِ يُوْصِي الّذينَ أَقْبَلُوا في المَحْضَرِ
يقـــولُ: إني لَاحِـــقٌ بِرَبّـــيْ وَأَنتُـــمُ تأتونَنــــي، وَرَبّـــي!..
أُوصِيكُـــمُ بِالأَوَّلِيــــنَ خَيْـــرا كذا بِالأنصارِ الكِرامِ خَيْـــرَا
أَلا فَإِنَّ الحَوْضَ مَوْعِدٌ لَكُـمْ أَراكُـمُ هُنَـاكَ. شَافِعـا لَكُـــمْ
أَوْصَاهُـــمُ وَبَيَّـــنَ الطَّرِيقَـــا وَكَـانَ أَحْمـدٌ بِهِـــمْ رَفِيقَـــا

★ ★ ★

وَبَعْـدَ ذَا في ضَحْـوَةِ الاِثْنَيْـــنِ التَحَـــقَ الـــرسول دون مين.[1]

---

(١) أي كذب

بِرَبِّـهِ مُفَارِقـاً دُنْيـا الـوَرَىٰ   ذَاتِ الزَّوَالِ ثمَّ هَذَا ما جَرَىٰ
عُمـرُهُ ستـونَ عامـاً كانـا   زَادُوا ثَلاثَـةً كما أتانـا .

★ ★ ★

فَقَـامَ عُمَـرٌ وَقَـدْ تَوَعَّـدَا   بالسَّيْفِ مَنْ قَالَ : كَذَا تَهَدَّدَا
كَانَ يَقُـولُ : أَحْمـدٌ مَامَاتَـا   مَابَانَ عَنَّا .. أَحْمـدٌ مَافَاتَـا

★ ★ ★

مِنْ حُبِّـهِ لَهُ وعُمْـقِ وِدِّهِ   غَابَ المُحِبُّ عِنْدَهَا عَنْ رشْدِهِ

★ ★ ★

وَجَاءَ مِنْ بَعْدُ الصديقُ الصَّادِقُ   جَثَا أَمَـام أَحْمَـدٍ يُعَانِـقُ
ثُمَّ إلىٰ الأَصْحَابِ مِنْ بَعْدُ خَرَجْ   وَالجَمْعُ كان قَد أتىٰ وِقَد هَرَجْ

قَالَ لَهُمْ : مَنْ كانَ يَعْبُدُ النَّبِيْ   فَإِنَّهُ مَاتَ .. كذا كل نبـيْ .
وَاللهُ بَاقٍ لا يَمُـوتُ جَلَّ   جَلَالَـهُ . عَلىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ

★ ★ ★

ثُمَّ تَلا حَالا : «وَمَا مُحَمَّـدٌ   إلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ» فَأَقْصِدُوا
وَهَـدَأَتْ حَالُ الَّذِيْ تَوَعَّـدا   ثُمَّ بَكَى عَلَى الفِرَاقِ وَاهْتَدَىٰ
وَغُسِّلَ النَبِـيُّ كانَ يَغْسِلُـهُ   عَلِـيُّ الإِمَـامُ ثُمَّ يَنْقُلُـهُ

★ ★ ★

صَلَّىٰ عَلَيْـهِ اللَّهُ كانَ طَيِّبَـا   في كُلِّ حَالٍ لَمْ يَزَلْ مُطَيَّبَـا
وَدُفِـنَ النبـيُّ بَعْـدَ ذَاكَـا   نَفْسِي أبا الزهرا ــ أنـا فِدَاكَـا
يَامَـنْ تَرَكْـتَ الدِّيْـنَ كَالنَّهـارِ   ما ضل عنـه غير من يماري



القسم السادس

ملحق في

المعجزات

أمهات المؤمنين

الشمائل والأخلاق

المعجزات :

أَمَدَّكَ اللَّهُ بِمُعْجِزاتِ ... مُؤَيَّدَاتٍ ثُمَّ وَاضِحَاتِ
فَنَبَعَ المَاءُ مِنَ الأَصابِعِ ... كما بَكَىٰ الجِذْعُ مِنَ المَواجِعِ
وَسَبَّحَ الحَصَىٰ يُشيرُ أنكا ... في الكَوْنِ لا يرىٰ العِبادُ مِثْلَكَا
وَانْهَزَمَ الجَمْعُ بِكَفٍّ رُمِيَتْ ... مِنَ التُّرابِ في عُيُونٍ أُعْمِيَتْ

★ ★ ★

وَلَيْسَ كَالقرانِ ثَمَّ مُعْجِزَةْ ... بَاقِيَةً خَالِدَةً ومُنجِزَةْ
إذْ شَمَلَ القُرْآنُ كُلَّ أَمْرِ ... به الحيا تبقى وَكُلَّ زَجْرِ
بَيانُهُ يُسْبِي فلا يُقَلَّدُ ... أَنْزَلَهُ مَنْ في العُلا يُمجَّدُ

★ ★ ★

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الوَرَىٰ ... إنَّ الحَيَاةَ مِثْلَ طٰهَ لَنْ تَرىٰ

أُمَّهاتُ المؤمنين :

أَزْوَاجُهُ فيما يَلي سَأَحْسِبُ : ... خَدِيجَةٌ عَائِشَةٌ وَزَيْنَبُ
صَفِيَّةٌ وَسَوْدَةُ الهَنِيَّة ... وَحَفْصَةُ المُؤْمِنَةُ التقيَّة
هِنْدٌ كَذا وَرَمْلَةٌ ذَاتُ الشَرَفْ ... مَا كَانَ قَصْدُ أَحْمَدٍ فيذا سَرَفْ[1]
ثُمَّ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ ... مُحمَّدٌ لَا.. لَمْ يَكُنْ بِالعَابِثِ[2]
ميمونَةٌ أَيضاً فَهُنَّ تسعُ ... دون خديجة.. أأنت سَمْعُ[3]
قالُوا : لِمَاذَا عَدَّدَ النِّسَاءَ ... نَبِيُّكُمْ. هَلْ دِينُهُ قَدْ جَاءَ

(١) هند هي أم سلمة . بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية . رملة : هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .
(٢) جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعية ».. تهذيب سيرة ابن هشام ص٤٤ ج٢
(٣) توفي رسول الله ﷺ عن تسع نسوة

بِذَاكَ؟ أَمْ لِشَهْــوَةٍ أَقَامَهَـــا   طُولَ الحَيَـاةِ كَانَ قَدْ أَدَامَهَـا
حَاشَا رَسُولَ اللهِ.. كَانَ طَاهِراً   مُبَـرءاً مِنْ كُلِ هٰذا ظَاهِـــرَا
حَيَاتُـهُ دومـاً هِيَ الجِهَـادُ   والـنَّصْرُ لله فَمَـا يَرتَـادُ
مَواطِــنَ اللَّـذَةِ وَالتّمتُّــعِ   بَلْ كَانَ عَنْ هٰذَيْنِ في تَرَفُّعِ
طَعَامُـهُ تَمْـراً وَمَـاءً كَانَـا   وَفَـرْشُهُ الآدَمُ ذَا أتانَـــا
مَنْ كَانَ هٰذا عَيْشُهُ لَا يَرْغَبُ   في لَذَّةٍ وَعِنْـدَهُ لَا تُحْسَبُ
وَثَـمَّ أَسْبَابٌ كَثيـرَةٌ قضَتْ   لِجَمْعِهِـنَّ عِنْدَهُ وَقَـدْ دَعَتْ
عَائِشَةٌ هِيَ الوَحيـدَةُ الّتِـيْ   بكراً بِبَيْتِ المُصطَفَىٰ قَدْ حَلّتِ
أَمَّا خَديجَـةٌ فكَانَ عُمْرُهَـا   أربعَ عشرات وَمَـرَّ ذكرهـا
مِنْهُنَّ مِنْ نَسْلِ المُلُوكِ كُنَّ   مَا رَغِبَ النَّبِـيُّ أَنْ يَهُـنَّ
بَلْ أَنْ يَزدْنَ رِفعَةً بَعْدَ الضَّعَةْ   وَقَدْ أَتَتْ للدين في ذَا المَنْفَعَةْ
وَزَيْـنَبٌ زَوَّجَهَـا الرّحمٰـنُ   نَبيَّـهُ كي يُبْطِـلَ البهتَـانَ (١)

★ ★ ★

مَاكَـانَ هٰذا العَـدُّ لِلرِّيَـاءِ   وَالبَـذْخِ واللَّـذَةِ والنَّمَـاءِ

★ ★ ★

فَأَيْـنَ أَنْتُـمْ يَا دُعَـاةَ القَـوْلِ   هَلْ تُنْكِـرُونَ ذَا على الرَّسُولِ
أَشْرَفَ خَلْقِ اللهِ كانَ أَحْمَـدُ   وَخَيْـرَ مَنْ عَنْـهُ الأَذاةُ تَبْعُـدُ

★ ★ ★

شمائله وأخلاقه ﷺ :

يا طاهر الأخلاقِ يا مُحمـدُ   يا من له كل الكمال يُعقـدُ

---

(١) البهتان : هنا المقصود به عادة التبني التي كانت سائدة في الجاهلية . لأن زينب كانت زوجة زيد بن حارثة . تبناه ﷺ . ثم أمر الله أن تبطل هذه العادة وبعد طلاقها من زيد تزوجها من رسول الله (ﷺ) وذلك كما ورد في قوله تعالى : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» .

ما كان في الأرض كأنت حِلما | بكَ الإلـهُ الخُلْقَ قد أتمَّـا[1]
وليس في الجودِ ولا السخاءِ | ولا الوفـا والـود والحيـاءِ
كأحمدَ الذي به الجودُ افتخرْ | إذ كان فيه كالحيا إذا انهمرْ[2]
بل كان فيه مثل ريح مرسلةْ | منه ارتقى النبيُّ خيرَ منزلَةْ[3]

كذاك في العفو وفي التواضع | والنبـذ للشقـاق والتقاطـع
فقـد عفـا النبيْ عن العتاة | ولم يضق عفواً عن الجفاة[4]
لنفسه النبيُّ قطُّ ما انتقـمْ | ولا رمـى لنـفسه ولا شتم
ما كان بالفظِّ ولا الصّخابِ | ولا بفحـاشٍ ولا عيـاب[5]
وكان مَعْ ذاك شديـد العـزم | ذا هيبـةٍ وقـوةٍ وحـزم
إن حميَ الوطيسُ كان مُقدما | خميسهم يفرق منه إن رمى[6]
نصره ربُ الـورى بالـرعب | وزانــه لصحبـه بالحب

تواضعـاً يكلـم الضعيفـا | ويسمع الشاكي الذي أحيفا[7]
يجيب من دعاه . لو كانت أمَةْ | ما كان أسخـاه وكان أرحمه
مَع مُلكـهِ كان عظيم الزهـد | قد انتقى حال النبيِّ العبدِ[8]
يمازح الأصحـاب والأتباعـا | عليهم لا يُظهـر ارتفاعـا[9]

---

(١) « قال أنس : كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقاً » وقال عليه السلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . نور اليقين ص ٢٨٤ .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) « قال ابن عباس : كان عليه السلام أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » .

(٤) كما مر عند الحديث عن فتح مكة . وغيرها من المواطن .

(٥) قالت عائشة رضي الله عنها : (لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق . ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح) .

(٦) قال علي « إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ » .
وقال أنس : « كان عليه السلام أشجع الناس ... » نور اليقين ص ٢٨٨ .

(٧) أحيف : أي ظُلِمَ .

(٨) خيره الله بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً .

(٩) « كان عليه السلام يمازح أصحابه ويحادثهم ويلاعب صبيانهم ... ويجيب دعوة الحر ، والعبد ، والأمَة ... » .
نور اليقين ص ٢٩٠

للنـــاس كان رَحمةً ولطفـــــاً   هدايــــةً وموئـــلاً وعطفــــــا
وذاك أن الله قد ربّـــــــاه   ومـــن عميم فضلـــه حبـــاه

طوبىٰ لعبـدٍ يقـــرأ الصفاتـــا   إن حان منـه يومـــاً التفاتـــا
فيعقـد العـــزم على الـــوصول   للاهتـــدا بسنـــة الـــرسول .

الخاتمة

رَبَّاهُ فاجْعَلْنِي وَقَدْ يَسَّرْتَـــا ‏ ‏ لي نَيْلَ ما أبغي وقد وفقتا
وَفَّقْتَنـي لِنَظْـمِ هٰذِي السِّيرَةْ ‏ ‏ بِدَرسِهـا حَيْثُ غَدَتْ جَدِيـرَةْ
فَاجْعَلْ إِلٰهِـي غَايَتـي وَمَطْلَبـيْ ‏ ‏ كَامِنَةً في حُبِّ أَحْمَدَ النَّبِـيْ
وأجـزلِ العطـا لأهـلِ العلـــم ‏ ‏ مَنْ ارشدوا وَشَجعوا بحلمِ
للشيـخ كفتـارو الـذي يربي ‏ ‏ طلابــه على التقـــى والحبِ

وأكـــرمْ اللهـــمَّ نور الديـــن ‏ ‏ ذي الحلـم والتحقيـق واليـقين
قد راجع النظم فكان ناصِحاً ‏ ‏ مبينـــاً في قولــه وواضِحـــاً
يَا رَبِّ قَدْ أثقلَت الذُّنُـوبُ ‏ ‏ ظَهْري . وقد جَلَّلتِ العُيُوبُ
وَأَنْتَ يَارَبُّ بِحالِـي أَعْلَـمُ ‏ ‏ وَأَنْتَ مِنْ نَفْسِي عَلَيَّ أَرْحَمُ
فَاغْفِرْ وَجُدْ بِالعَفْـوِ والقَبُـولِ ‏ ‏ وَصَلِّ يارَبِّ عَلى الــــرَّسُولِ
صَلِّ عَلَيْـــهِ مَا أَرَدْتَ أَنْتَ ‏ ‏ يَا مَنْ قَدِيماً لَمْ تَزَلْ وَكُنْتَ

محمد خير ضميرية
دمشق ــ ١٩٨٤/٤/٥



ثَبْتُ المصادر والمراجع

ـــ القرآن الكريم

ـــ سيرة ابن هشام — تحقيق محمد فهمي السرجاني ـــ مكتب التراث الاسلامي ـــ حلب ـــ سوريا .

ـــ تهذيب سيرة ابن هشام — تحقيق عبد السلام هارون

ـــ مختصر تفسير ابن كثير — محمد علي الصابوني ط دار القرآن الكريم

ـــ شرح ابن عقيل — ط بيروت دار إحياء التراث العربي

ـــ شذور الذهب — ابن هشام ط العاشرة القاهرة ١٩٦٥ م

ـــ المعيار في أوزان الأشعار — الأعلم الشنتريني ـــ تحقيق رضوان الداية.

ـــ الباعث الحثيث — ابن كثير ـــ تحقيق محمد شاكر طبعة بيروت

ـــ الترغيب والترهيب — المنذري تحقيق محمد مصطفى عمارة ط دار الفكر

ـــ جمهرة أشعار العرب — أبو زيد القرشي ط دار صادر .

ـــ القاموس المحيط — الفيروز آبادي ط دار الجيل .

ـــ صور من حياة الرسول — أمين دويدار ط . دار المعارف مصر .

ـــ الرسول القائد — محمود شيت خطاب ـــ دار الفكر ـــ الطبعة الخامسة

ـــ دراسات في السيرة — عماد الدين خليل ـــ مؤسسة الرسالة ـــ دار النفائس ١٣٩٤ / ١٩٧٤

ـــ فقه السيرة — محمد الغزالي دار الكتب الحديثة الطبعة السابعة ١٩٧٦

ـــ فقه السيرة — د . محمد سعيد رمضان البوطي الطبعة الثامنة .

الكتاب	المؤلف والنشر
ــ السيرة النبوية	أبو الحسن الندوي ط . دار الشروق جدة ١٩٧٩
ــ الهجرة حَدَثٌ غير مجرى التاريخ	شوقي أبو خليل دار الفكر
ــ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن	أبو الحسن الندوي ـ ط٤ ـ القاهرة
ــ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين	ـ محمد الخضري ـ ط ١٨
ــ تفسير المراغي	أحمد مصطفى المراغي بيروت دار احياء التراث ط٣ ــ ١٩٧٤
ــ صور من حياة الصحابة	د . عبد الرحمن رأفت الباشا ــ مؤسسة الرسالة .
ــ تاريخ الاسلام	حسن ابراهيم حسن
ــ تاريخ الأدب العربي	شوقي ضيف
فن الخطابة وتطوره عند العرب	إيليا حاوي دار الثقافة بيروت
ــ كبرى اليقينيات الكونية	د . سعيد رمضان البوطي
ــ مباحث في علوم القرآن	د . صبحي الصالح ط٣ ١٩٦٤ دار العلم للملايين
ــ رسالة التوحيد	محمد عبده مكتبة الثقافة العربية
ــ عوامل النصر والهزيمة	شوقي أبو خليل دار الفكر ط ١
ــ فقه السنة	السيد سابق
ــ قصة الايمان	نديم الجسر ط٣ ــ المكتب الاسلامي ١٣٨٩ ــ ١٩٦٩
الاسلام والشعر	د . سامي مكي العاني سلسلة عالم المعرفة (٦٦) ١٩٨٣
ــ أبو العتاهية ــ حياته شعره	د . شكري فيصل
ــ ديوان عمر أبو ريشة	دار العودة
ــ الشوقيات	ط . بيروت دار الكتاب العربي
ــ ديوان ابن الفارض	
ــ شهداء الاسلام	سامي النشار

« المحتوىٰ »

الموضـــوع | الصفحة

القسم الثالث : الهجرة الى المدينة .... ٧١ ــ ١٠٧

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	الموضع	الخطأ	الصواب
٢١	ﻫ (٢)	سعدة	سعد
٢٢	ب ٩	من للهم	للهم
	ﻫ (٣)	أمة	أمه
٢٣	ب ١٠	الشام	الشآم
٢٦	ب ١٠	بكل عصر تراه	بكل عصر تراه
	ﻫ (٢)	الذي ببكة	للذي ببكة
٢٧	ﻫ (١)	حياو	حياة
٣٢	١٤	لأُنصرن	لأَنصرن
٣٣	ﻫ (١)	كنا	كما
٣٤	ب ٨	أتوى	أتى
٣٥	ﻫ (١)	لا أهلك	لا أحلك
	ﻫ (٣)	تفرقوا الشعاب	تفرقوا في الشعاب
٤٧	ﻫ (١)	الغماء	الغماد
٤٨	ب ٧	تم	ثم
٤٩	ﻫ (٥)	الاعتداء عليهم	عدم الاعتداء عليهم

وان كان ثمة أخطاء مطبعية أخرى فانها لاتخفى على القارىء .